مظهر التقديس

بذهاب دولة الفرنسيس

تأليف

العلامة المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي

تحقيق وشرح

حسن محمد جوهر
وكيل وزارة التربية والتعليم سابقاً

عمر الدسوقي
رئيس قسم الدراسات الأدبية
بكلية دار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

ملتزم الطبع والنشر

لجنة البيان العربي

مظهر التقديس

بذهاب دولة الفرنسيس

تأليف

العلامة المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي

تحقيق وشرح

حسن محمد جوهر
وكيل وزارة التربية والتعليم سابقاً

عمر الدسوقي
رئيس قسم الدراسات الأدبية
بكلية دار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

ملتزم الطبع والنشر
لجنة البيان العربي

مطبعة الرسالة

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تقديم

الجـــبرتى

تعريف به :

هو عبد الرحمن بن حسن بن ابراهيم بن حسن بن على ... وهو حبشى



الجبرتى

الأصل ، مصرى المولد والنشأة والموطن ؛ جاء أسلافه[1] مصر من جبرت — إحدى مقاطعات جنوبى شرق الحبشة[2] ؛ سميت كذلك باسم قبيلة عربية — هاجرت من بلاد العرب ، واستقرت فيها ؛ وكانت من أرقى القبائل الحبشية المسلمة وأرجحها عقلا ، عرفت بالتفانى فى حب دينها والتفقه فيه ، وميلها إلى تحصيل العلوم ، والعلوم الدينية بخاصة[3] .

وكان أبوه الشيخ حسن عالما من علماء الأزهر ، وكان فوق إلمامه بالعلوم الدينية ، ملما بالعلوم الهندسية ، معنيا ببعض أجهزتها كالإسطرلاب ، كما كان مهتما بضبط الموازين . وكان موسعا عليه فى الرزق ، ومغرماً بجمع الكتب والمخطوطات ، وكانت مكتبته لذلك مجمع العلماء وطلاب العلم .

ولد عبد الرحمن الجبرتى فى القاهرة فى سنة ١١٦٧ هجرية . وقد نشأ فى بيئة علمية ، كما ذكرنا ، فشبّ على حُب العلم والعلماء حتى أصبح من كبارهم وقام بالتدريس فى الأزهر[4] ، وقد جبل منذ الصغر على تسجيل ما يرى وما يسمع وما يحس ، غير متأثر فيما يسجل بآراء أهل عصره ، والعلماء منهم بخاصة ، الذين اتهموه بميله إلى الفرنسيين ، عندما قرأوا ما كتبه عنهم ، على الرغم من أنه انتقد بعض أعمالهم إنتقاداً مراً ، الأمر الذى جعل الفرنسيين يصفونه بأنه شيخ متعصب .

---

(١) لقد جاء أجداد الجبرتى مصر فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ، ويعتقد أنهم من نسل عقيل بن أبى طالب .

(٢) لأمر ما يرغب الحبشان عن إطلاق إسم الحبشة على بلادهم ، ويحرصون على تسميتها أثيوبيا .

(٣) كانوا ينسلون الى الأزهر ، وكان لهم فيه رواق خاص يلتقون فيه فى أثناء طلبهم العلم .

(٤) مصطفى نجيب أمين المتحف الحربى .

ولم يكن الجبرتى أسلوب خاص يلتزمه فى كتاباته ، فبينا تراه يرسل القول إرسالا ، مستعملا اللغة الشعبية ، حين تفجأه الحوادث أو تتوارد عليه الأخبار ، فيسارع إلى تسجيلها . وقد تسلمه السرعة إلى أخطاء نحوية أو لغوية فلا ينتبه لها ، أو قل لا يعبأ بها ، إذ تراه يلتزم السجع ، ويتخير الألفاظ الجزلة ، فتبدو فى كتابته الصنعة والتكلف عند ما يكتب حياة علم من أعلام التاريخ أو الأدب أو العلم .

وتوفى عبد الرحمن الجبرتى فى القاهرة سنة ١٢٤١ هجرية .

وزعم بعض المؤرخين أنه مات مقتولا ، وأن قاتله محمد على ، الذى سلط عليه من تربص له واغتاله[1] سنة ١٨٢٢ م .

وزعم آخرون[2] أن المقتول ابنه خليل ، وأن الجبرتى بكاه حتى فقد بصره ، ويؤيد هذا القول أن أحد الرحالين الايطاليين زار الجبرتى فى ديسمبر سنة ١٨٢٢ بداره فى بولاق ، فوجده أعمى وملازما بيته لا يبرحه .

ولقد كانت علة نقمة محمد على عليه نقده الشديد له[3] فى كتابه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، لسلوك محمد على مع المصريين الذين اختاروه واليا عليهم ، فجزاهم جزاء سنمار ، بظلمه لهم وقسوته عليهم[4] .

---

(١) قيل إن ذلك القاتل الأثيم خنقه ، وربطه فى رحل حماره — دكتور لويس عوض : الأهرام ١٠ / ١١ / ١٩٦٧ .

وراجع مقدمة ترجمة كتابه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار إلى الفرنسية لتحقيق منصور بكن وعبد العزيز كحيل وجبرائيل نقولا .

(٢) لقد زعم فرنسى قام بترجمة مظهر التقديس أن أحد أبناء الجبرتى اغتيل سنة ١٨١٣ .

(٣) لقد كانت كتبه محظور طبعها وتداولها فى عهده وعهد خلفائه .

(٤) راجع ما كتبه عنه فى كتابه المشهور عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ج ٦ و ج ٧ .

ويرى بعض الكتاب والمؤرخين أن الجبرتي مهد بآرائه الصريحة الجريئة التي دونها في كتبه « لانتقال العقل المصري من ظلام العصور الوسطى إلى نور العصر الحديث »[1] وأنها كانت إحدى بذور « الثورة المصرية التي انتقلت بها مصر من طور من أطوار تاريخها المفعم بعبر الدهر ، إلى الطور الذي امتد إلى الزمن الذي نعيش فيه[2] .

ولقد عاش عبدالرحمن الجبرتي في حقبة من أحلك حقب التاريخ ، التي مرت بمصر ، فلقد لقي المصريون في أثنائها من الحكام الأتراك على إختلاف مراتبهم من الظلم والإضطهاد والعسف والجور ما لم يكن في حسبانهم ، أو يخطر على قلوبهم ، فترددوا لذلك في حمأة البؤس والشقاء ، والضعة والذل والمهانة ، وتضافر عليهم الفقر والجوع والمرض ، فلقد قضى سليم الأول بعد استيلائه على مصر أن تكون أرضها الزراعية ملكا له وللسلاطين من آل عثمان من بعده ، وألا يكون لملاكها المصريين إلا حق الانتفاع بمحاصيلها ، كأنهم مستأجرون لها ، وألا يرثها أبناؤهم من بعدهم ، إلا إذا اشتروا حق المنفعة من حكومة الوالي التركي .

ولم تلبث الأداة الحكومية في ذلك العهد البغيض أن أصابها العجز فسادت الفوضى في البلاد ، وعمها الفساد ، وعز على الجباة تحصيل الضرائب فاضطرت إلى اتباع طريقة الالتزام ، وهي أن يتعهد من يأنس من نفسه القوة من

---

(١) دكتور لويس عوض .

(٢) المغفور له شفيق غربال المؤرخ الكبير .



علماء الأزهر في عهد الجبرتي يلقون دروسهم

ذوى النفوذ والسلطان فى البلاد ، سواء أكانوا أتراكا ، أو مماليك ، أو مصريين ، بجبى الضرائب من الفلاحين ، وكثيراً ما كان ذلك بالمزايدة . وكان يطلق على من كان يعطى حق الالتزام ، أومن كان يرسو عليه المزاد ، الملتزم . وكان لذلك الملتزم حق التصرف فى دائرة إلتزامه أرضاًوشعباً فصار الفلاحون بذلك الإجراء أشبه برقيق الأرض[1] .

ولقد تأخرت البلاد نتيجة لذلك فى كل شىء :

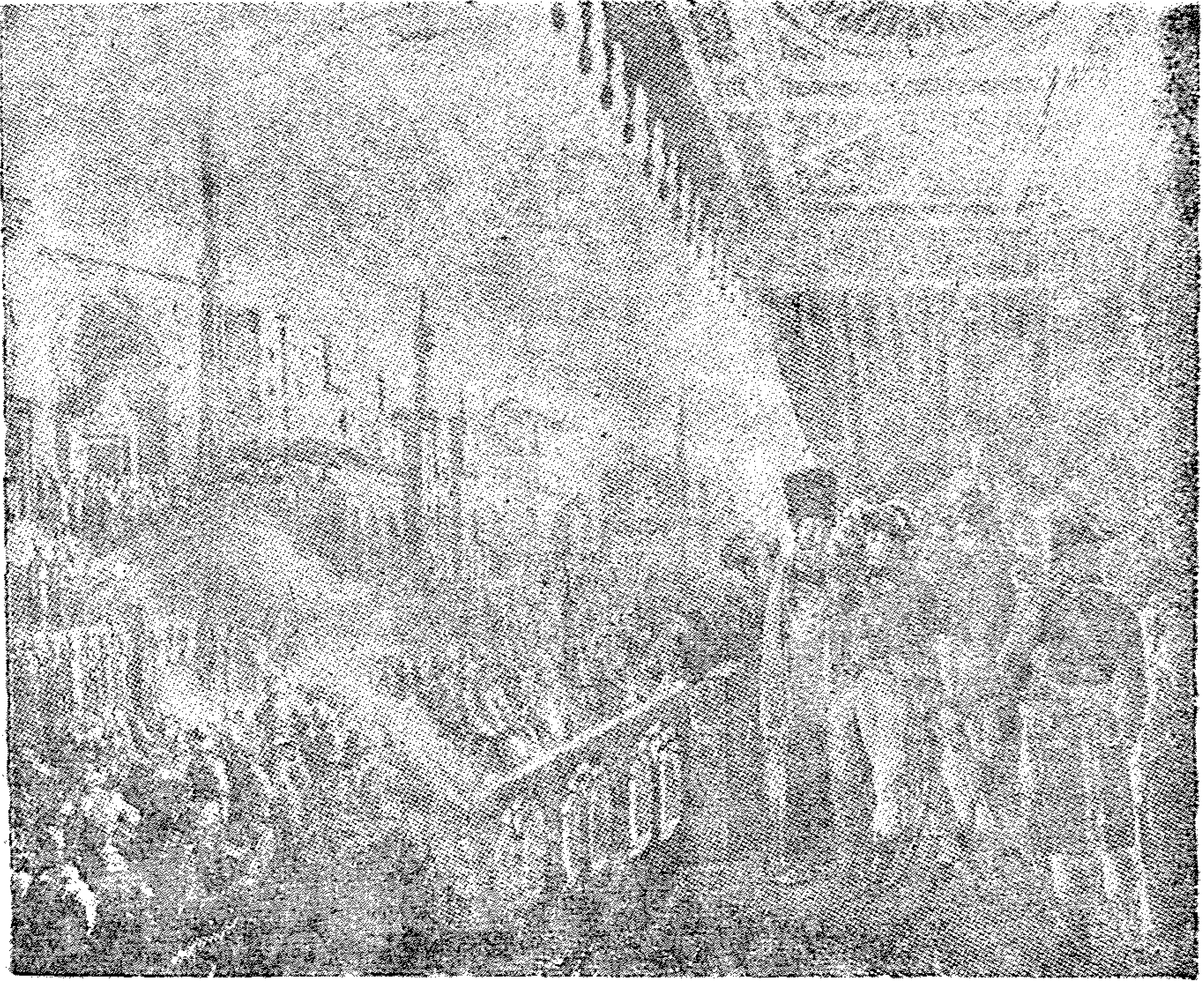
فقد قلت المحاصيل الزراعية ، حتى عجزت بعض الأراضى الزراعية عن أن تفى محاصيلها بما كان عليها من ضرائب ، فهجرها زراعها ، وكسدت التجارة ، وتدهورت الصناعة ، وتبلدت قرائح الناس وعقولهم ، وركد التفكير عندهم ، وسادت الخرافات والخزعبلات بين العامة ، وصار العلم قاصراً على ما كان يتلقاه الدارسون فى الأزهر من العلوم الدينية كالفقه والتوحيد ، والنحو الصرف والمنطق ، الأمر الذى رفع من شأن علماء الأزهر بين الناس .

فكانوا لذلك يجلونهم ويفزعون إليهم ، إذا ما حزبهم أمر ، أو أصابهم مكروه ، أو وقع على كواهلهم ظلم . ولم يلبث أولئك العلماء أن أصبحوا مركز القوة فى البلاد ، والمتكلمين باسم أهلها ، وكثيراً ما كانوا يقودون جموع الشعب الغفيرة إلى دور الحكام الأتراك أو المماليك لقضاء حاجة لهم أو رفع ظلم عنهم ، فيستجيب لهم أولئك الحكام ، وينزلون على رأيهم ، لا بل لقد كانوا — فوق ذلك — يتملقونهم ، ويخطبون ودهم ، ويغدقون عليهم الهبات ، ويعطون بعضهم

(١) ارجع لكتاب الكواكب السائرة للبكرى فى أمثلة صارخة لظلم الأتراك للمصريين .

حتى استغلال الضياع مع إعفائهم مما عليها من ضرائب ، فغرتهم الحياة الدنيا وزين لهم حبها ، فجمعوا الأموال الطائلة ، وتشبهوا بالحكام الأتراك والمماليك فبنوا القصور ، وأكثروا من الخدم واشتروا الجوارى والعبيد .

ولما جاءت الحملة الفرنسية مصر ، كان يعلم قوادها منزلة أولئك العلماء عند الناس من تقارير قناصلهم ، التى كان يبعثون بها إلى فرنسا عن أحوال مصر وأهلها[1] ، فعملوا على كسب رضاهم بادعاء بعضهم الإسلام ، وما تقوم بالاهتمام



بونابرته يشرف على احتفال إسلامى

(١) لقد كانت فرنسا تفكر فى غزو مصر منذ أوائل القرن الثامن عشر ، وكانت فتئت ترسل رجال مخابراتها إليها لسبر قوتها ، ولقد عاد أحدهم الى فرنسا بعد زيارته لمصر ، فكتب يقول : إن الاستيلاء على مصر سهل ميسور لجهل أفراد جيشها بطرق الحرب الحديثة . وأن ليس فى الإسكندرية إلا أربعة مدافع صالحة للاستعمال .

الكبير بالمناسبات الدينية ، والاحتفال بها[1] ، فسكن إليهم الناس ، والعلماء بخاصة ولكن هذه الحال لم تدم طويلا .

إذ لم يلبث الناس أن استاءوا من أساليب حياتهم الطليقة ، وحياة نسائهم بخاصة ، التي لم يألفها الشرق ولا يقرها الإسلام ، ومن الضيق الذي كانوا يحسون به من بعض أعمالهم التي خالوها عسفاً وظلماً ، على الرغم من أن كثيراً منها كان رحمة بهم كأعمال الكورنتينات والحجر على الحريات عند ما كانت تنتشر الأوبئة في البلاد ، ومن الكساد الذي حل بها نتيجة الحصار البحري الذي ضربه البريطانيون حولها نكاية بهم ، فثاروا ضدهم مرات . وانتهى الأمر بتضافر العثمانيين والبريطانيين معهم عليهم ، وإخراجهم من البلاد .

---

(١) وإليك المنشور الذي أذاعه نابليون على المصريين عندما هبط قائداً للحملة أرض مصر :

بسم الله الرحمن الرحيم .

لا إله إلا الله ، ولا ولد له ، ولا شريك له في ملكه .

أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف (يقصد مصر) إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح ، فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى ، واحترم نبيه والقرآن العظيم .

من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالي مصر من الدخول في المناصب السامية ، ومن اكتساب المراتب العالية ، فالعلماء والفضلاء سيدبرون الأمور ...

أيها المشايخ والقضاة والأئمة . قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون ، وإثبات ذلك أنهم نزلوا في رومة . . وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة الإسلام والمسلمين ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالرية ، الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين .

عود على بدء

الحملة الفرنسية على مصر:

لقد جاءت الحملة الفرنسية مصر لأسباب كثيرة يرجعها المؤرخون إلى ما نجمله فيما يأتى:

(١) الكيد لبريطانيا[1] باستيلائها على مصر لموقعها الاستراتيجى البديع، الذى يمكن الفرنسيين من قطع مواصلات بريطانيا مع مستعمراتها الأسيوية والهند بخاصة، فوق أنه متى تم لهم ذلك استطاعوا أن يحولوا التجارة بين آسيا وأوربا من طريق رأس الرجا الصالح. الذى تسيطر عليه إلى طريقها الأول عبر برزخ السويس والبحر المتوسط، الذى كانت تسلكه قبل الاستكشافات الجغرافية، فيجنون ما كانت تجنيه مصر المملوكية والبندقية فى الأيام الخالية.

(٢) تطلع فرانسا إلى التوسع فى الشرق بعد انتصارها فى أوروبا لتعويض مستعمراتها التى فقدتها، وقد كان الفرنسيون ينوون الدوام والاستمرار فى مصر وجعلها ركيزة التوسع[2]، وآية ذلك اصطحابهم نخبة من علمائهم[3] فى كل علم وفن، ومعهم آلاتهم وعددهم للبحث والدراسة.

---

(١) لقد كانت فرانسا تشعر بمرارة شديدة لتغلب انجلترا عليها واستيلائها على مستعمراتها فى آسيا وأمريكا وكانت تتحين الفرصة للانتقام منها، وأعدت العدة لنزوها فى عقر دارها، ولكن تفوق أسطولها على الأسطول الفرنسى حال دون ذلك، وآخر ساستها وقوادها فأجمعوا على غزو مصر لقطع صلاتها بمستعمراتها الأسيوية.

(٢) لقد كانت فكرة تكوين امبراطورية فرنسيه فى الشرق، قلبها مصر تداعب خيال نابليون الخصيب، فقد كان يحلم بالتشبه بالإسكندر الاكبر.

(٣) لقد أعد نابليون لذلك مائة عالم، ولقد حرص أن يكونوا مختارين أحسن اختيار، وأن يمثلوا كل نوع من أنواع العلوم والفنون.

ولقد بقيت الحملة الفرنسية فى مصر ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، وقام رجالها فى أثناء تلك الفترة القصيرة بأعمال جليلة[1] ، أهمها وأحراها بالذكر :

(١) وضعهم نواة الحكم النيابى فى مصر بإنشائهم الديوان المركزى فى القاهرة ، والدواوين الإقليمية التى كان يرجع إليها الحكام فيما كانوا يصدرون ويوردون من أمور ، وإشراكهم المصريين فى عضويتها ، لا بل كان رئيس الديون المركزى مصريا ، وهو الشيخ عبد الله الشرقاوى العالم الأزهرى المعروف وكان الجبرتى عضوا فيه .

(٢) إنشاؤهم المجمع العلمى ولجانه العشر[2] للبحوث العلمية والأدبية والاجتماعية والفنية ، وقيام أعضائها بتأليف كتب قيمة عن تاريخ مصر وآثارها الخالدة وحياة أهلها ، انتشرت فى أقطار أوروبا المختلفة فنبهت علماءها إلى مجد مصر الغابر ، فجاءوها ، وكتب بعضهم عنها كتبا جليلة .

(٣) قيامهم بإصلاحات كثيرة فى القاهرة وغيرها من المدن كإدخال الإنارة فى الشوارع وكنسها ورشها .

---

(١) لقد قال ايبرز المؤرخ الألمانى عن علماء الحملة : لقد كسبوا لأمتهم الحق فى أن تفخر بأن الحملة كانت مثمرة جدا ، فقد ألقى علماؤها بما كتبوا الضوء على مهد الحضارة والمدنية ، بعد أن خيم عليها الظلام قرونا ، وفتحوا أمام العالم مسالك جديدة للبحث والاستقراء والدراسة .

(٢) أهم تلك اللجان :

(١) لجنة التشريع والعادات والتقاليد .

(٢) لجنة الآثار القديمة . (٣) لجنة التاريخ ونظام الحكم .

(٤) لجنة التجارة والصناعة . (٥) لجنة النيل .

(٦) لجنة الزراعة . (٧) لجنة الإدارة .

(٨) « نظام الشرطة .

(٤) انشاء المسارح والمكتبات العامة .

وأجل ماخلفوه ذلك الكتاب الفذ وهو وصف مصر ، الذى لايزال مرجعاً هاماً لمن يريد الكتابة عن مصر[١].

ولكنهم فى الوقت نفسه أنشأوا محالا عامة للرقص والملاهى الأخرى على النسق الفرنسى ، وكان يسودها المجون والخلاعة ، وتباح فيها المحرمات ، وتخالف تقاليد البلاد ، فتأثر كثير من المصريين بالفرنسيين وتشبهوا بهم ، فشرب الرجال الخر علانية ، ونضت كثيرات من نسائم الحجاب ، وتبرجن تبرج الفرنسيات ، وخرجن عن الحشمة والوقار[٢] .

---

(١) ومن أجل أعمالهم أيضا وضعهم خريطة جغرافية صحيحة لمصر ، وكشفهم لحجر رشيد الذى كان مفتاحا للغة الهروغليفية .

(٢) وفى ذلك يقول الجبرتى .

لما حضر الفرنسيس إلى مصر ومع بعض منهم نساؤهم كانوا يمشون فى الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه ، لابسات الفستانات ... ويركبون الخيول والحمير ، ويسوقونها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة ، فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش . فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء ، وبذل الأموال لهن ، . وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة فى إخفائه ، فلما وقعت الفتنة الأخيرة (ثورة القاهرة الثانية) وحارب الفرنسيون أهل بولاق ، وفتكوا بهم .. وأخذوا ما استحسنوا من النساء والبنات ، وصرن مأسورات عندهم فزيوهن بزى نسائهم ، وأجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال ، فخلع أكثرهن نقاب الحياء ... وتداخل مع أولئك المستورات غيرهن من النساء الفواجر ... فطرحن الحشمة والوقار ، واستملن نظرائهن ، وخطب الكثير منهم (الفرنسيس) بنات الأعيان وتزوجوهن ... واستطرد الجبرتى فى وصف تبرج النساء . . فقال :

ومنها أنه لما أوفى النيل أذرعه ودخل الماء الخليج ، وجرت فيه السفن ، وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ، ومصاحبتهن لهم فى المراكب والرقص والغناء والشرب فى النهار والليل ... وصحبتهم آلات الطرب ، وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ، ويتجاوبون برفع الصوت فى تحريك القاديف بسخيف موضوعاتهم ... وخصوصا إذا دبت الحشيشة فى رؤوسهم وتحكمت فى عقولهم ، فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ، ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غنائهم ، وتقليد كلامهم شيء كثير .

وعلى الرغم من أن تبرج الفرنسيات وخلاعتهن كانا قذى فى أعين المصريين جميعاً ومثار غضبهم ، فإن احترام الفرنسيين لنسائهم وعطفهم عليهن استرعى نظر بعض الرجال من المصريين واستحسنوه ، وودوا لو يقلدوهم فيه ، لولا خشية لوم اللائمين ، الذين حجرت قلوبهم التقاليد الموروثة ، كما هزت عواطف النساء المصريات ، اللائى شاهدن ذلك هزة عنيفة ، وغبطن الفرنسيات ، ووددن لو أن أزواجهن يعطوهن بعض حقوقهن المسلوبة ، تلك الحقوق التى كانت جداتهن يتمتعن بها فى عصر الفراعنة ، وفى عهد العرب وفى صدر الإسلام بخاصة(١) .

وعندما خرج الفرنسيون من مصر ، ابتهج المصريون جميعاً ، أيما ابتهاج ، وهنأ بعضهم بعضاً على ذلك ، ورحبوا بعودة الأتراك إلى حكم البلاد ، على الرغم من جفاء طباعهم واستعلائهم عليهم ، ومعاملتهم لهم بالقسوة والجبروت ، لأنهم مسلمون ، ويمثلون لدولة الخلافة ، الأمر الذى جعلهم لايشعرون فى أثناء حكمها الطويل القاسى ، بأنهم تحت سيطرة أجنبية ؛ فلما جاءت الحملة الفرنسية التى كان حكمها بوجه عام أخف وطأة عليهم ، وأرأف بهم وأرحم ، شعروا بذل الخاضع المستعبد ، فثاروا ضد الفرنسيين مرات .

ولقد كان الجبرتى كغيره من المصريين سعيدا بخروج الفرنسيس من البلاد .

ولقد صور الجبرتى شعوره وشعور المصريين بذلك فى كتابه ، مظهر التقديس فى خروج دولة الفرنسيس » ، فابدع فيه .

---

(١) احترام المرأة والعطف عليها تقليد عربى قديم ومن أهم علامات الفتوة العربية ، وقد نقله الغربيون إبان الحروب الصليبية إلى أوروبا حيث انتشر فيها وصار من تعاليم الفروسية الغربية ، ولكننا نسينا هذا التقليد بتأثير الأتراك .

وعندما ألف كتابه الثانى عجائب الآثار فى التراجم والأخبار أعتمد عليه اعتمادا كبيرا .

ويعتبر كتاب « مظهر التقديس فى خروج دولة الفرنسيس » وثيقة تاريخية كتبها من شهد أحداث الاحتلال الفرنسى من أولها إلى نهايتها ، وأرخ لهذه الأحداث تأريخاً أميناً دقيقاً .

وتعليقات الجبرتى على هذه الأحداث تدل على وطنية صادقة على الرغم من مخالطته الفرنسيين ، ومعرفة ماهم عليه من علم وحضارة ، إلا أنه كان كارهاً لهذا الاحتلال الأجنبى مثله مثل جميع المصريين ، وعلى الرغم من محاولة الفرنسيين استرضاء علماء الأزهر وإشتراكهم فى الحكم (ولو صورياً) .

وقد اعتمدنا فى تحقيق هذا الكتاب على نسخة خطية بدار الكتب ، ومرنا فى التحقيق على الطريقة العلمية الصحيحة ، فالكتاب يغص بالأخطاء اللغوية والنحوية . وقد لجأنا إلى تصحيح الأخطاء النحوية ونبهنا عليها بالهامش حتى يستقيم المعنى ، وتركنا الأخطاء اللغوية مع التنبيه عليها إلا فى الحالات التى نجد أن المعنى فيها سيستغلق على القارىء .

وهناك نصوص الرسائل والمنشورات التى كان يذيعها الفرنسيون ، ويكتبها التابعون لهم من الذين لا يحسنون التعبير ، وقد تركناها كما هى بدون تغيير ، ونبهنا على الأشياء الضرورية بالهامش ليصير الكلام مفهوماً

ويرتفع الجبرتى بأسلوبه أحياناً ويسف أحيانا كما أشرنا ، ولكن الكتاب على الرغم من هذا قد خلا من تلك الكلمات العامية التى يزخر بها كتابه عجائب الآثار وبخاصة الكلمات التركية .

هذا وقد نشر الكتاب منذ سنوات فى طبعة شعبية خالية من التحقيق ، وقد نفدت هذه الطبعة ، ورأينا لقيمة الكتاب ونفاسته وأهميته لتاريخنا الحديث أن نعنى به ، وأن نحققه تحقيقا علميا يعين القارىء على تفهم تاريخه ، وكيف أن أسلافه من المصريين قاوموا الاحتلال الأجنبى أشد مقاومة على الرغم من قوة العدو وضراوة أسلحته، وخلوا يدى المصريين من السلاح إلا سلاح الحق والإيمان، بأنهم يحاربون عدوا قد اغتصب ديارهم ، وحاول تهجين عاداتهم ، وإفساد حياتهم ودينهم وأخلاقهم .

لقد كتب كثير من الغربيين عن الحملة الفرنسية على مصر ، وكانت كتاباتهم كلها تعبر عن وجهة النظر الغربية ، ولاتخلو من الأغراض والأهواء وتأثير المنازعات بين الدول الاستعمارية ، وإن الجبرتى يقدم فى كتابه «مظهر التقديس» وجهة النظر المصرية ، ولعل فيها جلاء الحقيقة من بعض وجوهها .

وقد ضمّنا الكتاب بعض الصور التى قام برسمها فنانون عالميون لبعض الشخصيات البارزة ذات الأثر فى الأحداث التى سجلها الجبرتى فى هذا الكتاب ، وكذلك بعض معالم القاهرة فى ذلك الوقت .

هذا وقد أتبعنا الكتاب بفهارس عديدة تعين القارىء على البحث ، وتيسر عليه مهمة القراءة .

والله نسأل أن ينفع به وهو الموفق للصواب .

المحققان

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي ورجائي

حمداً لمن جعل كلمة الذين كفروا السُّفلى ، وكلمةَ الله هي العليا ، وجعل الدولة العثمانية والمملكة الخاقانية بهجة الدين والدنيا . وصلاةً وسلاما على من نصر بالرعب والصَّبا ، وأشاد هذا الدين القويم بشب[1] السمهرية والظُّبَا ، وعلى آله وأصحابه الداحضين لشوكة كل قامع متمرد ، والفائزين لبذل نفيس نفوسهم بكل نصر بديع متجددْ . أمّا بعد فإن وقوع وقايع الأيام وخطوبها . وحوادث الحادثات وكروبها ، لم تزل من حين خلق الله العالم متتالية ، وفي ضمن الليالي والأيام متوارية ، وهي بحسب اقتضا[2] التجليات ، ومظاهر الأسما[3] والصفات متنوعة إلى أنواع داخلة في حيز[4] الابتداع والاختراع ، بما أودعه الله من الخصائص في الآثار العُلْوية عند اقتران بعضها ببعض ، وارتباط المناسبات الخفية بينها وبين ما على وجه الأرض . وذلك بحسب جرى العادة الإلٰهية ، له مسببات وحوادث يستدل عليها بتلك القرانات[5] والمناظرات . وقد أودع الله في بعض خالص النفوس البشرية ، والأرواح المجردة عن العلايق الجسمية ، والشهوات النفسية معرفة بعض تلك الحوادث ، إما بإلهام أو باكتساب

---

(١) الشب : الإيقاد ، وارتفاع كل شيء ، ولعلها شبا : جمع شباة وهي حد كل شيء ، وذلك يناسب السمهرية : وهي الرماح ، والظبا : جمع ظبة وهي طرف السيف .

(٢) هكذا في الأصل ولعلها اقتضاء إذ لا داعي للقصر .

(٣) هكذا في الأصل وهي الأسماء .

(٤) في الأصل خير وهو تحريف .

(٥) عندما تقترن بعض النجوم أو الكواكب بعضها الآخر — ويريد بها هنا الدلائل والعلامات .

ونظر فى علم الأحكام ، فبالنجم يهتدون . وبالنظر فى ملكوت السموات والأرض يستدلون فيعرفون . من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات . وإنما هى أسباب عادية وعلامات .

وإن من أعظم الدلائل على مارُميت به مصر ، وحل به لأهلها تنوع البؤس والإصر[1] بحلول كفرة الفرنسيس . ووقوع هذا العذاب البئيس ، حصول الخسوف الكلى فى شهر ذى الحجة بطالع مشرق الجوزاء[2] المنسوب إليه إقليم مصر .

وقد كان هؤلاء الأقوام وأمثالهم ، فمن لهم فى الخروج مشارك . ولزوم الإفساد متربص متدارك ، كل يريد الحلول بأرضها والتفىء بظلال خصبها وروضها . فيرجع بخُفَّى حُنَيْن ، وتنقلب أُمنيته مَنِيَّة وحَيْن . ولم تزل منذ وضع أساسها وأضاء فى دَيْجور[3] الأقطار نبراسها[4] محمية عن تطرق أيدى المفسدين . مصانة عن أن يطرق حماها عصابة المعتدين . لا يطمع خارجى فى الحلول بساحتها ، ولا تحدثه نفسه بالتغلب على رياستها . رهبة من سطوة حماتها ، وأسود غَيْضَاتها[5] الذين كانوا من قديم الزمان كالشَّجا[6] فى حلق العدو . والحسام المجرّد فى وجوههم ، بحيث سلبهم الراحة والهدو . لا يتوجهون لجيش إلا هزموه ، ولا يحاربهم متغلب إلاّ غلبوه . هؤلاء التاتار قد استولوا

(١) الإصر : الذنب والثقل .

(٢) فى الأصل الجوز وهو تحريف ، والجوزاء : برج فى السماء وسميت بذلك لاعتراضها فى جوز السماء أى وسطها .

(٣) الديجور : الظلمة .

(٤) النبراس : المصباح .

(٥) الغيضة : الأجمة ، ومجتمع الشجر فى مغيض ماء .

(٦) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

على كل الأرض . وأزلوا دولة كل مَلِك من شامخ عالٍ إلى خفض ، كثيراً ما قهرتهم جند القاهرة . وباءوا عند توجههم إليها بصفقة خاسرة ، بحيث لم تقم لهم بعد تلك الهزيمة دولة ، ولا تحقق منهم بعد تلك الغلبة صولة[(١)] . وذلك وقت أن كان الناس ناس والزّمان زمان[(٢)] . وجند أهل هذا القطر مستيقظين لسداد الثغور بأبطال الرجال ، وعُقبان الفرسان ، وإن الدولة العثمانية أبقاها الله وأشادها ، ووضع على أساس العظمة والعز عمادها ، كانت وسدّت[(٣)] أمور مصر لمن بها من الحكام ، اعتماداً على شهرة شجاعتهم وحمايتهم السائرة بين الخاص والعام . وتلك الأحكام[(٤)] أيضاً اعتمدوا على سالف الشهرة . وركنوا إلى الدهر ولم يأمنوا غدره ، فخربوا الثغور ، وأشادوا القصور ، واستبدلوا بأبطال الرجال ربات الخدور والحجال[(٥)] ، وبشجعان الفرسان ، حسان الغلمان ، وتسابقوا فى حلبة الكُميت مع الخيلاء والزّهو إلى ميدان كل خلاعة ولهو ، لا يردون إلاّ موردَ مسرّة ، ولا يبالون بما أغفلوه من أسباب المضرة ، غفل الدهر عنهم فناموا ، وظفروا بأمانيهم[(٦)] فترددوا فى جهالتهم وهاموا ، حتى خلقت مصر منهم واستقالت ، وللدولة العثمانية أبقاها الله شكت وقالت :

فليت لى بهم قوما إذا ركبوا … شنوا الإغارةَ فرسان وركبان[(٧)]

---

(١) يشير إلى انهزام التتار على يد المصريين بقيادة السلطان قطز فى موقعة عين جالوت بوادى بيسان .

(٢) هكذا فى الأصل كان الناس ناس والزمان زمان ، والصواب كان الناس ناساً والزمان زماناً .

(٣) هكذا فى الأصل ، ولعلها أسندت .

(٤) لعلها الحكام حتى يستقيم الكلام .

(٥) فى الأصل : واستبدلوا أبطال الرجال بربات الخدور . وهو خطأ نحوى إذ القاعدة أن الباء تدخل على المتروك . والحجال : جمع حجل وهو الخلخال .

(٦) فى الأصل وظفروا بأمانيهم .

(٧) هذا البيت قائله قريط بن أنيف أحد بنى العنبر من شعراء الحماسة وهو شاعر إسلامى وصحة البيت فرساناً وركباناً ، فرساناً راكبى الخيول ، وركباناً راكبى الإبل .

ومادروا أن الدولهم بمرصاد ، وأنه لا بد للدهر من يقظة يسترد بها ما وهب ويزداد ، وما هكذا تحفظ البلاد ، وتساس الرعايا والأجناد .

قال صاحبنا الآتى ذكره :

إنما هـــذه البلادُ لأقوام　　حَمَـــوْها بالصارم المسلولِ

وأرى دولة الماليـــك مالت　　لضروب اللزات بالتحصيل

وافتنوا عن تجريد سيف ورمح　　بقـــوام لَدْنٍ وطَرْف كحيل

ولما لم يقتفوا آثار من مضى من الدول ، وأضاعوا ما تعب فى تأسيس قواعده الأُوَل ، تطرق الخلل لهذا القطر العظيم من كل جهة ، وأضحت وجوه محاسنه بما ابتدعوه مشوَّهة ، فأصبح الغَنِيُّ بالمصادرات فقير[1] وعز بالتقرب إليهم من سفلة السُّماة كلُّ حقير ، ورغبوا عن الفضائل فدرست ، ومالوا إلى سفاسف الأمور فراج سوقها وربحت ، فقلَّت الفضلاء ، وكثرت الجهال ، وارتفع مقدار كل غبى فى كل حال ، ولقد كانت مصر مجمع الفضلآء ، ومركز النبلاء ، وقطب دأرة الفصحاء ، ومَنْشأً لبلغاء الكتاب والشعراء ، جمعت ما تفرق فى غيرها من المحاسن ، وورد أهلها من موارد اللذّات شرابا غير آسن[2] بها تخترع الصنايع البديعة ، ويستنبط فيها[3] كل نادرة رفيعة ، فلمّا دهت الفرنسيس ثغرها الخالى ، ووقفت منه على طَلَلٍ[4] بالى ، سهل عليهم الحال فاقتحموه ، ودخلوا من باب الإقليم بدون أن يفتحوه ، وتقاعدت العساكر

(١) هكذا فى الأصل والصحيح فقيراً خبر أصبح .

(٢) الماء الآسن : الراكد المتغير اللون والطعم والرائحة .

(٣) زيادة يقتضيها المقام .

(٤) الطلل : مابقى من الآثار .

المصرية عن التسارع لاستنقاذ الثغر ، فعظم البلاء ، وأخذ العدو يطوى بساط الأرض ، حتى إذا التقى الجمعان ، لم يسع القوم إ الفرار فى الفلاة ، فكم تركوا من جنات[1] وعيون وزروع ، وأصبحوا مشتتين فى أقطار الأرض لا يقر لهم لب ، ولا روع[2] وأناخت دولة الكفار بكلكلها على هذا القطر العظيم ، وانتشروا فى أرجائه انتشار السم فى جسد السليم ، فياله من خطب فظيع وحادث جلل شنيع ، امحقت به محاسن مصر الفريدة ، وتخلخلت قواعد مملكتها العتيدة ، فأصبحت مقهورة بعد أن كانت هى القاهرة ، ومطموسة المحاسن بعد أن كانت محاسنها لكل قطر باهرة .

بلدةٌ أوقاتُهـــا سَحَرٌ وصَباً فى ذيـــله بَلَلُ
ونسيمٌ عَـــرْفه أَرِجٌ ورياضٌ غُصْنهـــا ثَمِلُ
ووجوهٌ كلهـــا غُرَرٌ وكلامٌ كلـــه مَثَلُ[3]

وماذا يبلغ إطرائى أو يستوعب عِقْد ثنائى بعد ذكر الله لها فى آيات عديدة من كتابه ، وتوصية النبى على أهلها لمعظم أصحابه ، ولم تزل أحاديث فضائلها على ألسنة المتقدمين والمتأخرين تتلى ، وغرر محاسنها تتجدد فى كل وقت فلا تبيد ولا تبلى ، قد ملأت تلك الأحاديث أسفاراً ، وعمرت تلك المحاسن بلاداً وأقطاراً ، سحبت تلك المحاسنُ ذيل النسيان على غُوطة دمشق وسُغْدِ[4]

---

(١) فى الأصل : فلم تركوا منهجنات ... الخ وهو اقتباس من الآية الكريمة « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين الآتية ٢٤ — ٢٦ سورة الدخان .

(٢) الروع : بضم الراء المشددة القلب .

(٣) فى الأصل . ووجوه كلها غدر ، وكلام كلها مثل وهو تحريف .

(٤) صغد سمرقند : بساتين نزهة وأما كن مثمرة بسمرقند (قاموس .

سمرقند وشِعب بَوّان[١] وجرى حديث نيلها المكرَّر على كل لسان ، حتى كأن لم يكن ، ثمَّ ذكر لسَيْحان وجَيْحان[٢] هذا وكم للناس فى وصف منتزهاتها ، وساحات مسراتها ، ما يجرى فى النفوس مجرى السُّلاَف[٣] ويكون لرياض الأدب أبهى قطاف ، كقول موسى بن عيسى الهاشمى ، أمير مصر يصف جزيرة الحبش ، وقد خرج إلى الميدان الذى بطرف المقابر ، فقال لمن معه . أتتأملون ما أرى ؟

فقالوا : وما الذى يرى الأمير ؟

فقال أرى ميدان رِهان ، وجنان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سُكنى ، وذِرْوَةَ جبل ، وجَبَّانه أموات ، ونهراً عَجّاجاً ، وأرضَ زرع ومراعى ماشية ، ومَرتَع خَيْلْ ، وساحَل بحر ، وصَايد نهر ، وقانص وَحْش ، ومَلاَّح سفينة ، وحادِى إبل ، ومفازَة رمل ، وسهلاً وجبلا ، فهذه ثمانية عشر منتزها فى أقل من ميل ، وأين هذه الأوصاف من وصف بعضهم قصر أنس بالبصرة فى قوله :

زُرْ وادىَ القصر نِعم القصر والوادى   لاَ بُدَّ مِن زَوْرَةٍ فى غير ميعادِ
زُره فليسَ لَهُ شىء يُشاكِلُه   من مَنْزِل حاضر إن شئت أو بادى[٤]

---

(١) الشعب : الطريق فى الجبل ، أو سيل الماء فى الرياض ، وشعب بوان بفارس (إحدى الجنان الأربع الدنيوية — القاموس) وفيه قال المتنبى قصيدته المشهورة التى مطلعها :

مغانى الشعب طيباً   المغانى بمنزلة الربيع من الزمان

(٢) المشهور : سيحون وجيحون نهران يصبان فى بحر (آرال) بالاتحاد السوفيتى ، وتقع على أحدهما (سيحون) مدينة طشقند وعلى الآخر (جيحون) مدينة بخارى .

(٣) السلاف : الخمر .

(٤) حاضر : منسوب إلى الحاضرة وهى المدينة ، وبادى منسوب إلى البادية وهى الصحراء .

تلقى به السفنَ والأفراحَ حاضرةً والنُونَ والضَبَّ والملاَّح والحادى

ولقد كادت تعم الرزية ، وتصير القَضيةُ أندلسية[1] ، لولا عناية من أيده الله بالنصر والتمكين ، وتلى[2] عساكره المنصور مهما توجه لمقل آيةَ الفتح المبين ، وهو الملكُ الأعظم ، والسلطان الأفخم غياثُ للسلمين ، ملاذ المؤمنين ، مالك رقاب الأمم ، ملجأ العرب والعجم ، حافظ ناموس الشريعة الغراء ، بقوة سطوته ، باسط بساط العدل والإحسان على كامل رعيته ، قامع الطُغاة المعتدين ، مبيد الفجرة المتمردين ، سيف الله المسلول على كل طاغى ، قاطع أصل شجرة كل مفسد وباغى[3] ، غيثُ الندا ، مجيب النِّدا ، قمرُ الهدى ، ليثُ العدا ، المحتف[4] بعناية الرب الكريم ، مولانا السلطان الغازى[5] سليم . اللهم أدم ملكه ، واجعل الدنيا بأسرها مِلكَه ، ولا تدعْ له عدوًّا إلا قصمته ، ولا مخالفاً إلا أهلكته ، واجعل اللهم رؤوس الكفار حصيدا لسيوف عساكره ، وبلادهم داخلة تحت نواهيه وأوامره ، مخدومة عساكره بالعز والنصر ، أينما توجهت ، مقترنة بالظفر والفوز ، أينما سلكت ، فتوجهت ، انتصارا للإسلام عزيمته ، وتسامت لاستنقاذ مصر من أيدى أولئك الأشرار همته ، فوجَّهَ إليها بوجوه دولته وعساكر حمايته من كل رئيس بصير بأمور العواقب ، مدبر الأمور على أوفق رأى صائب ، فطن بقوانين السياسة ، خبير بمراسيم الرياسة ،

---

(١) أى تضيع البلاد فى يد الفرنج كما ضاعت الأندلس .

(٢) هكذا فى الأصل ولعلها : وآتاه عساكره المنصورة أو تكون تلا من التلاوة أى يتلو عساكر آية النصر المبين .

(٣) الصحيح طاغ وباغ بحذف ياء المنقوص .

(٤) من حفه يحفه أحاط به ومنه قوله تعالى (حافين من حول العرش) ، وقوله تعالى (وحففناهما بنخل) ، ولكن صيغة احتف لم ترد بهذا المعنى .

(٥) فى الأصل : المغازى وهو تحريف .

حازوا[1] لكل فضيلة تعد غرة فى جبهة الدهر ، وأضاء مصباح أذهانهم فى إيراد القضايا وإصدارها إذا أشكل الأمر .

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا   أجابوا وإن أُعطَوْا أصابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم   وإن أحسنوا فيما أَتَوْه وأجملوا

عصابة بذلوا نفوسهم فى تشييد الدين وتأييده ، واقتناء الذكر الحسن وتخليده ، وتشدّدُوا فى أجر الشريعة وإنقاذها ، وبددوا أرواح من خالفها لاستنقاذها .

قوم إذا لم يُقْبَلِ الحقُّ منهمُ   ويُعْطَوه عاذوا بالسيوف القواضب[2]

أولئك النجوم الطوالع ، والغيوث الهوامع ، تزينت بهم سماء[3] الممالك ، وأنارت بهم للرشاد مسالك ، ومولانا الوزير أيده الله شمس تلك السماء ، وأساس افتخار أولئك الرؤساء ، صاحب السيف والقلم ، معدن العلم والحكم ، رافع علم الإسلام ، مشيد الشريعة والأحكام ، حائز أشتات الفضائل ، تاج الرؤساء والأماثل ، بهجة الدين والدنيا ، مرتقى ذِرْوة الشرف العليا ، سيف السلطنة المجرد لقمع الأعداء ، نبراسها المضىء فى سائر الأقطار والأرجاء ، مدبر بصائب رأيه قوانين المملكة ، منقذ الأمة المحمدية من التردىّ فى كل مَهْلكة .

إن عُد أيامُ اللقاء فإنما   يوماه يومُ ندىً ويومُ طِعان
يكسو الأسرةَ والمنابرَ بهجةً   ويزَينها بفصاحة وبيان
تمضى أسنَّتُه ويُسْفِر وجهه   فى الحروب عند تغير الألوان

---

(١) هكذا وردت فى الأصل بصيغة الجمع ولعلها حائز .

(٢) فى الأصل : إذا لم يقبل الحق وهو تحريف .

(٣) درج المؤلف على حذف همزة الممدود فى كل المقدمة وقد وضعنا الهمزة إذ لا داعى لحذفها .

ألقت صعاب الحصون مقاليدها ليده ، وأصبح الدهر فى عدايد عُدَّته وعَدَده ، فيمينه الغَرَّاء مَثْلم شفاه الجبابرة ، وغمامة الكرم المغيثة الماطرة ، فباطنها للهندى(١) وظاهرها للقبل ، ونائلها للغنى ، وسطوتها للأجل ، وماذا عسى أن أصف من محاسنه الكريمة ، وأعدد من غرر فضائله الجسيمة ، وهو تاج المجاهدين الذين عليهم الحق قد أثنى ، ووعدهم فى مقابلة بيع نفوسهم فى مرضاته بالحسنى ، له المنة العظمى على المسلمين ، باستنقاذهم من أسر الكفرة المعتدين ، ورد النومَ إلى أجفانهم ، والأمنَ إلى أوطانهم ، بعد أن سُلبوا نوماً وأمنا ، واستبدلوا بالعز والسرور ذُلاً وحزنا .

إذا الوزير لنا جادت يداه نَدىً ... لم يُحمد الأجودانِ البحرُ والمَطَرُ
وإن أضاءت لنـــا أنوارُ غُرَّته ... تضاءل النَّيرانِ الشمسُ والقمـــر
من لم يَبِتْ حذرا من خوف سَطْوته ... لم يدر ما المزعجان السيفُ والحَذَر
ينـــال بالظَنِّ ما يَعْيِي العَيانُ به ... والشَّاهـــدان عليه العَينُ والأَثَرُ
كأنه وزمامُ الملـــك فى يده ... يرى عـــواقب ما يأتِى وما يَذَرُ

اللَّهم اجعل أيامه كلها سعيدة ، ومفاخره مشَيدَة عتيدة ، والنصرَ حيث سار يقدُمه ، والعزَّ أينما توجه يخدُمه ، بالغا بمزيد الإجلال أمانيه ، مشكورا على ألسنة العالم مساعيه ، محموداً فى إيراده وإصداره ، ممدوحا فى علانيته وإسراره ، منقادة إليه من الأمور أسبابُها ، مذلَّلة لديه صعابُها ، تُنْشده كل يوم ألسنة المعالى على مرّ الأيام والليالى :

بقيت بقاء الدَّهر يا كهفَ أهله ... وهـــذا دعاء للبرية شاملُ

ثم من الاتفاقات التى يتفطن لها الأديب ، وينقاد لحكمتها اللبيب ، أن

(١) أى السيف الهند .

مصر إذا تشوهت محاسنها ، وغَصّت بشرار الدول مساكنها ، لا يكون تطهيرها من أرجاسها وإعادة ماذهب من بهجتها وإيناسها ، إلاّ بمن تسمى بهذا الاسم الشريف ، أعنى يوسف ، فهو الذى بهذه المنقبة ينعت ويوصف ، وهذا من السرّ البديع ، الذى أودعه الله فى المسمّى به ، وارتباط الخصوصية بينه وبين إصلاح حال مصر ، وإنه إذا حل بها دولة خاسرة فى الغالب لا تُزال إلاّ بمن اسمه يوسف ، ووجود الخصوصيات والارتباط بالمناسبة الطبيعية ، والأسرار الفلكية ، أمر شوهد منه بعضُه مالا يصلح معه أن ينكر باقيه ، فإن الله قد جعل فى كل شىء من المخلوقات خصوصيات فى نفسه ، وخصوصيات يقع الارتباط بها بينه وبين بعض الأشياء ، المشاكلة له ، حتى الألفاظ كما هو معلوم ، لكن تلك الخصوصيات لا يطلع عليها إلاّ من أحاط بكل شىء علما . وقد أطلعنا الله على بعضها ، منها الخصوصية فى هذا الاسم . والشاهد على ذلك أن أول يوسف أصلح حال مصر ، وبنى فيها إقليما كبيرا ، وهو إقليم الفيوم ؛ ووضع مقياسا للنيل ، وحفر الخليج المسمى الآن ببحر يوسف ، ونصب الجسور ، ودبر المعاش للناس فى الجَدْب المتوالى سبع سنين . ولولا ذلك التدبير لهلكوا ، وهو يوسف الصديق عليه السلام ، ويوسف صلاح الدين هو الذى استنقذها من الفواطم وأزال البدعة ، وأظهر السنة ، وبنى قلعة الجبل ، وجدد دولة الأكراد ، التى هى من خير الدول ، وكذلك لما قدم المغفور له السلطان سليم الأكبر إلى مصر كان وزيره يوسف باشا ، فتوفى قبل دخوله إلى مصر ، فحزن السلطان عليه حُزْناً شديدا ، حتى قال ما نصنع بمصر من غير يوسف . [و]مولانا[(١)] الوزير أبقاه الله هو ثالث من ملك مصر ، ممن تسمى بهذا الاسم وانفرد بهذه الخصوصية ، لأنه أزال دولة الكفار ، وجدد دولة الأخيار . وعادت به بهجة

(١) زيادة يقتضيها السياق .

مصر بعد امحاقها ، وأشرقت شمس طلعته على آفاقها ، فانصلح بعد الفساد حالها ، وردّ إليها بعد التشوه جمالها . وإلى هذا المعنى يشير صاحبنا الآتى ذِكْرُه .

يوسف الصديق النبى إليه ملكُ مصرٍ من بعد فرعون صارا
فأزال الشقاء عنها وفاقت كل قطر نضارة ونُضارا
وصلاحُ للدين يوسفُ قد أذهب من دولة الفواطم عارا
وبه دولة الكرام من الأكراد شادوا للدين فيها منارا
ثم قد جاءها الوزير مزيلا للفرنسيس حين أخلوا الديارا
وأذاقوا أبناءها كل ذلّ واستباحوا المحرمات جهارا
فأزيلت بعزمه ظلمة الكفر ونجم السرور فيها استنارا
أصبح الحق ظاهرا بالموالى يتسامى وضدُّه يتوارا
يالها نصرةً بها كمل السعد وشادت للمسلمين فخارا
فجزاه الديّان خيرَ جزاء وحباه مهما يرُمْ انتصاراً

ولما استقر بمصر ركابه الشريف ، وأعاد المسلمين بعد [انخفاض] رتبتهم لمقامهم المنيف ، واستفادت بمقدمه البلاد ، وابتهج بالسرور جميع العباد ، فعاد لمصر بعد الهِرم شبابُها ، ورتعت فى ميادين المسرة صحابها ، وطلعت شمسها المنيرة بعد الظلام . وردّ إليها ما اسعلبته من محاسنها الأيّام .

وللنجم من بعد الرجوع استقامةٌ وللبدر من بعد الغروب طلوع

كان ذلك ولله الحمد مصداقَ قوله تعالى وهو أصدق القائلين : « إنّ

الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِه والعاقِبةُ للمتقين[1] » . ونعم العاقبة لمصر بحلول ركاب مولانا الوزير فيها ، وطلوع نجوم عساكره فى آفاق نواحيها ، فابتهجت بهم مصر وأضاءت ، وتاهت على سائر الأقاليم وباهت ، ولقد كنت سطرت ماوقع وحصل من الوقايع من ابتداء تملك الفرنسيس لأرض مصر ، إلى أن دخلها مولانا الوزير فى أوراق غير منظومة فى سلك الإجماع والاتفاق ، وكثيرا ما كان يخطر ببالى ، وإن لم يكن ذلك من شأن أمثالى ، أن أجمع افتراقها وأكسبها بالترصيف انساقها ، ليكون دلك تاريخا مُطْلِعاً اللَّبيبَ على عجائب الأخبار ، وغرايب الآثار ، تذكرة بعدنا لكل جيل . وإحاطة بهذا الخطب الجليل ، فيتأسى إذا لحقه مُصاب ، ويتذكر بحوادث الدهر ، إنما يتذكرُ أولو الألباب .

فإن هذه الحوادث غريبةٌ فى بابها ، متنوعةٌ فى عُجابها ، وكان ممن اعتنى أيضا بجمع تلك الأخبار ، ونقل غرايب هاتيك الآثار ، قطب الفضلاء ، تاج النبلاء ذو الذكاء المتوقد ، والفهم المسترشد ، الناظم الناثر ، الآخذ من العلوم العقليّة والأدبيّة بحظ وافر ، صاحبنا العلامة حسن بن محمد الشهير بالعَطَّار،[2] نظمنا الله وإيّاه فى سلك الأخيار . فضممت ما نمقه مع بعض من منظومه ومنثوره بحسب المناسبة ، إلى هذا السِّفر لينتظم معنا فى سلك حُسْن الذكر ، وسميناه مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس ، وإنا لنرجو ممن أطلع عليه ، وحل بمحل القبول لديه ، أن لا ينسانا من صالح دعواته ، وأن يُغْضى عما عثر عليه من هفواته .

---

(١) الآية ١٢٧ سورة الأعراف .

(٢) ولد بالقاهرة سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) وكان أبوه عطارا ، فاشتغل بتجارة أبيه ثم أحب العلم ، حتى صار شيخاً للأزهر ، وفى أيامه دخل الفرنسيون مصر ، فاتصل بهم وأفادمنهم بعض الفنون الشائعة ببلادهم ، ورحل إلى بلاد كثيرة منها الشام ، وهو أول من رأس تحرير الوقائع المصرية ، وكان مع علمه كاتباً وشاعراً ، بل يعد أبلغ أهل عصره ، توفى وهو شيخ للأزهر سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) راجع ترجمته بالخطط التوفيقيه جـ ٤ ص ٤٨ ، والأدب الحديث جـ١ لعمر الدسوقى ، وكنز الجوهر فى تاريخ الأزهر لسليمان الزياتى .

مقدمة

اقتضت الحكمة الربانية والأسرار الإلهية . نصب خليفة به ، يرتبط العالم نظامه ، وتجرى عليه بحسب مطابقة قوانين الشرع أوامره وأحكامه ، إذ النوع الإنسانى بحسب ما أودع فيه من فضيلة العقل ، وكال الحدس ، وسر النطق ، مما فضّل به على سائر الحيوانات ، وامتاز به عن العجماوات والجمادات ، وُكِلَ لتدبير نفسه فى معاشه ومعاده ، واحتاج لمخالطة أبناء جنسه التعاون على قضاء أغراضه ولوازمه . ومعلوم أن الأغراض متخالفة ، والعقول متباينة ، والطباع متنوعة . وكل ذلك يستدعى اتفاقا بين الخلايق فى أمور ، وافتراق فى أخرى ، وإنقاذ غرض عن غرض ، وقد وضع الله الشريعة المُطَهَّرة قانونا تجرى عليه جزئيات الأفعال الصادرة عنا ، لتنتظم الأفعال كلها فى سلك واحد ، ولابد من ذى سطوة وقوة ، يُجْرى الناس على تلك القوانين الشرعية ، وينتظم به أمرُ هذا النوع لئلا يهلك الضعيفُ بالقوى ، ويغلب الشريفُ على الوضيع ، وترجع الناس إلى تحسين عقولها والمشى مع أغراضها ، وما وافق طباعها ، فيختل نظامهم ، وتخف أحلامهم ، فيلحقون بمهملات البهائم ، ورائعات السوائم ، وكان أولَ خليفة جعل فى الأرض آدمُ عليه السلام ، بمصداق قوله تعالى : إنّى جاعلٌ فى الأرض خليفةً(١) . ثم توالت الرسل بعده ، لكنها لم تكن عامة الرسالة ، بل كل رسول أُرسل إلى فرقة ، فهؤلاء الرسل عليهم السلام مقررون شرايع الله بين عباده ، وملزموهم بتوحيده وامتثال أوامره ونواهيه ، ليترتب على ذلك انتظامُ أمور معاشهم فى الدنيا ، وفوزهم بالنعيم السرمدى ، إذا امتثلوا فى الأخرى. ثم جاء بعدهم الرسول الأكرم ، والنبى الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان خاتَمَهم ، وناسخاً لكل شريعة تَقَدَّمَته ، بل هم فى الحقيقة نُوّابُه ، بشهادة قوله تعالى : وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ النَّبيينَ لَمَا أتيتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ

(١) الآية ٢٨ سورة البقرة .

وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ(١) . فبعث صلى الله عليه وسلم والناس مختلفة فى أديانهم، ضالة عن طريق الحق، عاكفة على أوثانهم، فهو الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وأمره بالصدع(٢) به والإعلان، وتطهيره من عبادة الأوثان، وأرجاس الشيطان، وآمن به الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، وعزّروه(٣) ونصروه، واتبعوا النور الذى أنزل معه، أولئك هم المفلحون، فلم يزل هذا الدين القويم من حين(٤) بعث النبى صلى الله عليه وسلم، يزيد وينمو ويتعالى ويسمو، حتى تم ميقاته، وقربت من النبى وفاته، فأنزل الله عليه وهو واقف بعرفات آخر وقفة وقفها « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا »(٥) ولما قبض صلى الله عليه وسلم، قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، ثم عمر ثم عثمان ثم على، ولم تصف له الخلافة بمغالبة معاوية رضوان الله عليهم أجمعين فى الأمر، وبموت على رضوان الله عليه تمت مدة الخلافة التى نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوداً(٦) ، وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين وانقرضت بظهور أبى مسلم الخراسانى(٧) وإظهار دولة

---

(١) الآية ٧٩ سورة آل عمران . الإصر : العهد والميثاق .

(٢) الجهر بالدعوة ومنه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » وتأتى بمعنى التفرقة بين الحق والباطل إذ الصدع فى الأصل الحق .

(٣) أعانوه ونصروه .

(٤) فى الأصل من حيث .

(٥) الآية ٣ سورة المائدة .

(٦) الصحيح عضوضا أى الذى يعض عليه بالنواجذ .

(٧) قائد الفرس الذين ناصروا العباسيين ، وصاحب الدعوة لهم وقتله أبوجعفر المنصور .

بنى العباس ، وقتل مَرْوان الحمار(١) ، فكان أول دولة بنى العباس السَّفاح ، وظهرت دولتهم الظهور التام ، وبلغت القوة الزايدة ، والفخامة العظيمة ، بحيث أنه لم يبق فى زمن الخليفة هارون الرشيد كافرٌ إلا أدّى الجزية ، ثم أخذت فى الانحطاط بتغلب الأتراك ، وظهورهم وقتلهم المتوكل ، وتغلبهم على الخلفاء وضعف أمرهم بالدَّيلَم(٢) والسلجوقية(٣) ، ولم تزل منحطة ، حتى خرج هولاكو(٤) فأباد العالم ، وملك بغداد وقتل الخليفة المُستَعصم ، وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد .

وفى مدة ضعف الخلافة تغلب على النواحى كل متَمَلِّك لها ، وانفرد ابن طولون(٥) بمملكة مصرَ والشَّام ، وذريته من بعده ، ثم الإخشيد(٦) وبعده كافور ممدوح المتنبى ، ثم قدم جوهر(٧) القائد من المغرب بعد موت كافور من قبل المعز ، فملكها من غير ممانع وأسس القاهرة والجامع الأزهر ، وقدم سيده المعز ، وهو أول الفواطم ، فملكوا نيفاومايتين من السِّنين(٨) إلى أن ضعف أمرهم فى أيام العاضد وسوء سياسة وزيره شاور ، فتملكت الإفرنج بلاد السواحل

---

(١) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية قتل فى ذى الحجة سنة ١٤٢ هـ بقرية بوصير من قرى الفيوم .

(٢) استولى بنوبويه على بغداد سنة ٣٣٤هـ حينما دخلها أحمد بن بويه الديلمى .

(٣) استولى السلاجقة على بغداد سنة ٤٤٧هـ .

(٤) قائد حملة التتار التى قضت على الدولة العباسية واستباحت بغداد سنة ٦٥٦هـ ١٧٥٨ م .

(٥) أسس أحمد بن طولون دولة بمصر فى ظل الخلافة العباسية حكمها هو وذريته من ٢٥٤ — ٢٩٢هـ — ٨٦٨ — ٩٠٥م .

(٦) الأخشيد لقب فارسى يلقب به الأمراء ، منحه الخليفة الراضى إلى محمد بن طغج مؤسس الدولة الأخشيدية التى دامت من ٣٢٣ — ٣٥٨هـ ٩٣٥ — ٩٨٩م .

(٧) هو جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ومؤسس القاهرة افتتحها سنة ٣٦٢هـ ٩٧٢ ميلادية .

(٨) انتهت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ ١١٧١م .

الشامية ، وظهر بالشام نور الدين محمود ابن زنكى ، فبذل همته فى الجهاد ، واستنقذ منهم عدة من البلاد ، التى استولوا عليها ، وكان الحرب بينهم وبينه سجالا ، وقد كانت الإفرنج فى زمن العاضد إلى بلبيس وصلت ، ولإقليم مصر أرهبت وأزعجت ، وضربت على أهله الضرايب ، ووقعت الحروب بين الفريقين تكون[1] الغلبة فيها على المصريين لسوء تدبير مشير الدولة ، ثم إنه أشار بحرق الفسطاط ، فأمر الناس بالجلاء عنها ، و[illegible] عبيد بالشعل والنفوط ، فأوقدوا فيها النار ، فاحترقت عن آخرها ، واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوما ، وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين الشهير ، بعث إليه بشعور نسائية ، فأرسل إليه جندا كثيفا ، وعليهم أسد الدين شيركوه وأخوه[2] الناصر يوسف صلاح الدين فحصل النصر ، وارتحل الإفرنج عن البلاد وقبض أسد الدين على الوزير[3] فصلبه ، ولم يزل هو وابن أخيه يعملان الحيلة فى المملكة وإظهار السنة وإخفاء البدعة ، واستوزر الخليفة العاضد أسد الدين ، فتوفى[4] ، وأقام عوضه فى الوزارة الناصر يوسف ، فبذل همته فى مقصده ، وظهر أمرُه لخليفته ، فأثار فتنة فى جنده ، ليتوصل بها إلى هزيمة الأكراد وإخراجهم من بلاده ، فتعاظم الأمر وانشقت العصا ، ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا ، وانجلت الحروب عن نصرتهما وخذلان العسكر الفاطمى ، فمنذ ذلك ملك الناصر القصر ، وضيق على الخليفة ، وحبس أقاربه وأولاده ، وقتل أعيان دولته ، وأخذ أموالهم ، واحتوى

---

(١) الصواب كانت .

(٢) الصحيح تاريخياً أن شيركوه هو عم صلاح الدين .

(٣) هو الوزير ضرغام الذى كان قد استعان بالأفرنج حين اشتد النزاع بينه وبين الوزير شاور الذى استعان بنور الدين فأعانه بجيش هزم الصليبيين وقتل ضرغاماً .

(٤) توفى بعد ثلاثة أشهر فاستوزر الناصر يوسف صلاح الناصر .

على ما فى القصور من الذخائر والأموال ، وصرفها فى الغزو والجهاد ، ومصالح المسلمين ، وهلك العاضد قهرا ، وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمديّة ، وطهر الإقليم من البدع والتشيع ، والعقائد الفاسدة ، وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة ، وهى عقائد الأشاعرة(١) والماتريديّة(٢) وبعث إليه أبو حامد الغزالى بكتاب ألفه(٤) له فى العقايد ، فحمل الناس على العمل بما فيه ، ومحا من الإقليم منكرات الشرع وأظهر الهدى ، ولما توفى نور الدين الشهيد ، انضم إليه ملك الشام وواصل الجهاد ، وأخذ فى استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس ، وحارب من خالفه من ملوك الأطراف ، واتسع ملكه وافتتح الفتوحات الكثيرة ، وأخذ البلاد الفراتية وديار بكر وغيرها ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى ، وأنفق جميع ماله فى الغزو حتى قيل إنه لم يترك إلاّ أربعين درهما ، ولما مات استمر الأمر لأولاده وأولاد أخيه الملك العادل ، وحضر الفرنج أيضاً إلى مصر فى أيام الملك الكامل ابن العادل ، وملكوا(٥) دمياط ، وهدموها ، فحاربهم شهورا حتى أجلاهم ، وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة الآن فى غير مكانها ، وكانت تسمى بالمنشية ، وحضروا أيضا فى دولة الملك الصالح نجم الدين أيوب الكردى(٦) من أولاد العادل ، فملكوا دمياط أيضا ، ورجعوا إلى فارسكور واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرا ، وهو مريض ، وانحصر جهة الشرق ، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة ، وثقل مرضه ومات ، وأخفت زوجته شجرة الدر خبر وفاته(٧) . ودبرت الأمور حتى حضر ولده توران

(١) نسبة إلى أبى الأشعرى على بن إسماعيل المتوفى ببغداد ٣٢٣ هـ .

(٢) نسبة إلى أبى منصور الماتريدى ، من أنصار أهل السنة ، توفى سنة ٣٣٣هـ ، وماتريد محلة بسمرقند ، وله كتاب أوهام المعتزلة وكتاب التوحيد ، وهو مخطوط .

(٣) أبو حامد الغزالى محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٠٢ هـ الفيلسوف المتصوف صاحب كتاب إحياء علوم الدين ، والمنقذ من الضلال .

(٤) فى الأصل ... اللغة وهو تحريف .

(٥) اى الصليبيون .

(٦) هو آخر سلاطين الأيوبيين توفى سنة ٦٤٨ هـ .

(٧) شجرة الدر زوجة الصالح نجم الدين أيوب وأم ولده خليل مات زوجها فى أثناء الحرب =

شاه من حصن كيفا ، وكانت الكفار قد انهزمت قبل مجيئه شر هزيمة ، وأسر ملكهم ، وكانت الفرنج هم طائفة الفرنسيس .

والملك الصالح هو أول من اشترى المماليك وأمرهم بمصر وبنى لهم قلعة الروضة ، وأعدهم للجهاد ، وسماهم المماليك البحرية ، وبعد هزيمة الافرنج ، استوحش المماليك من ابن سيدهم فغدروه وقتلوه ، وآل الأمر لتملكهم ، فكان أولهم أيبك التركمانى ، ولما مات ولوا ابنه المظفر على ، فوقعت حادثة التاتار ، فخلع المظفر لصغره ، وتولى قطز[1] فحارب التاتار وظهر عليهم ، بعد أن كانوا ملكوا بغداد ومعظم المعمور من الأرض ، وقهروا كل ملك ، ثم تولى الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات البندقدارى وأولاده ، ثم الملك المنصور صاحب الخيرات قلاوون الألفى ، وأولاده منهم الأشرف خليل والملك الناصر محمد ، وطالت مدته ، وتولى من أولاده بمصر اثنى عشر سلطانا[2] وفى أيام ابن ابنه الملك الأشرف شعبان ابن حسين حضرت الفرنج إلى الإسكندرية على حين غفلة ، وملكوها ، ونهبوا أموالها ، وأسروا نساءها ، ووصل الخبر إلى مصر فتجهز الأشرف وسار بعساكره فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها ، ولهذه الواقعة تاريخ اطلعت عليه فى مجلدين ،

= مع الصليبيين فكتمت خبر وفاته حتى لا يتأثر الجيش بذلك ودفنته سرا ، واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا ، ودبرت البيعة له ، ولكنه لم يحمد لها صنيعها فعملت على التخلص منه فقتل سنة ٦٤٨ هـ ١٢١٠ م ، وحكمت شجرة الدر مصر ثمانين يوماً ، ولكن حكمها لقى معارضة من الخليفة العباسى فتزوجت عز الدين أيبك المملوكى وانتقلت بذلك الدولة إلى المماليك ، وظلت حتى استولى الأتراك على مصر سنة ٩٢٩ هـ — ١٥١٧ م واشتهرت شجرة الدر بالذكاء والدهاء وعلو الهمة .

(١) تولى قطز عرش مصر سنة ٦٥٨ هـ ١٢٦٩ م وهزم التتار فى موقعة عين جالوت بوادى بيسان التى حولت مجرى التاريخ ، وذلك فى سنة ٦٥٨ هـ ولكنه أغتيل فى طريق عودته إلى مصر على يد بيبرس وأعوانه الذى حكم من ٦٥٨ — ٦٧٩ هـ

(٢) توفى السلطان الناصر محمد سنة ٧٤١ هـ ١٣٤٠م ، وتولى أولاده الثمانية بعده ثم أحفاده الأربعة وكانت مدة حكمهم أربعين سنة .

ويقال إن الفرنساوية التي يكون في أذنها قرط أصلها من النساء المأسورات في تلك الواقعة ، ثم كانت دولة الجراكسة وأولهم الملك الظاهر برقوق[1] العثماني من مماليك الملك الناصر حسن ابن محمد ابن قلاوون ، فاستمر الملك فيهم وفي بيتهم إلى أن كان آخرهم الملك الأشرف قانصوه الغوري[2] ، فلم يزل في الملك إلى أن كان ما كان بينه وبين السلطان الأكبر والملك الأفخم السلطان المجاهد الغازي قامع كل عدو ، وله على مخالفته مجازي ، مولانا السلطان سليم خان ، ووقع بينه وبين الأشرف الغوري ماهو مسطر في محله ، ولما استقر أمره بملك مصر ، عفى عن الكثير من الجراكسة وأبنائهم ، ورتّب الخيرات والعلوفات ، وقرر مرتبات الأوقاف وغلال الحرمين والأنبار ، ورتّب علوفات الأيتام والمشايخ والمتقاعدين ومصارف القلاع والمرابطين ، وأبطل المظالم ، ورفع المكوس والمغارم ، وغيرذلك مما تقتضى عنه العبارة ويعلم بعضها من المعنى والإشارة ، حتى قيل إنه لم يصحب من مصر شيئا سوى اكتساب جميل الذكر ، ونفاذ الهمة ، واتساع المملكة .

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لاالسّلب

ولما انتقل إلى رحمة مولاه وتولى بعده الملك الأعظم ، والخاقان الأفخم ، صاحب المناقب المشهورة ، والمآثر الحميدة المنشورة ، حضرة السلطان الغازي سليمان عليه الرحمة والرضوان ، فأسّس القواعد ، وتمم المقاصد ، ونظم الممالك ، وأنار الحوالك ، ورفع منار الدين ، وأخمد نيران الكافرين . وسيرته الجميلة غنية عن التعريف ، وتراجمه مشحونة بها التصانيف . ولم يزل هذا شأنهم أدام الله أيامهم

---

(١) تولى برقوق سنة ٧٨٤هـ — ١٣٨٢ م وهو أول سلاطين المماليك البرجية وسموا بذلك لأنهم سكنوا أبراج القلعة .

(٢) خرج الغوري لملاقاة السلطان سليم الأول في مرج دابق بالشام وهزم فيها الغوري وذلك سنة ١٥١٦ م نتيجة خيانة بعض قواده واستولى الأتراك على مصر سنة ١٥١٧ بعد انتصارهم على طومان باى آخر سلاطين المماليك ، وكان انتصارهم عليه نتيجة خيانة بعض قواده كذلك .

من عهد جدهم الأعلى غازى عثمان دائما إن شاء الله تعالى ، إلى آخر الزمان . باقية دولتهم قائمة دعوتهم ، قوية شوكتهم ، وافرة حرمتهم ، نافذة سطوتهم ، مفروضة طاعتهم ، فإنهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين ،وأشدّ من ذب عن الدين ، وأعظم من جاهد فى المشركين . فلذلك اتسعت ممالكهم بما فتحه الله على أيديهم وأيدى نوابهم ، وملكو أحسن المعمور من الأرض ، ودانت لهم الممالك فى الطول والعرض . هذا مع عدم إغفالهم الأمور ، وحفظ النواحى والثغور ، وإقامة الشعائر الاسلاميّة ، والسنن المحمديّة ، وتعظيم العلماء وأهل الدين ، وخدمة الحرمين الشريفين ، والتمسك فى الأحكام والوقايع ، بالقوانين والشرائع ، فتحصنت دولتهم ، وطالت مدتهم ، وهابتهم الملوك ، وانقاد لهم الممالك والملوك ، وقد استمر ملك مصر متشرفا بانتظامه ، فى ممالك الدولة العثمانية ، أبقاها الله تعالى إلى وقتنا هذا ، وما فيها من الحكام فنوابهم وخدامهم ، ثم إن من اطلع على كتب التواريخ ، وطالع أخبار الدول ، يرى أن كل دولة لابد أن يتحقق فيها شىء من البدع ، يخالف الشرع ، فان فى دولة الأمويين كان يُسَبُّ سيدنا على على المنابر ، حتى أبطله عمر بن عبد العزيز ، وجعل بدله فى الخطبة « إنَّ اللهَ يَأمرُ بالعدل والإحسان » . وفى دولة العباسيين ظهر القول بخلق الرحمن[1] وامتحن بذلك كثير من العلماء وأعاظم المجتهدين . حتى بطل فى زمن الواثق ، وأما دولة الفواطم ، فكانت كلها بدع ومساوىء ، وكذلك كل دولة تنمو فى أولها ، وتضعف فى آخرها ، وقد برّأ الله تعالى دولة آل عثمان ، أبقاها الله ، عن كل من هذين ، وهذه منقبة مختصة بملكهم ، وكذلك لم تزل قوتها متزايدة ، وعماد قواعدها إلى ذروة الشرف متصاعدة .

ويزيدها مرُّ الليالى جِـــدَّةً　　وتقادمُ الأيام حسنَ شباب

---

(١) نعتقد أنه هناك خطأ فالقضية المشهورة هى خلق (القرآن) لاخلق الرحمن جل جلاله .

أيدها الله بأسود أجناد ، أينما سلكوا ملكوا . وباءوا بالغنائم التى ثمرها النصر ، والعدو ضعيفا تركوا ، ولم يتفق أنه من حين تملكهم لمصر تطرق إليها شر وأشرار أو للدخول فيها عصابة كفار ، سوى هذه الحادثة التى وقعت ، ولكنها غير فادحة ، فى محاسن حيازتهم ، وضخامة صيانتهم ، وقوة شوكتهم ، وسرعة نصرتهم ، فإن المقضى واقع ، والمقدر ليس له دافع . وما زالت الأيام تأخذ وتعطى ، وسهام التدبير تصيب وتخطى ، والحروب سجال . والمقدور بآجال .

والعبرة فى الأمور بعواقبها ، وكانت العاقبة لكونها للمتقين بحمد الله حميدة ، وقد مضت والشكر لله الأيام المنحوسة ، وأقبلت الأيام السّعيدة .

سَعِدَ الزمان وساعدَ الإقبالُ ودنا المنى وأجابت الآمالُ

على أن ماقع من هؤلاء الأشرار ، وحَسَرة الكفار ، خاسةُ مُغافل ، وغدر عدو جاهل ، وسارق[1] وجد أبواب الدار مفتحة فدخلها ، ولو كان ثَمّ حارس لما سلكها . وقد انقشعت سحابة صنعهم ، وتدفق عليهم من عارض ما توسموه شآبيب[2] حتفهم ، فغلبوا هنالك ، وانقلبوا صاغرين ، وأصبحوا على ماأسَرُّوا فى أنفسهم نادمين .

---

(١) فى الأصل وساروا وجد أبواب .

(٢) الشآبيب : جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

فصل

وأول شرح القضية أنه في يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٣ ثلاثة عشر ومائتين وألف ، وردت مصر مكاتبات على يد السعاة من ثغر الإسكندرية ، مضمونها : أن في يوم الخميس ، ثامن الشهر المذكور حضر إلى الثغر عشر مراكب من مراكب الإنكليز ووقفت[1] على البعد بحيث يرونهم[2] أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبا أخرى فانتظر أهل الثغر ما يريدون ، وإذا بقايق صغير ، واصل من عندهم ، وفيه عشرة أنفار فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد ، والرئيس إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض السيد محمد كريم الآتي ذكره ، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم ، فأخبروا أنهم إنكليز حضروا التفتيش على الفرنسيس ، لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة ، يريدون جهة من الجهات ، ولا ندري أين قصدهم فربما دهموكم ، فلا تقدروا على دفعهم ، ولا تتمكنوا[3] من منعهم ، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول ، وظن أنها مكيدة ، وجاوبوهم بكلام غليظ ، فقالت رسل الإنكليز لهم ، نحن نقف في البحر بمراكبنا محافظين على الثغر ، لكن تمدونا بماء وزاد بثمنه ، فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا لغيرهم عليها سبيل ، فاذهبوا عنا ، فعندها عادت رسل الانكليز ، وأقلعوا في البحر ، ليمتاروا[4] من غير الاسكندرية ، وليقضي الله أمرا كان مفعولا ، ثم إن أهل الثغر أرسلوا إلى كاشف البحيرة ليجمع العربان ويحضر لمحافظة الثغر ، فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر ، وقع بها اللغط الكثير بين الناس ، وتحدثوا بذلك فيما بينهم ، وكثرت القالة ،

---

(١) في الأصل : وقفوا .

(٢) الأسلوب الصحيح بحيث يراهم أهل الثغر .

(٣) الصحيح فلا تقدرون ... ولا تتمكنون :

(٤) في الأصل ليتماروا .

ولاحت لوائح الأراجيف ، ثم ورد فى ثالث يوم بعد ورود المكاتيب الأول مكاتبات مضمونها أن المراكب التى وردت الثغر ، عادت راجعة ، فاطمأن الناس، وبطل القيل والقال، وأما الأمراء فلم يهتموا بشىء من ذلك ، ولم يكترثوه[1] اعتمادا على قوتهم ، وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الفرنج لا يقفون فى مقابلتهم ، وأنهم يطئونهم بسنابك الخيول ، ويحصدون[2] رءوسهم ببوارق السيوف ، فلما كان يوم الأربعاء العشرون من الشهر[3] المذكور وردت مكاتبات من الثغر ومن رشيد[4] ودمنهور بأن فى يوم الاثنين ثامن عشرة ، جاءت مراكب الفرنسيس كثيرة ، فأرسوا[5] فى البحر وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل وبعض أهل البلد ، فنزلوا لهم ووقفوهم[6] فى المراكب ، وفى الليل تحولت مراكب جهة العجمى ، وأنزلوا آلات الحرب والعساكر ، فلم يشعر أهل الثغر فى وقت الصباح، إلا والعساكر كالجراد المنتشر حول البلد ، فعندها خرج أهل الثغر وما انضم إليهم من كاشف البحيرة والعربان المجتمعين معه ، فلم يستطيعوا مدافعتهم ، ولا أمكنتهم ممانعتهم ، فانهزم كاشف البحيرة ومن معه من العربان ، ورجع أهل الثغر إلى التترس فى البيوت والحيطان ، ودخلت الفرنج البلد وانبث فيها الكثير من ذلك العدد ، كل ذلك وأهل البلد لهم بالرمى بالبنادق يدافعون ، وعن أنفسهم وأهليهم يقاتلون ويمانعون ، فلما أعياهم الحال ، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال ، وليس ثم عند أهل البلد للقتال استعداد ، أخلوا الأبراج من آلات الحرب والبارود . وكثرة[7] العدو وغلبته طلب أهل الثغر الأمان ، فأمنوهم ورفعوا عنهم القتال ،

---

(١) التعبير الصحيح لم يكترثوا به .

(٢) فى الأصل وحصدوا .

(٣) فى الأصل شهر بغير أل .

(٤) فى الأصل الرشيد بالألف واللام وهو تحريف .

(٥) فى الأصل وأرسلوا فى البحر وهو تحريف .

(٦) فى الأصل وعرفوهم وهو تحريف :

(٧) العبارة السليمة « ولكثرة العدو » .

ومن حصونهم أنزلوهم . ونادى الفرنسيس بالأمان فى البلد ورفع بنديراته عليها ، وطلب أهل الثغر وأعيانها ، فحضروا بين يديه ، فألزمهم بجمع السلاح وأحضاره ، وأن يضعوا الجوكار فى صدورهم فوق ملبوسهم ، والجوكار ثلاث قطع من الجوخ أو الحرير وغير ذلك ، مدورة فى قدر الريال ، سودا وحمرا وبيضا ، يوضع بعضها فوق بعض ، بحيث تكون كل دائرة أقل من التى تحتها ، حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيط بعضها ببعض ، وطلبوا الكُلَف والمال ، ولما وردت هذه الأخبار مصر ، حصل للناس انزعاج ، وعول أكثرهم على الفرار والهجاج ، وأما ما كان من حال الأمراء فإن ابراهيم بيك ركب لقصر العينى ، وحضر عنده مراد بيك من الجيزة ، لأنه كان مقيما بها ، وحضروا[1] بقية الأمراء والقاضى والعلماء وتكلموا فى شأن هذا الأمر الذى دَهَم المسلمين ، فاتفق الرأى على أنهم يرسلون مكاتبه للدولة العليّة بخبر هذه الحادثة ، فأرسلها باشا مصر إذ ذاك ، وهو بكير باشا على يد قاصد من جهة البر ، ويجهزون عسكرا يكون كبيره مراد بيك[2] وانفض المجلس على ذلك ، فأخذت العساكر فى الاستعداد للسفر ، وجمع مهمات الحرب ، فمكثوا نحو خمسة أيام يجهزون الأقوات والبارود وغير ذلك من القِرَب والخيم ، ومصر فى كرب زائد ، من هذا الأمر ، ومما ورد عليهم من الخبر ، فإن العساكر لم يكن عندهم إستعداد لمثل هذا ، ولم تسمح نفوسهم ببذل الأموال فى هذه المهمات ، فصاروا يصادرون الناس ويأخذون أغلب ما يحتاجونه بدون ثمن ، ثم ارتحل مراد بيك بعد صلاة الجمعة ، وبرز خيامه وَوطاقَه إلى الجسر الأسود ، فمكث به نحو يومين ، حتى تكامل ما معه من العسكر ، وهم صناجقه ، وعلى باشا الطرابلسى وناصوح باشا ، فإنهما كانا من

---

(١) كثيراً ما يستعمل المؤلف لغة أكلونى البراغيث فيورد الفعل فاعلين واو الجماعة وبعدها فاعل آخر .

(٢) فى الأصل يكون كبير مراد بك .

أخصائه ومقيدين معه بالجيزة ، وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود ، وسافر في البرمع العساكر الخيالة ، وأما السكان وهم الأغاشات والقليونجية والمغاربة ، فإنهم سافروا في البحر مع الغلايين[1] الصغار ، التي كان اصطنعهم مراد بيك ، ولما ارتحل من الجسر الأسود ، أرسل إلى مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد في غاية التخن والمتانة ، طولها مائة وثلاثون ذراعا ، تنصب عند بوغاز رشيد عند برج مغيزل ، من البر الشرقي للغربي ، لتمنع من عبور مراكب الفرنسيس لبحر النيل ، وذلك بإشارة علي باشا ، وأن يعمل عندها جسر من المراكب ، ويعمل عندها متاريس ومدافع ، ظنا منهم أن الفرنج لا يقدرون على مقابلتهم في البر ، وأنهم يعبرون بالمراكب في بحر النيل ويقاتلونهم وهم في المراكب ، وأنهم يصابرونهم ويطاولونهم في القتال ، حتى تأتيهم النجدة .

وكان الأمر بخلاف ذلك ، فإن الفرنسيس عندما ملكوا اسكندرية تجهزوا سريعا للتوجه إلى مصر من جهة البر ، بحيث أنهم التقوا مع مراد بيك عند الرحمانية ، كما سيأتي ، وفي أثناء خروج مراد بيك بالعساكر وسفره ، بلت الوحشة في الأسواق وكثر الهَرْج بين الناس والإرجاف ، وانقطعت الطرق وأخذت الحرامية في كل ليلة تطرق أطراف البلد ، وتنقطع الطرق من المغرب ، فلاتسكا تجد أحدا يمشي ، فنادى الأغا والوالي بفتح الأسواق والقهاوي ليلا ، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين ، وذلك لأمرين : الأول إذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس ، والثاني الخوف من الدخيل في البلد .

وفي يوم الاثنين ٢٥ وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا إلى دمنهور ورشيد ، وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم ، فذهبوا إلى فوّا ونواحيها ، والبعض أقام ببلده ، وطلب الأمان ، فأمن ، وقد كانت الفرنسيس حين حلولهم بالاسكندرية كتبوا مكتوبا وطبعوه وأرسلوا ضمنه نُسخًا إلى البلاد التي يقدمون عليها تطمينا

---

(١) المراكب البخارية .

لهم ، ومكيدة لئلا تعمى البلاد وتجاربهم ، فأوهموهم فيه أنهم قدموا من طرف السلطان ، وأنهم جاءوا ليزيلوا عنهم الظلم ، ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسارى الذين وجدوهم بمالطة ، فإنهم أحضروهم معهم ، وقبل الحرب التي[1] وقعت بانبابه بيوم أرسلوا هؤلاء الأسارى فى مراكب لبولاق حيث عَرْضِي إبراهيم بيك ومعهم عدة نسخ من هذا المكتوب ، ومعهم جواسيس من كفار مالطة متزيين بزىّ الأسارى ، لأن كفار مالطة يعرفون العربى . ويتكلمون بلغة المغاربة ، فلا يكادون يتمايزون عن الأسارى ، فكانت هذه أيضا من المكائد الحربيّة ، حيث أرسلوا الأسارى الذين معهم لمن ببولاق توصلا لإخفاء الجواسيس فيهم ، وليقع فى أوهام الناس أنهم لا يأسرون أحداً لأنهم قد خلصوا الأسارى ، وصارت الجواسيس الذين على هيئة الأسارى من المالطية توسوس للناس وتحل عزائمهم عن القتال ، وتتبع حالة المرضى ، ثم فى يوم الحرب خَفِيَ الكثير من هؤلاء الأسارى فلا يدري [أحد][1] أين ذهب وما ذهب فى الحقيقة إلا إلى عَرْضِي الفرنسيس ليخبرهم بما شاهد .

ونص المكتوب المرسل : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله لا ولد له ، ولا شريك فى ملكه ، من طرف الجمهور الفرنساوى المبنى على أساس الحرية والتسوية ، السر عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية يعرّف أهالى مصر جميعهم أن من زمان مديد السناجق الذين يتسلطنوا فى البلاد المصرية يتعاملون[2] بالذّل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع البَلْص[3] والتعدى ، فحضر الآن ساعة عقوبتهم واحسرتا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الآبازا والكرجستان يفسدون[4]

(٢) فى الأصل : وقبل الحزب الذى وقع وهو خطأ لأن الحرب مؤنثة .

(١) زيادة يقتضيها السياق — والصحيح أين ذهبوا .

(٢) فى الأصل يتسلطنوا : يتعاملوا ... ويظلموا .

(٣) البلص : الهجوم عليهم وإيذاؤهم . (٤) فى الأصل يفسدوا .

فى الإقليم الأحسن الذى لا يوجد فى كرة[1] الأرض كلها ، فأما رب العالمين القادر على كل شىء قد حتم على انقضاء دولتهم ، يا أيها المصريون قد يقولون[2] لكم إننى ما نزلت فى هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين : إننى ما قدمت إليكم إلا لكى ما أخلص دينكم وحقكم من يد الظالمين . وإننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى ، واحترم نبيه محمد والقرآن العظيم . وقولوا أيضا إن جميع الناس متساوون[3] عند الله وإن الشىء الذى يفرقهم ، من بعضهم بعضا فهو العقل والفضائل والعلوم فقط . وبين[4] المماليك ما العقل والفضائل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين ؟ ويستوجب أنهم يتملكون وحدهم كلما يحلو به الحياة الدنيا[5] حيثما يوجد أرض مخصبة فهى مختصة للمماليك ، والجوارى الأجمل ، والخيل الأحسن ، والمساكن الأشهى فهذا كله لهم خالصا ، إن كانت الأرض المصرية التزام للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها لهم رب العالمين ، هو رؤف وعادل على البشر بعونه تعالى ، من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية ، فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبرون[6] الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها ، سابقا فى الأمور المصرية كانت المدن العظيمة والخليجات الواسعة والمتجر المتكاثر . وما أزال[7] ذلك كله إلا الطمع وظلم المماليك ، أيها القضاة والمشايخ والأئمة ، ويا أيها الشوربجيه

---

(١) فى الأصل فى كيرة .

(٢) فى الأصل يأيها المصريين فقد يقولوا لكم .

(٣) فى الأصل متساوين وهو تحريف .

(٤) هكذا فى الأصل ولعلها وليبين .

(٥) فى الأصل العبارة مضطربة جاءت هكذا أنهم يتملكون وحدهم كلما يحلوا به حياة الدنيا .

(٦) نون الرفع محذوفة فى جميع الأفعال التى وردت فى هذا المنشور وقد أثبتناها حتى يقرأ صحيحاً .

(٧) فى الأصل وما زال ولعل الصحيح ما ذكرناه .

وأعيان البلد قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون خالصون [١] . وإثباتا لذلك قد نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا ، الذى كان يحث دآئما النصارى على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة ، وطردوا منها الكوالريه ، الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ، ومع ذلك ، الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثملى وأعداء أعدائه ، أدام الله ملكه وبالمقلوب [٢] المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غيرممتثلين لأمره ، فما أطاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم. طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير ، فيصلح أمرهم ويعلى [٣] مراتبهم ، طوبى أيضا للذين يقعدن فى مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المحاربين ، فإذا يعرفونا بالأكثر يتسارعون إلينا بكل قلب [٤] لكن الويل ثم الويل للذين يتحدون مع المماليك ويساعدونهم فى الحرب علينا ، فما يجدون طريق الخلاص ، ولا يبقى منهم أثر .

المادة الأولى ، جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر بها العسكر الفرنساوى ، فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر وكلاء من عندها لكيما يعرّفون المشار إليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا السنجاق الفرنساوى الذى هو أبيض وكحلى وأحمر [٥] .

المادة الثانية : كل قرية التى تقوم على [٦] العسكر الفرنساوى تحرق بالنار .

المادة الثالثة : كل قرية التى تطيع العسكر الفرنساوى ، الواجب عليها نصب السنجاق الفرنساوى ، وأيضا نصب سنجاق السلطان العثملى ، دام بقاه .

---

(١) فى الأصل مسلمين خالصين .

(٢) ترجمة وبالعكس أو على خلاف ذلك ؛ (٣) الصحيح وتعلو .

(٤) أى كلما زادت معرفتهم بنا أسرعوا إلينا بقلوب مليئة بالعاطفة .

(٥) يريد العلم الفرنسى ذا الألوان الثلاثة .

(٦) تقوم : تعبير على والمراد تقف ضد أو تهجم على .

المادة الرابعة : المشايخ فى كل بلد ليختموا[1] حالا جميع الأرزاق والبيوت والأملاك بتاع المماليك وعليهم الإجتهاد الزايد لكى لا يضيع أدنى شيء منها .

المادة الخامسة : الواجب على المشايخ والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم، وعلى كل واحد من أهل البلد أن يبقى فى مسكنه مطمئنا[2] ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة ، والمصريون بأجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتعالى من انقراض دولة المماليك قائلين بصوت عال : أدام الله إجلال العثمنلى أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى ، لعن الله المماليك ، وأصلح حال الأمة المصرية ، تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ١٣ من شهر مسيدور سنة ١٢١٣ من إقامة الجمهور الفرنساوى ، يعنى فى أواخر شهر محرم سنة هجرية ، انتهى منقولا بالحرف .

تفسير بعض ما أودعه هذا المكتوب من الكلمات المفككة ، والتراكيب الملعبكة . قوله بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك فى ملكه ، فى ذكر هذه الجمل الثلاث إشارة إلى أنهم موافقون إلى الملل الثلاث ، ومخالفون لهم بل ولجميع الملل[3] موافقون للمسلمين فى ذكر التسمية[4] ونفى الولد والشريك ، ومخالفون لهم فى عدم الإتيان بالشهادتين وجحد الرسالة ، ورفض الأقوال والأفعال الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة ، وموافقون النصارى فى غالب أقوالهم وأفعالهم ، ومخالفون لهم فى القول بالتثليث ، وجحد الرسالة أيضا ، ورفض ديانتهم وقتل القسوس ، وهدم الكنايس ، وموافقون اليهود فى التوحيد ، فإن التوحيد لا تقوله اليهود بالتثليث ، وإنما هم مجسمة

---

(١) يريد يحتفظون عليها ويضعونها تحت الحراسة .

(٢) مطمئناً .

(٣) لعلها ولجميع الملل وهو الصحيح .

(٤) أى بسم الله الرحمن الرحيم .

مخالفون لهم فى دياناتهم ، والذى تحرر من عقايدهم أنهم لا يتفقون على دين ، ولا يتفقون على ملة ، فكل[1] واحد منهم ينحو دينا ، يخترعه بتحسين عقله ، ومنهم الباقى على نصرانيته المتمكن لها ، وفيهم فرق من اليهود الحقيقيين[2] لكن كل ذى دين منهم سائر مُصِرٌّ عليه ، موافق للجمهور فى ضلالهم المصرين عليه .

قوله فأما ربّ العالمين كلام مستأنف ، القادر على كل شىء ، ومن قدرته الباهرة وآياته الظاهرة جاب هؤلاء الشياطين إلى مراتع الملوك والسلاطين ، ورجوعُ الكَرَّة عليهم ، وقطع دابرهم ونواصيهم ، وقوله (قد حتّم) هذا تحكم على الغيب ، وما بعد الكفر عيب ، قوله (إننى ما قدمت إليكم إلا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين) هذه أول كذبة ابتدرها وفرية ابتكرها ، ثم ترَقَّى إلى ما هو أعظم من ذلك ، رماه الله فى المهالك ، قوله (وإننى أكثر من المماليك أعبد الله إلى آخره) ، لا شك أن هذا خَبَلٌ فى العقل ، وغلو فى الجهل ، أىَّ عبادةٍ ؟ فضلا عن كثرتها مع كفر غطى على فؤاده ! وحجبه عن الوصول إلى طريق رشاده . وفى الكلام تقديم وتأخير . والأصل وإننى أعبد الله أكثر من المماليك ، ويحتمل أن لا تقديم ولا تأخير . وأن المعنى إننى أكثر من المماليك عددا فحذف التمييز ! ويكون قوله أعبد الله كلام مستأنف ، وكذبة مستقلة قوله (وأحترم نبيه) معطوف على ما قبله من عطف الكذب على الكذب ، لأنه لو احترمه لآمن به وصدقه ، واحترم أمته ، قوله (والقرآن العظيم) معطوف على نبيه أى واحترم القرآن العظيم ، وهذا كذب أيضا ، فإن احترام القرآن تعظيمه ، وتعظيمه بالتصديق بما فيه ، وهو من آيات النبى الدالة على صدقه . وأنه نبى آخر الزمان . وأن أمته أشرف الأمم . وهؤلاء لجميع ذلك نافون ، وفيما عددوه كاذبون .

---

(١) فى الأصل بكل ولعل الصواب ما ذكرناه .

(٢) فى الأصل الحقيقيون وهو خطأ .

« وَكَأَيِّ من آية فى السموات والأرض يَمُرُّونَ عليها وهُمْ عَنها مُعرِضُون »[1]

وأما التعظيم الحسى فهو فرضٌ مأمور به بقوله تعالى « لا يمسه إلا المطهرون[2] ».

فيحرّم على المحدِث والجنُب مَسُّ آيةٍ من القرآن ، وهؤلاء قد شوهد الكثير منهم يتغوط ويمسح بأوراق المصاحف ، ويرميها ملطخة فى الطريق ، ومحل النجاسات ، فإنهم لا يستنجون بالماء أَلْبَتة ، وجليلهم وحقيرهم يستعمل ما وجده من الأوراق ، ودخل بعض الناس داراً من دورهم فوجد باب المهنة[3] مسنودا بمصحف كبير ، فأخذه وفتحه فوجده خَتْمَةً شريفة مكلفة ، فتأثر واغتم ، وطلب أن يفتديه منه بدراهم ، فامتنع صاحب الدار من بيعه إلا بمبلغ كذا ، فسعى الرجل حتى استرضى خاطره ، واستنقذ الختمة ، وهم فى كل ذلك يضحكون ويعدون الرجل كأنه مجنون ، فأين أعزك الله التعظيم الذى يزعمه هذا المفترى ؟

قوله (إن جميع الناس متساوون[4]) عند الله تعالى هذا كذب وجهل وحماقة ! كيف وقد فَضَّل الله بعضهم على بعض ، وشهد بذلك أهل السموات والأرض ، قوله ما العقل مبتدأ وخبر ، والاستفهام للانكار فى الكلام حذف أىْ لهم ، فالمعنى لا عقل للمماليك ، قوله (فليرونا) هذه كلمة عامية خارجة عن الطريق العربية ، قوله (الحجة التى كتبها الله لهم) هذا من الجهل والكفر بمكان ، فإن الله لا يملِّك الناس شيئا بحجة يكتبها لهم ، غايته أن الناس يتداولون البلاد عن أسيادهم ، كهؤلاء أو عن أسلافهم أو بالغلبة والقهر ، قوله فى (المناصب السامية) أى المرتفعة ، فيه احتراز عن دفع اللوم عنهم بتقليدهم مناصب الأحكام الجليلة

---

(١) الآية ١٠٥ سورة يوسف .

(٢) الآية ٧٩ سورة الواقعة .

(٣) بيت الخلاء .

(٤) فى الأصل متساوين والصحيح ما أثبتناه .

للأسافل والرقاع[1] كجعلهم (برطلين الطبجى) ، وهو المسمى عند العامة بفرط الرمان كتخذا مستحفظان ، قوله (وبذلك يصلح حال الأمة) نعم بتدبير العقلاء والفضلاء ينصلح حال الأمة ، ولكنهم لايفعلون[2] ذلك ،قوله (وخربوا كراسى البابا) بهذه الفعلة خالفوا النصارى كما سبقت الإشارة إليه ، فهؤلاء الأقوام خالفوا النصارى والمسلمين ، ولم يتمسكوا من الأديان بدين . فتراهم دهرية معطلين[3] . وللمعاد والحشر منكرون . وللنبوة وللرسالة جاحدون . ويقولون بقدم العالم وتأثير العلوية[4] والحوادث الكونية ، بالحركات الدورية . وظهور الملل وانتقال الدول بموجب طبع القرانات وامتزاج المناظرات . وربما اعتقدوا تناسخ الأرواح إلى غيرها من الأشباح ، ومثل ذلك من الخبالات ، وأنواع الضلالات ، وعقيدتهم السالكون فيها تحكيم العقل ، وما تستحسنه النفوس بحسب الشهوات ، ولا يبالون بكشف العورات ، مع قبحه فى العقل والنقل ، فمتى دعت أحدهم الحاجة قضاها فى أى مكان اتفق ، ولو بمرأى من الناس ، ويذهب كما هو من غير استنجاء ولا استجمار ، وتارة يمسح المحل بما يجده ولو ورقة مكتوبة ، ويطؤون كلما تيسر لهم من النساء ويحلقون لحاهم وشواربهم معا ، ومنهم من يبقى شعره لعارضيه فقط ، ولا يحلقون رءوسهم ، ولا عانتهم ، ويخلطون فى مأكولهم ومشروبهم ، ولا يخلعون نعالاتهم أبداً ، ويطؤون بها على الفرش الثمينة ، ويمخطون ويبصقون على الفراش ، ويمسحونه بالمداس ، قوله (مطمئن) صوابه مطمئنا لأنه حال ، فعدوله إلى الرفع فى غير موضعه إشارة إلى أن رفعتهم باستملاك مصر غلطة من الدهر ، وأنهم فى نفسهم مخفوضون ،

---

(١) لعلها والرعاع .
(٢) سبق أن ذكرنا أن نون الرفع غالباً ما تحذف من النص من غير داع .
(٣) فى الأصل معطلون والصحيح ما ذكرناه .
(٤) أى الكواكب والنجوم .

لا يتصبون ولا يرتقمون . ثم ليست هذه أول لحنة ، فإن جميع كلمه ملحون ، ومنشئه ملعون ، عجل الله لهم الوبال والنكال ، وأخرس منهم عضو المقال ، وفرق جمعهم ، وشتت شملهم وأفسد رأيهم وأخذ أنفاسهم وهدم أساسهم ، إنه على ذلك قدير . وبالإجابة جدير انتهى .

وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من الشهر وردت الأخبار . بأن الفرنسيس زحفوا إلى نواحى فُوَّا ، ثم إلى الرحمانية ، وفى يوم الأحد غرة شهر صفر وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس فلم تكن إلا ساعة ، وانهزم مراد بيك ومن معه ، ولم يقع قتال صحيح ، وإنما هى مناوشة من طلائع العسكرين ، بحيث لم يقتل إلا القليل جداً من الفريقين ، واحترقت مراكب مراد بيك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية . واحترق بها رئيس الطوبجّية خليل الجردلى ، وكان قد قاتل فى البحر قتالا عجيباً هو ومن انضم إليه من الغليونجية[1] ، وبقية العسكر المشاة ، الذين فى المراكب مع مراكب الفرنسيس ، وأقدم إقدام الأسد ، فقدّر الله أن علقت نار بالقلع فنزل البعض منها إلى البارود الذى فى المراكب فاحترقت ، فمات هو ومن بالمراكب من المحاربين ، فلما عاين ذلك مراد بيك ولى منهزما ، وترك الأثقال والمدافع ، وتبعته عساكره والمشاة نزلت فى المراكب ، وانفصل الفريقان بدون طائل . وقد كانت العلماء عند توجه مراد بيك للقتال ، تجتمع فى الأزهر كل يوم لقراءة[2] البخارى وغيره من الأذكار والدعوات . وكذلك مشايخ فقراء[3] الأحمدية والسعدية والرفاعية وغيرهم من مشايخ الفقراء وأرباب الأشاير[4] كل يوم يذهبون إلى الأزهر فيجلسون للأذكار والدعاء

(١) أى البحارة .
(٢) فى الأصل لقاءوة وهو تحريف .
(٣) فى الأصل فقراة وهو لحن وتحريف .
(٤) هم رجال الطرق الصوفية ذوو الأعلام الخاصة بهم ، ويطلقون على العلم إشارة

وتجتمع أطفال الكتاتيب للدعاء وتلاوة اسمه تعالى « لطيف » وكل هذا حصل بسببه النفع العظيم ، فهو وإن لم يدفع دخول مصر الفرنسيس[1] لكونه أمراً مقضيا محتما ، لا يرد بالدعاء ، لكن وقع اللطف الجزيل بسبب هذه الدعوات واجتماع القلوب بمجالس الذكر والاستغفار ، وآثار اللطف التى حصلت مشاهَدَةٌ لا تنكر ولله الحمد .

ولما وصل خبر الهزيمة لمصر ، انزعجت الناس انزعاجا شديداً ، وركب إبراهيم بيك لساحل بولاق ، وحضر الباشا والعلماء ورءوس الناس وأعملوا رأيهم فى هذا الحادث العظيم ، فأجمع الرأى على عمل متاريس من بولاق إلى شبرا ، ويتولى الإقامة ببر بولاق إبراهيم بيك وامراؤه وكشّافهم . وفى يوم الاثنين حضر مراد بيك إلى بر إنبابه ، وشرع فى عمل متاريس هنالك من بشتيل إلى آخر إنبابه ، وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وجماعة من خُشْداشينه ، واحتفل فى ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه ، هو وعلى باشا الطرابلسى ونصوح باشا ، وأحضر المراكب الكبار والغلايين التى أنشأها بالجيزة وأوقفها[2] على ساحل إنبابه ، واشحنها بالعساكر والمدافع ، فصار البر الغربى والشرقى مملوئين بالعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة ، ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك ، فإنهم من حين وصول الخبر لهم من الإسكندرية ، شرعوا فى نقل امتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة ، للبيوت الصغار التى لا يعرفها أحد ، وصاروا طول الليل فى نقل الأمتعة وتوزيعها عند معارفهم وثقاتهم ، وإرسال البعض منها لبلاد الأرياف ، وأخذوا أيضا فى تشهيل الأحمال والاستحضار لدواب الشيل وأدوات السفر ، وما ذاك إلا للتعويل على الهزيمة ، فلما رأى أهل مصر ذلك منهم ،

(١) العبارة فيها تقديم وتأخير أى : يدفع دخول الفرنسيس مصر .
(٢) فى الأصل ووافقها وهو تحريف

داخلهم الخوف الكثير ، والفزع ، بحيث أن الأغنياء منهم استعدوا أيضا للهروب ، ولولا أن الأمراء بنعوهم من ذلك لما بقى من الأغنياء ومَنْ له قدرة على الهروب بمصر منهم أحد ، قبل دخول الفرنسيس بأيام ، لكن قد منع إبراهيم بيك الناس من النُّقْلة من مصر ، وهدد من أراد فعل ذلك منهم . وفى يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس ، وصاروا يكررون المناداة كل يوم ، فأغلق الناس الدكاكين والأسواق ، وخرج الجميع لبر بولاق ، فكانت كل طائفة من الطوائف أهل الصنعات يجمعون الدراهم من بعضهم ، وينصبون خياما ، أو يجلسون فى مكان خَرِب ، أو مسجد ، ويرتبون لهم قَيِّماً يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم ، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر ، ومنهم من يُجَهِّز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك ، بحيث أنّ جميع الناس بذلوا وسعهم ، وفعلوا ما فى قوّتهم وطاقتهم ، وسمحت نفوسهم ببذل أموالهم ، فلم يَشِحّ فى ذلك الوقت أحد بشىء يملكه ، ولكن لم يساعدهم الدهر ، وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والأعلام والكاسات ، وهم يضجون ويصيحون ، ويذكرون بأذكار مختلفة . وصعد نقيب الأشراف السيد عمر[1] للقلعة فأنزل منها بيرقاً كبيراً[2] سمته العامة البيرق[3] النبوّى فنشره من القلعة إلى أن وصل به إلى بولاق ، وهو راكب ومعه ألوف من العامة بالنبابيت[4] والعصى ، يهللون ويكبرون ويكثرون بالصياح ، وبصحبته طبول وزمور وغير ذلك ، وأمّا مصر فإنها بقيت خالية الطرق لا تكاد تجد بها أحداً سوى النساء فى البيوت ،

---

(١) هو السيد عمر مكرم .

(٢) فى الأصل بيرق كبير .

(٣) فى الأصل بيرق النبوى والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٤) فى الأصل بالنبابيد وهو تحريف والنبابيت جمع نبوت . عامى مصرى يراد به العصا الغليظة .

والصغار وضعفاء الرجال ، الذين لا يقدرون على الحركة ، فإنهم مستترون مع النساء فى بيوتهم ، والأسوق مجفرة[1] ، والطرق معفرة ، من عدم الكنس والرش. وغلا سعر البارود والرصاص بحيث يباع الرطل البارود بستين نصفا ، والرصاص بتسعين ، وغلا السلاح وقل ، وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصى ، ومكث المشايخ والعلماء بزاوية على بيك ببولاق ، يدعون ويبتهلون إلى الله ، وأقام غيرهم من الرعايا ، البعض بالبيوت والبعض بالزوايا ، والبعض فى الخيام . ومحصل الأمر أن جميع من[2] بمصر من الرجال تحول لبولاق وأقام بها ، من حين نصب إبراهيم بيك العرضى هناك إلى وقت الهزيمة ، سوى ناس قليلة لا يجدون لهم مأوى ، فيرجعون لبيوتهم يبيتون بها ، فيصبحون ببولاق ، وأرسل إبراهيم بك إلى العُرْبان المجاورة لمصر ، ورسم لهم أن يكونوا فى المقدمة بنواحى شبرا وما والاها ، وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرى وغيرهم ، وفى كل يوم يتزايد الجمع ويكثر الهول ، ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون قوت يوم بيوم ، لتعطل الأسباب ، واجتماع الناس كلهم فى صعيد واحد ، وتنقطع الطرق ، ويعدو الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام ، واشتغالهم بما دهمهم من هذا الأمر العظيم ، وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على ساق ، يقتل بعضهم بعضا ، وينهب بعضهم بعضا . وكذلك العرب تُغير على الأطراف والنواحى ، وصار قُطرُ مصر من أوله إلى آخره فى قتل ونهب ، وإخافة طريق ، وقيام شر ، وإغارة على أموال ، وفساد مزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد التى لا تحصى ، وطلب أمراء مصر الإفرنج الذين هم تجار بمصر ، فحبس بعضهم بالقلعة ، وبعضهم بأماكن الأمراء ، وصاروا يفتشون بمحلات الإفرنج على الأسلحة وغيرها ، وكذلك يفتشون بيوت

(١) لعلها مقفرة .

(٢) فى الأصل ما بمصر وهو خطأ .

النصارى الشوام والأقباط والأروام ، والكنايس والأديرة على الأسلحة ، والعامة لا ترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود ، فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة فى وقت الفتنة ، ثم فى كل يوم تكثر الإشاعة بقرب الفرنسيس إلى مصر ، وتختلف الناس فى الجهة التى يأتون منها ، فنهم من يقول يأتون من البر الغربى ، ومنهم من يقول من البر الشرقى ، ومنهم من يقول يأتون من الجهتين ، هذا وليس لأحد من كبراء العسكرين همة أن يبعثوا جاسوسا ، أو يرسلوا طليعة ، تناوشهم[1] القتال ، قبل دخولهم ، بل كل من إبراهيم بيك ومراد بيك جمع عسكره ومكث بمكانه لا ينتقل عنه ، ينتظر ما يفعل به ، وهذا من سوء التدبير ، وإهمال أمر العدو .

ولما كان يوم الجمعة سادس الشهر وصل الفرنسيس إلى الجسر الأسود ، وأصبح يوم السبت ، فوصلوا إلى أم دينار ، فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر ، ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزيمتهم ، مختلفة آراؤهم ، حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم ، مختالون فى زينتهم ، مغترون بجمعهم ، محتقرون شأن عدوهم ، مرتبكون فى رَوِيَّتهم ، مغمورون فى غفلتهم . وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم . وقد كان الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين بل أشيع فى عَرْضى إبراهيم بيك أنهم قادمون من البرين ، فلم يأتوا إلا من البر الغربى ، ولما كان وقت القائلة من ذلك اليوم ، ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربى وتقدموا إلى ناحية بشتيل ، وهى بلد مجاورة لإنبابه ، فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس وكروا عليهم بالخيول ، فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمى ، وأبلى الفريقان[2] .

---

(١) كلمة عامية بمعنى ناوش .

(٢) فى الأصل الفريقين وهو خطأ .

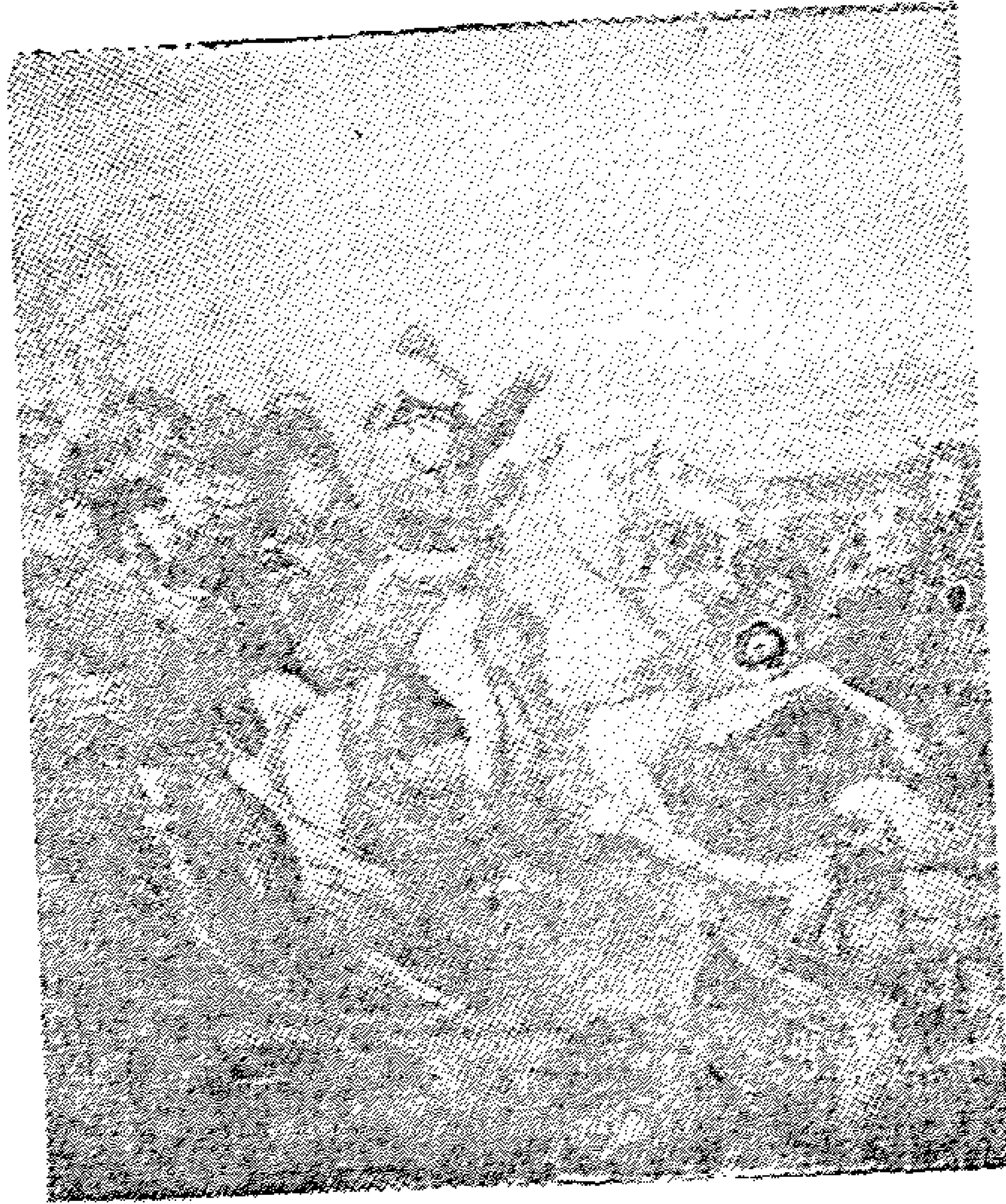
وفى هذه الكرّة استشهد أيوب بيك الصغير وعبد الله كاشف الجرف . وكان عبداً أسود جسيماً معروفاً بالشجاعة والإقدام ، ومات أيضاً عدة من كشّاف محمد بيك الألفى ومماليكه ، وتبعهم طابور من الإفرنج فى نحو ستة آلاف سرّى[1] عسكرهم (دزى) الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم . وأما بونابارته فلم يشاهد الوقعة بل حضر بعد الهزيمة ، وكان بعيداً عن هؤلاء بكثير . ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ترامى الفريقان بالمدافع ، ورمت عسكر الغليونجية ، التى فى الغلايين البحرية بالمدافع أيضاً ، وكان قد قدم فى صبح هذا اليوم عدة من عسكر الأرنأوط من دمياط ، وطلعوا إنبابه وانضموا للمشاة من الغليونجية والألضاشات والمغاربة ، وانتظموا معهم فى المتاريس ، فلما وقع الحرب[2] ، مات معظمهم ، ولم ينتقل عن مكانه ، ولم يثبت من هذه الطوايف كلها إلا هذه الفرقة ، بحيث لم ينج منها إلا القليل ، ولم تتزلزل عن مكانها ، ولم تسلم فى أنفسها ، وهكذا الرجال ، رضى الله عنهم ، فلمّا رأى عسكر البر الشرقى القتال ، ركب جماعة من الأمرآء الذين به وشرعوا فى التعدية إلى البر الغربى فى المراكب ، فتراموا على المعادى ، لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جداً ، فلم يتمكن الجميع للوصول ، إلا وقد انهزم العسكر الغربى ، هذا والريح النكباء قد اشتدت فى هبوبها ، وأمواج البحر فى قوة اضطرابها ، والرماد يعلو غبارها ، وتنسفها الريح فى وجوه العسكر ، فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه ، من شدة الغبار ، وكون الريح من جهة العدو ، وفى وجوه المقاتلين . وذلك من أعظم أسباب الهزيمة ، كما هو منصوص عليه ، ثم إن الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك ، انقسم على كيفية معلومة عندهم فى الحرب ، وتقارب من المتاريس ، بحيث صار محيطاً بالعسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبوله وأرسل

---

(١) لعلها (سر عسكرهم) أى قائدهم .

(٢) الصحيح وقعت الحرب .

بنادقه المتتالية والمدافع ، واشتد هبوب الريح ، وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا ، من دخان البارود وغبار الرياح ، وصُمَّت الأسماع من توالى الضرب ، بحيث خُيِّل للناس أن الأرض تزلزلت ، والسماء عليها سقطت ، فاستمر القتال نحو ثلاثة أرباع الساعة ، ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربى ، فغرق الكثير من الخيالة فى البحر ، لإحاطة العدو بهم ، وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيراً فى يد الفرنسيس ، وملكوا المتاريس ، وفر مراد بيك ومن بقى معه إلى الجيزة ، فصعد إلى قصره ، وقضى بعض أشغاله ، فى نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب إلى الجهة القبلية ، وبقيت[1] القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة ملقاة ببر إنبابة تحت الأرجل ، وكان من جملة من ألقى نفسه فى البحر سليمان بيك ، المعروف بالأغاء ،



نابليون يشير إلى الأهرام فى معركة انبابة

أوخوه إبراهيم بك ، فأما سليمان بك فنجا[2] وغرق إبراهيم بيك ، المعروف بالصغير . ولما انهزم العسكر الغربى حوّل الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقى ، وضربوها ، فقامت صيحة عظيمة ببر بولاق ، وركب إبراهيم بيك

(١) فى الأصل وبقيت .

(٢) فى الأصل نجا بدون فاء والفاء واجبة بعد أما .

والباشا والأمراء والعسكر والرعايا ، وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئاً ، فأما إبراهيم بيك والباشا والأمراء فذهبوا إلى جهة العادلية ، وأما الرعايا فهاجروا إلى جهة المدينة ، ودخلوها أفواجا أفواجا ، وهم فى غاية مايكون من الخوف والفزع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ، ويبتهلون إلى الله تعالى من شر هذا اليوم العظيم والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن فى البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب ، فلما استقر إبراهيم بيك بالعادلية ، أرسل فأخذ حريمه ، وكذلك من كان معه من الأمراء ، فأركبوا النساء بعضهن على الخيول ، وبعضهن على البغال ، والبعض على الحمير والجمال . والبعض ماش[1] كالجوارى والخدم . واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر ، البعض بحريمه والبعض ينجو بنفسه . وليس أحد مع أحد ، بل كل واحد مشغول بنفسه ، عن أبيه وإبنه ، فخرج فى تلك الليلة معظم أهل مصر ، البعض لبلاد الصعيد ، والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر . وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه ، لا يقدر على الحركة ممتثلا للقضاء . متوقعا للمكروه . وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده ، وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ، ومايصرفه عليهم فى الغربة ، فاستسلم للمقدور ، ولله عاقبة الأمور . والذى أزعج قلوب الناس وهيجهم[2] على الترحال بالأكثر أن فى عشاء تلك الليلة شاع فى الناس أن الإفرنج عدوا إلى بولاق وأحرقوها ، وكذلك الجيزة وأن أولهم وصل إلى باب الحديد يحرقون ويقتلون ، ويفجرون بالنساء ، وكان السبب فى هذه الإشاعة أنّ بعض القليونجية من عسكر مراد بيك ، الذين كانوا فى القليون بمرساة إنبابة ، لما تحقق الكسرة اضرم النار[3] فى القليون الذى هو فيه ، وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار

---

(١) الصحيح ماشيات .

(٢) فى الأصل وهيجيهم وهو تحريف .

(٣) فى الأصل اضطرم النار وهو قول غير مفهوم .

الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه إلى جهة قبلى ، فمشوا به قليلا ووقف ، لقلة المـاء فى الطين ، وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة ، فأمر بحرقه أيضا ، فصعد لهيبه إلى عنان السماء ، فلما عاين الناس بالمدينة لهيب النار ، من ناحية الجيزة وبولاق ، ظنوا بل أيقنوا أنهم حرقوا البلدين ، فماجوا كلهم ، واضطربوا زيادة عما هم عليه من الفزع والروع والجزع . وخرج أعيان الناس ، وأفندية الأوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين ، فلما عاين العامة والرعية ذلك ، اشتد ضجرهم وخوفهم . وتحركت عزائمهم للهروب واللحاق بهم . والحال أن الجميع لا يدرون أى طريق يسلكون ، وإلى أى جهة يذهبون ، وأى محل به يستقرون ، فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حَدَبٍ يَنْسِلُون(١) . وبيع الحمار الأعرج والبغل الضعيف بأضعاف ثمنه ، وخرج أكثرهم ماشيا أو حاملا متاعه على رأسه ، وزوجته حاملة طفلها ، ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ، ومشى هو على أقدامه ، وخرجت غالب النساء ماشيات حاسرات ، وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد وصبحها ، وأخذ كل إنسان على قدر ما يحمل من مال ومتاع ، فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة تلقاهم(٢) العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر عورته ، ويسد جوعته ، فكان ما أخذته العرب شيئاً كثيراً ، يفوت عن الحصر ، بحيث أن الأموال والذخائر التى خرجت من مصر فى تلك الليلة ، أضعاف مابقى بها بلا شك ، لأن معظم الأموال عند الأمراء والأعيان وحريمهم ، وقد أخذوه صحبتهم ، وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة خرجوا أيضا بما عندهم ، والذى أقعده العجز وكان عنده ما يعزّ عليه

---

(١) حدب : طريق ، وينسلون : يخرجون .

(٢) فى الأصل تلتقيهم وهو تحريف .

من مال أو مصاغ أعطاه لجاره ، أو صديقه الراحل ، ومثل ذلك أمانات وودائع للحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه ، وربما قتلوا من قدروا عليه ودافع عن نفسه ومتاعه ، وعروا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن ، وفيهم الخوندات والأعيان ، فمنهم من رجع من قريب ، وهم الذين تأخروا فى الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين ، ومنهم من جازف متكلا على كثرته وعزوته وخفارته ، فسلم أو عطب ، وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة ، جرى فيها ما لم يتفق مثله بمصر ، ولا سمعنا بما يشابه[1] بعضه فى تواريخ المتقدمين ، وما راء كمن سمع[2] .

ولما أصبح يوم الأحد المذكور والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين فى أسوء حال من العرى والفزع ، فتبين أن الفرنج لم يعدوا إلى البر الشرقى ، وأن الحريق كان فى المركب المتقدم ذكرها ، فاجتمع فى الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الفرنج ، وينتظروا ما يكون من جوابهم ، ففعلوا ذلك ، وأرسلوها صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم ، وآخر صحبته فغابا وغابا وعادا وأخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة ، فقرأها عليه ترجمان ، ومضمونها الاستفهام عن قصدهم ، فقال على لسان الترجمان : وأين عظماؤكم ومشايخكم ؟ لم تأخروا عن الحضور إلينا ؟ لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة ؟ وطمنهم وبش فى وجوههم ، فقالوا : نريد أمانا منكم . فقال : قد أرسلنا لكم سابقا ، يعنون الكتاب المذكور ، فقالوا وأيضا لأجل اطمئنان الناس ، فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها : من عسكر الجيزة خطابا لأهل مصر ، إننا أرسلنا لكم فى السابق كتابا فيه الكفاية ، وذكرنا لكم أننا لم حضرنا[3]

---

(١) فى الأصل يشاه به وهو تحريف .

(٢) فى الأصل وما راء كما سمعنا والمثل وما راء كمن سمع . (٣) يريد لم نحضر .

إلا بقصد إزالة المماليك ، الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذوا مال التجار ومال السلطان ، ولما حضرنا إلى البر الغربي ، خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقون ، وقتلنا بعضهم ، وأسرنا بعضهم عندنا ، وهرب بعضهم ، ونحن في طلبهم حتى لم يبق(١) منهم أحد بالقطر المصرى ، وأما المشايخ والعلماء ، وأصحاب المرتبات والرعية ، فيكونوا(٢) مطمئنين ، وفي مساكنهم متاجرين ومرتاحين ، إلى آخر ما ذكرنا . ثم قال لهم لازم أن المشايخ والشورباجية يأتون إلينا لنرتب منهم ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمر ، ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون إلى الجيزة . فتلقاهم وضحك لهم ، وقال أنتم المشايخ الكبار ، فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا ، فقال لأى شيء يخافون ؟ أكتبوا لهم بالحضور ، ونعمل لكم ديوان لأجل الراحة ، فكتبوا منه عدة مكاتيب بالحضور والأمان ، ثم انفصلوا من عندهم بعد العشاء ، وبقى الناس في وجل وخوف على غيابهم ، وأصبحوا فأرسلوا الأمان إلى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى ومن انضم إليهما من الناس الفارين من ناحية المطرية . وأما عمر أفندى نقيب الأشراف فإنه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك الرزنمجى والأفندية ، وفي ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس ، ونهبوا بيت إبراهيم بيك ومراد بيك بقيسون ، وأحرقوه ونهبوا أيضاً عدة بيوت من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان ، وفي يوم الثلاثاء عدت الفرنسيس إلى بر مصر ، وسكن بونابرته ببيت محمد بيك الألفى بالأزبكية بخط الساكت ، وكان عمره محمد بيك المذكور سنة تاريخه ، وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة ، وفرشه بالفرش الفاخر ، وعند تمامه وسكناه فيه حصلت هذه الحادثة ، فأخلوه وتركوه بما فيه .

---

(١) لا يبق .　　(٢) فليكونوا .

كأنه كان بناه الفرنسيين ، وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية . وفى يوم الخميس ثالث عشر صفر طلبوا المشايخ والوجاقلية عند بعض رؤسائهم ، وعينوا عشرة أنفار من المشايخ للديوان ، وهم الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى والسيد مصطفى الدمنهورى والشيخ محمد العريشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى ، وحضر ذلك المجلس أيضا مصطفى بيك كتخدا الباشا والقاضى ، وعملوا محمد أغا المسلمانى أغاة مستحفظان ، وعلى أغا الشعراوى زعيم مصر ، وحسن أغا محرم أمين احتساب ، وذلك بإشارة أرباب الديوان ، فإنهم كانوا ممتنعين من تقليد(١) المناصب لجنس المماليك ، فعرفوهم أن سوقة مصر لا يخافون إلا من الأتراك . ولا يحكمهم سواهم ، وهؤلاء الجماعة من أرباب البيوت القديمة ، وقلدوا زين الفقار كتخدا محمد بيك الألفى كتخدا بونابارته ، ومن أرباب المشورة(٢) كافوا وكاوى الفرنساوى ووكيل الديوان حنابينو ، وفيه اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه ، فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت ، فقالوا له هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس ، فقال : لأى شىء يفعلون ذلك وقد أوصينا كم بحفظ البيوت والختم على متاع(٣) المماليك ؟ ، فقالوا : هذا الأمر لا قدرة لنا على منعه ، وإنما ذلك من وظيفة الحكام ، فأمروا الوالى والأغا بأن ينادوا بالأمان وفتح الدكاكين والمنع من النهب ، فلم يستمعوا ولم ينتهوا واستمرت الدكاكين مغلقة والأسواق على حالها مقفرة(٤) والناس غير مطمئنين ، وقلوبهم مرجوفة وصدورهم ضيقة . والتفت جماعة الفرنسيس إلى فتح البيوت التى للأمراء

(١) فى الأصل تقليد .

(٢) فى الأصل المهورة .

(٣) فى الأصل بتاع ولعل الصحيح ما أثبتناه .

(٤) فى الأصل معفرة ولعل الصحيح ماثبتناه .

فصاروا يفتحون الدار ، ويدخلونها ويأخذون منها ما يليق بخاطرهم ويخرجون ، ويتركون الأبواب مفتحة ، فيدخل بعدهم طائفة الجعيدية ويستأصلون الباقى واستمروا على ذلك عدة أيام ، ثم إنهم تتبعوا بيوت الأمراء وأتباعهم وختموا على بعضها ، وسكنوا بعضها ، فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية أو من أهل البلد ، يعلق له بيرقا على داره فى الباب ، أو يأخذ له ورقة من الفرنسيس ، لا يعرف ما فيها ، ويلصقها على بابه ، وفيه قلدوا برطلمين العسكرى الرومى النصرانى ، وهو الذى تسميه العامة فرط الرمان ، جعلوه كتخدا مستحفظان ، والمذكور من أسافل النصارى الأروام العسكرية القاطنين (١) بمصر ، وكان طوبجيا عند محمد بيك الألفى ، وله حانوت بخط الموسكى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة ، فلما قلدوه المنصب ، نزل بموكب من بيت بونابارته وراكب فرس بقلاعية(٢) وأمامه عدة وافرة من طوائف الأجناد البطالين مشاة بين يديه ، وعلى رأسه خشيشة من الحرير ، ولابس فروة بزعارة ، وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة ، ورتب له بيوك باشى وقلقات ، عينوا لهم مراكز بأخطاط المدينة يجلسون بها ، وسكن اللعين المذكور بيت يحيا الكاشف الكبير ، بحارة عابدين ، واحتوى عليه بما فيه من الفرش والمتاع والجوارى ، وغير ذلك ، وقلدوا أفرنجياً(٣) آخر ، وجعلوه أمين البحرين ، وآخر جعلوه أغاة الرسالة ، وجعلوا الديوان ببيت قائد أغا بالأزبكية بالقرب من الرويعى ، وسكن به رئيس الديوان ، وسكن (دبوى) قائمقام مصر ببيت إبراهيم بيك الكبير ، وسكن مجاون ببيت مراد بيك على رصيف الخشاب ، والرزنامجى سكن ببيت الشيخ البكرى القديم ، ويجتمع

---

(١) فى الأصل القاطنين وهى تحريف .

(٢) أى وهو راكب فرساً ، والقلاعية لعلها العدة المصممة الزينة التى توضع فوق ظهور الفرس .

(٣) فى الأصل أفرنجى آخر مع أنها واجبة النصب على المفعولية .

ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم ، وجلبوا الدفاتر من الكتبة ، وكذلك قلدوا دفتر دار أفرنجى[1] ثم إن عساكرهم صارت تدخل إلى المدينة شيئا فشيئا حتى امتلأت منهم الطرقات ، وسكنوا فى البيوت وخافت منهم الحارات ، ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذوا[2] المشتروات بزيادة عن ثمنها ، وهذه من أعظم المكايد لأجل إضلال عقول العامة ، وانهمكوا على أنواع المأكولات ، مثل الكلاب السمرانين[3] ، فجر السوقة وصغروا الخبز ، وطحنوه بترابه ، وباعوا البيضة بنصف فضة ، بعد أن كانوا يبيعون كل أربع بيضات بنصف ، وفتح الناس عدة دكاكين بجوارهم ، يبيعون فيها أصناف المأكولات كالفطير والكعك والسمك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك ، وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع المسكرات ، وعدة خمامير وقهاوى ، وطافت جماعة من النصارى فى الأسواق تبيع العرق ، كسقاة الماء ، وصاروا ينادون فيه[4] بالأسواق بلغتهم وفحشَ ذلك جدا ، وفيه تشفع أرباب الديوان فى أسرى المماليك ، فقبلوا شفاعتهم ، وأطلقوهم ، فدخلوا الجامع الأزهر وهم فى أسوأ حال ، وعليهم ثياب زرق مقطعة ، فسكنوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ، ويتكففون المارين ، وفى ذلك عبرة للمعتبرين .

وفيه يوم السبت اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة ، وهى مقدار خمسمائة ألف ريال من التجار المسلمين والنصارى القبط والشوام وتجار الافرنج أيضاً فسألوا التخفيف ، فلم يجابوا ، فأخذوا فى تحصيلها . وفيه نادوا على من أخذ شيئا من نهب البيوت يحضر به إلى بيت قائمقام وإلا يحصل له مزيد الضرر ، ونادوا أيضا على نساء الأمراء بالأمان أنهن يسكن

---

(١) أى قلدوا رجلا أفرنجياً وظيفة الدفتر دار .

(٢) الصحيح يأخذون .

(٣) والصحيح السمرانه

(٢) الصحيح ينادون عليه .

بيوتهن[1] ، وإذا كان عندهن أشياء من متاع أزواجهن يظهرنه ، فإن لم يكن عندهن شيء من متاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ، ويأمن فى دورهن، فظهرت الست نفيسة زوجة مراد بيك ، وصالحت على نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمائة وعشرين ألف ريال فرانسه ، وأخذت فى تحصيل ذلك من نفسها وغيرها ، ووجهوا عليها الطلب ، وكذلك بقية النساء بالوسائط ، فجمعوا شيئا كثيراً فصار الديوان عبارة عن قطع الجرايم[2] وعمل المصالحات ، وكتب أمانات للغز والأجناد المختفين والغائبين بالقرى بحضورهم ومصالحتهم عن أنفسهم ، فانتفع كثير عن الوسايط المتداخلين فى ذلك كنصارى الشوام والإفرنج البلدى وغيرهم، فصاروا يعملون إرهاصات على الناس ، وتخويفات وتخيلات وغير ذلك مما يطول شرحه ، استجلابا للأموال .

وفى يوم الأحد طلبوا الخيول والجمال والسلاح ، فجمعوا شيئاً كثيراً حتى الأبقار والثيران ، وحصل فى ذلك مثل ما حصل فى المصالحات ، وجمعوا من ذلك شيئاً كثيراً ، وأشاعوا التفتيش بسبب ذلك ، وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره ، وأخذوا ما وجدوا فيها من السلاح ، من غير ثمن ، هذا وفى كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك من البيوت مالا يحصى ، ويستخرجون الخبايا ، ويأخذون البنايين والمهندسين والخدم الذين يعرفون بيوت أسيادهم ليدلوهم على محلات الدفاين ، وفيه قبضوا على شيخ الجميدية ، ومعه آخر ، وبندقوا[3] عليهما ببركة الأزبكية ، ثم على آخرين أيضا بالرميلة ، وأحضروا شيئاً كثيراً من المنهوبات .

---

(١) فى الأصل وأنهم يسكنوا بيوتهم ، وهو يشير الى نساء الأمراء .
(٢) أى رفع الجرائم والغائها .
(٣) أى أطلقوا عليهما الرصاص .

وفى يوم الثلاثاء طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق وقرروا عليهم جملة يعجزون عنها فى المال ، ويزعمون أنها سلفة إلى ستين يوما ، فضجوا واستغاثوا وذهبوا إلى الجامع الأزهر والمشهد الحسينى ، واستشفعوا بالمشايخ ، فتكلموا لهم فاضعفوها[1] إلى النصف ، ووسّعوا لهم فى أيام المهلة ، وفيه شرعوا فى تكسير الدروب والبوابات النافذة ، وخرج عدة متفرقة من عساكرهم يخلعون ويكسرون أبواب الدروب والعطف والحارات واستمروا على ذلك عدة أيام ، ولوقوع[2] هذه الأمور ، داخل الناس من الفرنسا[3] خوفٌ شديد ، وتجسم عندهم الفزع ، وغلب عليهم الوهم ، وفساد المخيلة ، ووسوست عليهم نفوسهم بمعان نطقوا بها ، وتصوروا حقيقتها ، وتناقلوها فيما بينهم ، كقولهم إن عساكر الفرنساوى عازمون على قتل المسلمين ، وهم فى صلاة الجمعة ، ومنهم من يقول غير ذلك ، وذلك بعد أن كان حصل عندهم بعض اطمئنان ، وفتحوا بعض الدكاكين ، فلما حصلت[4] هذه الحال ، انكمش الناس ثانيا .

وفى عشرينه حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة ، فذهب أرباب الديوان إلى باش عسكر ، وأعلموه بذلك وطلبوا منه أمانا لأمير الحاج ، فامتنع ، وقال: لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتى من غير مماليك ولا عسكر ، ويكون كأحد[5] الناس ، فقالوا له : ومن يوصل الحجاج ؟ فقال نرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم إلى مصر ،فكتبوا لأمير الحاج فعرفوه بما جرى من الأول للآخر بالملاطفة، وأنه يحضر بالحجاج إلى دار الحره ، وبعد ذلك يحصل الخير ،

---

(١) أى أنزلوها وخفضوها .

(٢) فى الأصل وقوع هذه الأمور ، ومقتضى السياق أن توجد لام التعليل حتى يستقيم الكلام .

(٣) الحق بفرنسا الألف واللام ولعله يريد الفرنساويين لا البلد .

(٤) فى الأصل حصلت هؤلاء الحال وهو خطأ .

(٥) فى الأصل كأحدى الناس وهو خطأ .

فلم تصلهم الجوابات حتى كاتبهم إبراهيم بيك يطالبهم[1] بالحضور إلى جهة بلبيس وأقاموا هناك أياما ، وكان إبراهيم بيك ومن معه رحل من بلبيس إلى الصوّة ، وأرسلوا الحريم إلى القرين .

وفى ثالث عشرينه خرجت طائفة من الفرنساوى إلى جهة العادلية ، وصاروا بعده فى كل يوم تخرج طائفة بعد طائفة ، ويذهبون إلى جهة الشرق ، فلما كان ليلة الأربعاء سادس عشرينه خرج باش العسكر ، وكانت أوائلهم وصلت إلى الخانكة ، وأبوزعبل ، فطلبوا كلفة من أبو زعبل ، فامتنعوا ، فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلد وأحرقوها ، وانتقلوا إلى بلبيس ، وأما الحجاج فإنهم نزلوا بلبيس واستكرت[2] حجاجُ الفلاحين مع العرب ، فأوصلوهم إلى بلادهم من الغربية والمنوفية وغير ذلك ، وكذلك فعل ذلك غير الفلاحين الكثير من الحجاج ، فتفرقوا فى البلاد بحريمهم ، ومنهم من أقام ببلبيس ، وأما أمير الحاج صالح بيك فإنه لحق إبراهيم بيك وصحبته ناسٌ من التجار وغيرهم .

وفى ثانى عشرينه ملكوا[3] الإفرنج مدينة بلبيس ، وكان فيها بقية من الحجاج ، فلم يشوشوا على أحد ، وأرسلوهم إلى مصر ومعهم ناس من عساكرهم ، فلما كان ليلة الأحد غايته جاء الرائد إلى الأمراء بالصوت[4] وأخبرهم أن الفرنج قادمون عليهم ؟ فركبوا نصف[5] وتوجهوا إلى جهة القرين ، وتركوا التجار وأصحاب الأثقال ، فلما طلع النهار حضر إليهم جماعة من العربان واتفقوا

---

(١) فى الأصل يطلبهم .

(٢) استأجروا دواب العرب لتحملهم ، من الكراء ، وا كترى الدابة استأجرها .

(٣) يستعمل المؤلف الفعل مع واو الجماعة ثم يتبعها بفاعل على لغة أكلونى البراغيث ، والصحيح ملك الإفرنج مدينة .

(٤) أى نزعاً وهو تعبير عامى مصرى .

(٥) هكذا فى الأصل وربما أراد أنهم تعجلوا فى ركوبهم واستعدوا نصف استعداد .

معهم على أنهم يوصلوهم(١) إلى القرين ، وعاهدوهم أنهم لا يخونوهم(٢) فلما توسطوا بهم الطريق ، نقضوا عهدهم وخانوهم ونهبوا حمولهم وتقاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم ، وفيهم كبير التجار السيد أحمد المحروقي ، وكان ما يخصه ثلاثمائة ألف ريال فرانسى نقوداً ، ومتجراً من جميع الأصناف الحجازية ، وفعلت العرب معهم ما لا خير فيه ، ولحقهم عسكر الإفرنج ، فذهب السيد أحمد المحروقي ولقى الصاري عسكر وصحبته جماعة من العرب المنافقين ، فشكا له ما حل به وبإخوانه ، فلامهم على تنقلهم وصحبتهم إلى المماليك والعرب، ثم قبض على أبو خشبة شيخ بلد القرين وقال له : عرفني عن مكانات المنهوبات ، فقال أرسل معى جماعة إلى القرين ، فأرسل معه جماعة من العسكر ، فلما دخل القرين ومعه الجماعة ، دلهم على بعض الأشياء فأخذها(٣) الإفرنج فتقاسموها ، ثم تبعوه إلى محل آخر فأوهمهم أنه يدخل ويخرج لهم أحمالاً كذلك ، فدخل من مكان آخر ولم يرجع ، فرجع أولئك العسكر بحمل ونصف لا غير ، وقالوا هذا الذى وجدناه ، والرجل انهزم من بين أيدينا فقال الصارى عسكر : لابد من تحصيل ذلك ، فطلبوا منه الإذن فى التوجه إلى مصر ، فأصحب معهم عدة من عسكره ، فأوصلوهم لمصر وهم فى أسوأ الحال ، وصحبتهم أيضاً من النساء اللآتى كن خرجن ليلة الحادثة وهم فى حالة تسكب عند مشاهدتهن(٤) العبر ، وينقطع القلب من توالى الحسرات .

شهر ربيع الأول ١٢١٣ فى ثانيه وصل الإفرنج إلى نواحى الشرقى القرين(٥) وكان إبراهيم بك ومن معه وصلوا إلى الصالحية ، وأودعوا أحمالهم وحريمهم هناك، وضمنوا عليهم العربان وبعض الجند ، فأخبر بعض العرب الإفرنج بمكان

---

(١) الصحيح يوصلونهم .
(٢) حذف نون الرفع بدون داع والصحيح لا يخونونهم .
(٣) فى الأصل فأخذوها الفرنج وهو خطأ .
(٤) فى الأصل مشاهدتهم.
(٥) هكذا فى الأصل والصحيح شرقى القرين .

الحلة ، فركب الصارى عسكر وأخذ معه الخيالة قصد الغارة على الحلة ، وعلم إبراهيم بيك بذلك أيضاً ، فركب هو وصالح بيك وعدة من الأمراء والمماليك ، وتلاقوا مع الفرنسيس الخيالة الذين كانوا مع الصارى عسكر ، وتحاربوا ساعة أشرفت فيها الإفرنج على الهزيمة والدمار ، لكون خيالة الإفرنج لا قدرة لهم على قتال المماليك ، وإذا الخبر وصل إلى إبراهيم بيك بأن العرب مالوا إلى الحملة ، وقصدهم نهبها ، فرجع على إثره بمن معه ، وترك قتال الفرنسيس ، ولحق العرب وجلاهم من متاعه ، وقتل منهم عدة أشخاص ، وارتحل إلى قطيا ، ورجع الصارى عسكر الفرنسيس إلى مصر ، وترك عدة من عساكره متفرقين فى البلاد ، فدخل مصر ليلاً ، وذلك ليلة الخميس رابعه .

وفى يوم الجمعة خامسه الموافق لثالث عشر مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك ، فأمر كبير الإفرنج بالاستعداد لذلك ، وتزيين العقبة على العادة ، وكذلك عدة مراكب وغلايين ، ونادوا على الناس بالخروج والتنزه فى النيل والمقياس والروضة على عادتهم . هذا مع ماهم عليه بمادهمهم من القرِدة[1] والحث فى طلبها ونهب البيوت ، وإزعاج النساء والجوارى وغيرهن وأخذهن وحبسهن[2] وعمل المصالحات ، وغيرها الخارجة عن الحد ، وأرسل صارى عسكر أوراقاً لكتخدا الباشا والقاضى وأرباب الديوان وأصحاب المشورة ، ومتولى[3] المناصب وغيرهم بالحضور فى صبحها ، وركب معهم بموكبه وزينته وعساكره وخيوله وزموره ، إلى قصر قنطرة السّد ، وكسروا الجسر بحضرتهم ، وعملوا شنك مدافع ونفوط[4] حتى جرى الماء فى الخليج ، وركب وهم صحبته حتى رجع إلى داره ،

---

(١) أى الغرامة .

(٢) فى الأصل وأخذهم وحبسهم مع أن الضمير يعود على النساء والجوارى .

(٣) فى الأصل ومتولين المناصب على لغة المؤلف .

(٤) أى نيران مشتعلة بالنفط .

ولم يخرج أحد من الناس فى تلك الليلة للتنزه فى المراكب على جرى العادة سوى النصارى الشوام والقبط والإفرنج ونسائهم ، وقليل من الناس البطالين حضروا فى صبحها بقلوب منكسرة ونفوس ضعيفة ، وفيه تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الإنكليز إلى ثغر إسكندرية ، وحاربوا مراكب الفرنسيس بالميناء ، وكانت أشيعت هذه الأخبار من مدة أيام ، وتتحادث بها الناس ، فصعب ذلك على الإفرنج وشق عليهم واتفقوا[١] أن بعض النصارى نقل عن رجل شريف يقال له السيد أحمد الزرو ، من تجار وكالة الصابون بخط الجمالية ، أنه تحدث بذلك ، فأمروا بإحضاره ، وذكروا له ذلك ، فأنكر ، وقال إننى سمعت من فلان نصرانى[٢] ، فأحضروه أيضاً وأمروا بقطع لسان الاثنين ، أو يدفع كل واحد مائة ريال فرانسه ، فتشفعوا[٣] المشايخ فلم يقبلوا ، فقال بعضهم ، أطلقوهم ونحن نأتيكم بالدراهم فلم يمكن ، فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى وأحضر مائتين[٤] ريال فرانسه ودفعهم فى الحضرة ، فلما قبضهم ردهم إليه ، وقال فرقوهم على الفقراء ، فأظهر أنه فرقهم كما أشار وردهم إلى أصحابهم ، فانكف الناس عن التكلم فى شأن ذلك . والواقع أن الانكليز حضروا فى إثرهم إلى اسكندرية ، وحاربوا مراكبهم ، فنالوا منهم ، وحرقوا قايقهم الكبير المسمى بنصف الدنيا ، وكان به أموالهم وذخائرهم ، واستمروا الانكليز[٥] بمراكبهم قبال اسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيس .

وفى ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم إلى بحرى وإلى الشرقية ، فلما جرى

---

(١) الصحيح واتفق .
(٢) الصحيح من فلان النصرانى .
(٣) هكذا فى الأصل وهو خطأ يصر عليه المؤلف والصحيح فتشفع المشايخ .
(٤) هكذا بالأصل والصحيح مائتى ريال .
(٥) هكذا على طريقة المؤلف فى استعمال فاعلين للفعل .

الماء فى الخليج، أمروا بسد قنطرة الأزبكية، ومنعوا الماء من دخوله إلى البركة بسبب وطاقهم ومدافعهم التى بها ، وفيه سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ولماذا لا يعملونه[1] كعادتهم ، فاعتذر الشيخ البكرى بتوقف الأحوال وتعطل الأمور، وعدم المصروف ، فلم يقبل ، وقال . لابدّ من ذلك ، وأعطى الشيخ البكرى ثلاثمائة ريال فرانسه ، يستعين بها ، فعلقوا أحبال وقناديل واجتمع الفرنسيس يوم المولد ولعبوا[2] ميدانهم ودقوا طبولهم وأحرقوا حراقه فى الليل ، وصواريخ[3] تصعد فى الهوى ، وتفوط[4] وفى ذلك اليوم لبس الشيخ البكرى فروة وتقلد نقابة الأشراف ، ونودى فى المدينة بأن من كان له دعوى على شريف فليرفعها للنقيب .

وفيه ورد الخبر بأن إبراهيم بيك والأمراء المصرية بغزة استقروا .

وفى خامس عشره سافر عدة من الإفرنج إلى جهة الصعيد وعليهم صارى عسكر المتولى[5] على الصعيد إسمه دزه وبصحبتهم يعقوب القبطى ليدبر لهم الأمور ، ويُعمل لهم أنواع المكر والخداع . ويطلعهم على الخبايا، ويصنع لهم الحيل، فمنها أنه كان يرسل الجماعة من الإفرنج لقبض الأموال وطلب الكلَف ، ويُلبس البعض منهم لبس العثملى ، ويكتب لهم التحذير من المخالفة ، ويذكر لهم أن هذا أمر سلطانى ، فيروج ذلك على كثير من أهل البلاد ، ويمتثلون الأوامر .

وفيه حضر القاصد الذى كان أرسله الإفرنج بمكاتبه وهدية إلى أحمد باشا

(١) فى الأصل ولماذا يعملون كعادتهم وقد صححنا العبارة .

(٢) أى قاموا باستعراض حربى .

(٣) فى الأصل وشوارخ وهو تحريف .

(٤) أى تهبط وهى عامية ولعله يقصد أنها تتوغل .

(٥) فى الأصل صارى عسكرى متولى على الصعيد .

الجزار بعكا ، وذلك عند استقرارهم بمصر ، وصحبته إثنان(١) أو ثلاثة من نصارى الشوام فى صفة تجار ، ومعهم جانب رز ، وكان من خبرهم على ما نقل : أنهم نزلوا من ثغر دمياط فى مركب من مراكب أحمد باشا ، فلما وصلوا إلى عكا ، وعلم بهم أحمد باشا أمر بذلك الإفرنجى فنقلوه لبعض النقاير ،ولم يقابله ولم يأخذ منه شيئاً ، وأمره بالرجوع من حيث جاء ، وعوق عنده النصارى الشوام ، الذين كانوا بصحبته .

وفيه حضر جماعة من الإفرنج إلى بيت رضوان كاشف بباب الشعرية وصحبتهم مهندس ، فانزعجت زوجته ، وكانت قبل ذلك بأيام صالحت على بيتها ونفسها بألف وثلاثمائة ريال ، وأخذت منه ورقة ولصقتها على باب دارها ، وردت ما كانت وادعة من الأمتعة ، واطمأنت ، فلما حضر إليها هؤلاء الجماعة ، قالت لهم : ما تريدون وقد دفعت ماصار الصلح عليه ، فقالوا لها بلغنا أن عندك أسلحة وملابس للمماليك ، فأنكرت ذلك ، فقالوا: لها لابد لنا من التفتيش ،فقالت:دونكم، فطلعوا إلى مكان ، وفتحوا مخبأ فوجدوا(٢) فيه أربعة وعشرين شروالاً من ملابس الغز ، وبلكات وأمتعة وغير ذلك ،ووجدوا فى أسفله مخبأة أخرى بها عدة كثيرة من الأسلحة ، مثل بارودات وطبنجات وصناديق بارود وغير ذلك ، فأخرجوا جميع ذلك ، ثم نزلوا لتحت الأرض وأخرجوا منها دراهم وحجاب ذهب فى داخله دنانير ، فأخذوا جميع ذلك ، ثم أنزلوا صاحبة الدار ومعها(٣) جارية بيضاء ،فأخذوها مع جوارها السود ، وذهبوا بهن فأقمن عندهم ثلاث ليال ، ونهبوا ما وجدوه من فرش وأمتعة ، ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى ،

---

(١) فى الأصل اثنين وهو خطأ .

(٢) فى الأصل فجدوا فيها .

(٣) فى الأصل ومعه وهو خطأ .

قامت بدفعها[١] وأطلقوها ورجعت إلى بيتها ، وبسبب هذه الحادثة شددوا فى طلب الأسلحة ، ونادَوْا بذلك وأنهم بعد ثلاثة[٢] أيام يفتشون البيوت ، وكل من وجدوا عنده سلاحاً قتلوه . فخافت الناس من تفتيش البيوت ، وقالوا هذه حيلة على نهب البيوت ، ثم بطل ذلك .

وفى عشرينه قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على إمارة الحاج ، فأحضروه إلى المحكمة وألبسوه هناك بحضرة مشايخ الديوان ، والتزم بونابارته بجميع مهمات الحاج ، وعمل محملاً[٣] جديداً ، وفيه سأل أصحاب حصص الإلتزام فى التصرف فى حصصهم . فطلبوا حلواناً زائداً على القانون ، فلم يرتضوا بذلك ، فوعدوهم لتمام التحرير والإملاء ! وقالوا كل من كان له التزام وتقسيط ناطق باسمه يحضره وعليه ، ففعلوا ذلك فى عدة أيام ، والحال على حاله ، وفيه قطعوا كلف وتفاريد على البلاد ، وكتبوا بذلك أوراقاً وذكروا فيها أنها تحسب من المال ، ورتبوا لذلك صيارف من القبط ، ونزلوا فى البلاد كالحكام ، وبلغوا أغراضهم فى المسلمين بالضرب والحبس والإهانة ، والتشديد فى الطلب والتخويف بإحضار عساكر الفرنج ، إن لم يدفعوا المقرر بسرعة ، وكل ذلك بتدبير القبط ومكرهم .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه قتل الفرنسيس رجلاً شريفاً من أهل الاسكندرية بالرميلة ، يقال له السيد محمد كُرَيِّم بضم الكاف وفتح الواو وتشديد الياء وسكون الميم ، وخبر هذا المقتول أنه كان فى أول أمره قبانياً يزن البضايع فى حانوت بالثغر ، وعنده خفة فى الحركة ، وتودد فى المعاشرة ، فلم يزل يتقرب إلى الناس بحسن الود ، ويستجلب خواطر حواشى الدولة وغيرهم من تجار المسلمين

---

(١) فى الأصل قامت بدفعهم وهو خطأ لأن الضمير يعود على الريالات .

(٢) فى الأصل ثلاث أيام وهو خطأ .

(٣) فى الأصل وعمل محمل جديد .

والنصارى ومن له وجاهة وشهرة من أبناء جنسه ، حتى أحبه الناس واشتهر ذكره في ثغر اسكندرية · ورشيد ومصر ، واتصل بصالح بيك حين كان وكيلا لدار السعادة ، وله الكلام النافذ في ثغر رشيد ، وتملكها وضواحيها ، واسترقّ أهلها وقلد أمرها محا(١) فاتحد به ومخدومه السيد محمد المذكور ، واتصل بمراد بيك فتقرب إليه ، ووافق منه الغرض ، ورفع شأنه على أقرانه ، وقلده بالديوان والكمارك بالثغر ، ونفذت أحكامه ، وتصدر لغالب الأمور وزاد المكس والكمرك ومصاردات التجار ، خصوصاً الإفرنج ، ووقع بينه وبين السيد أحمد أبو شهبة الحادثة التي أوجبت له الاختفاء في الضريح وموته فيه ، فلما حضر الفرنسيس ، ونزل إسكندرية ، قبضوا على السيد محمد المذكور ، وطالبوه بالمال وضيقوا عليه وحبسوه في مركب ، ولما حضروا لمصر وطلعوا لقصر مراد بيك ، وجدوا مكاتيبه إليه في مجلس مراد بيك وفيها مطالعته بأخبارهم ، وبالحث والاجتهاد على حربهم ، وتهوين أمرهم ، فاشتد غيظهم عليه ، وأرسلوا أحضروه لمصر ، وحبسوه



السيد محمد كريم

فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرات فلم يمكن ، إلى أن كانت ليلة الخميس حضر إليه (مجلون) الملعون ، وقال له : المطلوب منك كذا وكذا من المال ، قدر يعجز عنه

(١) كلمة غامضة غير مفهومة وهكذا وردت في الأصل .

وأجّله اثنى عشر ساعة وإلا يقتل بعد مضيها ، إن لم يدفع ، فلما أصبح ، أرسل إلى المشايخ وإلى السيد أحمد المحروقى فحضر إليه بعضهم ، وترجاهم وتدخلوا عليهم واستغاث بهم ، وصار يقول اشترونى يامسلمين وليس بيدهم مايفتدونه[1] به وكل إنسان مشغول بنفسه ومتوقع لشيء يصيبه ، فلما كان قريب الظهر ، وقد انقضى الأجل ، أركبوه حماراً وتحاوطوه[2] عدة من العسكر ، وبأيديهم السيوف المسلولة ويقدمهم طبلهم يضربون عليه ، وشقوا الصليبة إلى أن ذهبوا به إلى الرميلة ، وكتّفوه وربطوه مشبوحاً ، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه[3] ثم قطعوا رأسه ورفعوه على نبوت[4] ودوروه جهة الرميله ، والمنادى يقول هذا جزاء من يخالف على الفرنسيس ، ثم إن أتباعه أخذوا رأسه ، ودفنوه مع جثته ، وانقضى أمره .

وفيه طلب صارى عسكر بونابارته المشايخ ، فلما استقروا عنده نهض بونابارته من المجلس ورفع[5] بيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان ، كل طيلسان أبيض وأحمر وكحلى ، فوضع منهم واحداً على كتف الشيخ الشرقاوى ، فرمى به على الأرض واستعفى وتغير لونه ، فقال الترجمان يامشايخ أنتم صرتم أحباب صارى عسكر ، وهو قصده تعظيمكم وتشريفكم ، بزيله[6] وعلامته ، فإنكم إذا تميزتم بذلك عظمتكم الناس والعساكر وصار لكم منزلة فى قلوبهم ، فقالوا له : لكن قدرنا ينحط عند الله وعند إخواننا المسلمين ، فاغتاظ لذلك ، ورطن بلسانه ، وبلغ عنه بعض التراجمين أنه قال عن الشيخ عبد الله ، هذا لا يصلح للرياسة ونحو ذلك ، فلاطفه[7] بقية الجماعة واستعفوهم من تلك الشالات ،

---

(١) فى الأصل يفتدوه .
(٢) هكذا فى الأصل وهو خطأ لغة .
(٣) فى الأصل يقتلوه .
(٤) فى الأصل نبود بالدال وهو تحريف .
(٥) فى الأصل ورجع وهو تحريف .
(٦) هكذا فى الأصل ولعلها بزيه أى شارته .
(٧) فلاطفوه بقية الجماعة وهو خطأ نحوى من المؤلف .

فقال إن لم يكن ذلك فلازم من وضعكم (الجوكار) فى صدوركم ، وهى العلامة التى يقال لها الوردة ، فقالوا : أمهلونا حتى نتروى فى ذلك ، واتفقوا على اثنى عشر يوما . وفى ذلك الوقت حضر الشيخ السادات باستدعاء ، فصادفهم منصرفين ، فلما استقر به الجلوس بش إليه وضحك له الصارى عسكر ، وتملق بين يديه بلطيف القول الذى يعربه الترجمان ، وصار يقبل يده تارة وركبته أخرى ، ويظهر له المحبة والصداقة وأهدى له خاتم الماس ، وكلفه للحضور عنده من الغد ، وقام وانصرف ، فى ذلك اليوم نادى جماعة القلقات على الناس بوضع العلامات المعروفة بالوردة ، وهى عبارة عن ظهور علامة أمارة الطاعة والمحبة عندهم ، فأنف غالب الناس من ذلك ، وبعضهم رأى أن ذلك لا يخل بالدّين ، إذ هو مكره . ويترتب على عدم الامتثال مزيد الضرر ، فوضعها . ثم فى عصر ذلك اليوم نادوا بإبطالها من العامة ، وألزموا بعض الأعيان ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها ، فكانوا يضعونها إذا حضروا عندهم ، ويرفعونها إذا انفصلوا عنهم ، وذلك أياما قليلة[1] وحصل ما يأتى ذكره ، فتركت ، وفى أواخره شرع الفرنسيس فى عمل عيد لهم ببركة الأزبكية ، وسبب هذا العيد أنهم لما قتلوا سلطانهم[2] ، وظهرت بدعتهم التى ابتكروها ، وخرجوا بها عن الطرايق والملل ، جعلوا ذلك اليوم عيداً وتاريخاً ، وهو موافق للإعتدال الخريفى ، وهو انتقال الشمس لبرج الميزان ، فنقلوا أخشابا وحفروا حفرا ، وأقاموا صاريا عظيما بآلات ، وبنوا[3] بوسط بركة الأزبكية وردموا حوله ترابا كثيراً علوه[4] مقدار قامة وعملوا فى أعلاه قالبا من الخشب المحدد الأعلا ، المربع الأركان ، ولبّسوا باقيه على سمت القالب قماشا ثخينا طلوه

---

(١) أى وضعوا ذلك أياماً قليلة . (٢) يقصد ملكهم لويس السادس عشر .

(٣) فى الأصل وبنا .

(٤) فى الأصل عاليته ولعل الصواب ما ذكرناه .

بالحمرة الجزعة ، وعملوا أسفله قاعدة نقشوا عليها تصاوير سواد فى بياض ، وصنعوا مقابل باب الهوى شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص ، وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصارى ، وعلى القوصرة طلاء أبيض ، وبه تصاوير بالأسود ، مصور فيه مثال حرب المماليك المصرية معهم ، وهم فى شبه المنهزمين ، بعضهم واقع على بعض ، وبعضهم متلفت خلف ظهره ، وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى بناحية قنطرة الدكة ، التى يدخل منها الماء إلى البركة مثال بوابة أخرى على غير شكلها ، لحرقة البارود ، وأقاموا أخشاباً كثيرة منتصبة مصطفة منها إلى البوابة الأخرى شبه الدائرة ، متسعة محيطة بمعظم فضاء البركة ، بحيث صار الصارى الكبير فى المركز ، وربطوا بين تلك الأخشاب حبالا ممتدة ، وعلقوا بها صفين من القناديل وتماثيل وبين ذلك لحراقة البارود أيضا ، وأقاموا العبث عدة أيام .

شهر ربيع الثانى ١٢١٣ استهل بيوم الأربعاء فيه وردت الأخبار أن مراد بيك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم ، رجعوا إلى جهة الفيوم ، وأن عثمان بيك الأشقر عدّى إلى البر الشرقى ، وذهب من خلف الجبل إلى عند سيّدة لغزّة ، وخرج جماعة من الإفرنج إلى جهة الشرق ، ومعهم عدة جمال وأحمال ، فخرج عليهم الغز والعرب ، الذين يصحبونهم ، فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالهم ولم يلحقوهم .

وفى ثالثه حضرت مكاتيب من إبراهيم بيك خطاباً للمشايخ وغيرهم ، مضمونها أنكم تكونون مطمئنين ومحافظين على أنفسكم والرعية ، وأن حضرة مولانا السلطان وجه لنا عساكر ، وإن شاء الله عن قريب نحضر عندكم ، فلمّا وردت تلك المكاتبة ، وقد كان سأل عنها بونابارته ، فأرسلوها له ، وقريت له ، فقال : المماليك كذابون ، ووافق أيضا أنه حضر أغا رومى كان معوقا بالاسكندرية ، فمرّ بالشارع وذهب لزيارة المشهد الحسينى ، فشاهده

الناس ، فاستغربوا هيئته وفرحوا برؤيته ، وقالوا هذا ألجى[1] حضر من عند مولانا السلطان بجواب للفرنسيس يأمرهم بالخروج من مصر ، واختلفت رواياتهم وآراؤهم واجتمعوا بالمشهد الحسينى ، وتبع بعضهم بعضا ، وصادف أن بونابارته فى ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس أنه ورد مكتوب إلى المشايخ أيضاً وأخفوه ، فركب من فوره وحضر إلى بيت شيخ السادات بالمشهد الحسينى ، فلما مرّ بعسكره وطوائفه فى ذلك الوقت ورآه[2] الناس المجتمعة بخط المشهد الحسينى ، وشاهد الآخر جمعيتهم تحقق[3] الناس ما توهموه ، وداخل الفرنسيس أمر من ذلك أيضاً ، وعندما رأى العامة بونابارته خارجا من بيت شيخ السادات راكبا على فرسه ، وخلفه الخيالة بأيديهم السيوف المسلولة كعادتهم ، صاحوا بأجمعهم وقالوا الفاتحة بصوت عال ، فشخص وصار يسأل من معه عن ازدحامهم وصياحهم ، فلطفوا له القول ، وكان لما دخل إلى دار شيخ السّادات نزل إليه الشيخ وواجهه بعد ما انزعج هو وعياله لورود هؤلاء عليهم فى وقت القايله[4] ، على حين غفلة ، فلما استقرّ به الجلوس سأل عن تلك المراسلة فأجابه بعدم علمه بشىء من ذلك ، فألح عليه ، فحلف له وتنصّل ، فلم يصدق ، وقال له لعلّه وصل إلى غيرك ، فأحضروا الشيخ الشرقاوى وبعض المشايخ فجحدوا ذلك ، ثم قام ، فركب وذهب إلى داره ، وكانت نكتة غريبة ، وساعة اتفاقية عجيبة ، كاد ينشأ منها فتنة لولا ألطاف الله تعالى .

وفيه شرعوا فى خلع البوابات والدروب غير النافذة أيضا ونقلوها إلى بركة الأزبكية ، لأنهم جمعوا ما قلعوه من البوابات عند رصيف الخشاب ، والبوابة العظيمة يقطعونها نصفين ويدفعونها بالعتالين إلى هناك ، فاجتمع من ذلك شىء كثير جدا ، وامتلأ من رصيف الخشاب إلى وسط البركة .

---

(١) ألجى : كلمة تركية معناها رسول خاص .

(٢) فى الأصل ورأوه وهو خطأ درج عليه المؤلف .

(٣) فى الأصل تحققوا الناس .

(٤) لعلها القيلولة .

وفى يوم السبت حادى عشره كان يوم عيدهم الموعود ، فضربوا فى صبحية ذلك اليوم مدافع كثيرة ، ووضعوا على كل قائم من الخشب بنديره من بنديراتهم الملونة ، وطلبوا ضرب الطبول ، واجتمعت عساكرهم بالبركة ، الخيالة والزلم[1] ، واصطفوا صفوفا على طرائقهم المعروفة بينهم ، ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبط والشوام ، فاجتمعوا ببيت كبيرهم وصارى عسكرهم بونابارته ، وجلسوا حصة من النهار ، ولبس النصارى من القبط والشوام ملابس الافتخار ، فلبس جرجس الجوهرى كركة بطَرْز قصب بأزرار ، وكذلك فلتيوس وتعمموا بعمائم كشمير ، وركبوا بغال القاهرة ، وأظهروا البشرى والسرور فى ذلك اليوم إلى الغاية ، ثم نزل عظماؤهم وصحبتهم المشايخ والقاضى وكتخدا الباشا ، فركبوا وذهبوا للصارى الكبير الموضوع بوسط الأزبكية ، وكانوا فرشوا فى أسفله بسطاً كثيرة ، ثم إن العساكر لعبوا ميدانهم وعملوا هيئة حربهم وضربوا البندق والمدافع ، فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفاً حول ذلك الصارى ، وقرأ عليهم كبير قسوسهم ورقة بلغتهم ، لا يدرى معناها إلا أهلها ، ولعلها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ ، ثم قاموا وانفض الجمع ، ورجع الصارى عسكر إلى داره ، فمد سماطاً عظيماً للحاضرين ، فلما كان عند الغروب أوقدوا جميع القناديل التى على الحبال والتماثيل والأعمال التى على البيوت ، وعند العشاء عملوا حراقة بارود وصواريخ[2] ونفوط وشبه سواقى ودواليب من نار ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل ، واستمرت القناديل موقدة حتى طلع النهار ، ثم فكوا الأحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة ، وبقيت البوابة المقابلة لباب الهوى والصارى الكبير ، وتحته جماعة ملازمون

---

(١) الخيالة : راكبو الخيل ، والزلم : يريد راكبو الإبل .

(٢) فى الأصل وشوارخ .

الإقامة عنده ليلاً ونهاراً من عساكرهم ، لأنه شعارهم وإشارة إلى قيام دولتهم في زعمهم ، عجل الله زوالها من جميع الأرض .

وفي ثاني ليلة منه ركب كبيرهم إلى بر الجيزة وأرسل عساكر إلى الجهة[1] التي بها مراد بيك وكذلك إلى جهة الشرقية ، ومعهم مدافع على عجل ، وفيه أرسل الدين دبوى قايمقام إلى الست نفيسة ، زوجة عثمان بيك الجوخدار ، فأرسلت إلى المشايخ تستغيث بهم ، فحضر إليها المهدي والسرسي وقصدوا منعها فلم يمكنهم ، فذهبوا صحبتها ، ونظروا في قصتها . والسبب في طلبها أنهم وجدوا رجلا فراشا معه جانب دخان وبعض ثياب فقبضوا عليه ، وقرروه فأخبر أنه تابعها ، وأنها أعطته ذلك وواعدته بالرجوع أيضا لتسلمه شبكين دخان وفروه وخمسمائة محبوب ، ليوصل ذلك جميعه لسيده ، فهذا هو السبب في طلبها ، فقالوا : وأين الفراش ؟ فبعثوا لإحضاره وسألوها ، فأنكرت ذلك كله بالمرة ، فانتظروا وأحضروا الفراش إلى بعد المغرب[2] فلم يحضر ، فقال لهم المشايخ : دعوها تذهب إلى بيتها ، وفي غد تأتي ونحقق هذه القضية ، فقال اللعون : نو نو ، معناه بلغتهم النفي أي لا تذهب ، فقالوا دعها تذهب هي ونحن (نبات)[3] عوضها فلم يرض أيضاً ، وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم ، فلما أيسوا تركوها فمضوا وباتت عندهم في جهة من البيت ومعها جماعة من النساء المسلمات والنساء الإفرنجيات ، فلما أصبح النهار ركب المشايخ إلى كتخدا الباشا والقاضي ، فركبا معه وذهبا لعند صاري عسكر الكبير ، فأحضرها وسلمها إلى القاضي ، ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوى الباطلة ، وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسي ، وذهبت لبيتها بجنب بيت القاضي ، وأقامت فيه لتكون في حمايته .

---

(١) في الأصل الى جهة التي بها مراد بك من غير ألف ولام وهو خطأ .

(٢) العبارة فيها اضطراب ولعلها فانتظروا الفراش إلى ما بعد المغرب فكلمة (وأحضروا) لا معنى لها .

(٣) هكذا باللغة الدارجة أي نبيت .

وفى يوم الخميس نادوا فى الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها لبيت قائمقام بيركة الفيل ، ويأخذ ثمنها ، وإن لم يحضرها بنفسه ، تؤخذ منه قهرا ، وبدفع ثلاثمائة ريال فرانسى ، وإن أحضرها باختياره ، يأخذ ثمنها خمسين ريالا ، قلت عن قيمتها أو كثرت ، فغنم صاحب الخسيس ، وخسر صاحب النفيس ، ثم تُرِكَ ذلك .

وفيه نادوا بوقود قناديل سهَّارى بالطرق والأسواق ، وأن يكون على باب كل دار قنديل ، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل ، وأن يلازموا الكنس والرّش وتنظيف الطرق من الأوساخ والأوخام والقطاط الميتة ، هذا مع ماهم فيه من القذاوة فى بيوتهم وأزقة مساكنهم ، وكثرة اتراب[1] الوسخة وما يختلط بها من ريش الطيور ومصارين الحيوان وفضلات مآكلهم ، ورائحة شرابهم ، وحموضة مسكراتهم وبولهم وغايطهم ، بحيث أن المار يسد أنفه حتى يتجاوزعنهم .

وفيه نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا إلى بلادهم ، وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستأهل الذى يجرى عليه ، ثم كرروا[2] المناداة بذلك ، وأجَّلوهم أربعة وعشرين ساعة ، فذهب جماعة من المغاربة إلى صارى عسكر وقالوا : أرونا طريقاً للذهاب ، فإن طريق البرغير مسلوك والإنكليز واقفون بطريق البحر ، يمنعون المسافرين ، ولا نقدر على الإقامة باسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها ، فتركهم .

وفيه جعلوا إبراهيم أغا المتفرقة المعمار قبطان السويس ، وسافر معه أنفار ببيرقه فرنساوى ، فصادفهم[3] العربان فى الطريق ، فنهبوهم وقتلوا إبراهيم أغا المذكور

(١) أصلها الأتربة .
(٢) فى الأصل كرر بصيغة المفرد .
(٣) فى الأصل فصادفوهم العربان .

ومن بصحبته ، ولم يسلم منهم إلا القليل . وفيه أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ ببيت قائد أغا ، فأقاموا أياماً يذهبون فلا يأتيهم أحد ، فتركوا الذهاب ، فلم يُطلبوا .

وفيه شرعوا فى ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا ، وكتبوا فى شأن ذلك طوماراً ، وشرطوا فيه شروطاً بألفاظ يعافها الطبع ، ويمجها السمع ، ورتبوا به ستة من القبط وستة من تجار المسلمين ، وقاضيه الكبير ملطى القبطى ، الذى كان كاتباً عند أيوب بيك الدفتر دار ، وفوضوا إليه القضايا فى أمور التجار والعامة والمواريث والدعاوى ، وجعلوا لذلك الديوان قواعد من الخبث ، وأساساً من الكفر ، ودعايم من الظلم ، وأركاناً من البدع السيئة . وكتبوا نسخاً فى مفارق الطرق ورءوس العُطفَ وأبواب المساجد وشرطوا فى ضمنه شروطاً ، وفى ضمن تلك الشروط شروطٌ أخرى ، وذلك بتعبيراتهم الكثيفة وألفاظهم السخيفة ، محصلها التحيل على سلب أموال الناس ، ونزع ما بأيديهم من مال وعقار وميراث وغير ذلك ، كقولهم وما يفهم بعد التأمل الكثير فى عبارتهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وسنداتهم الناطقة لهم بالتمليك ، فإذا أحضروها وبينوا وجه تملكهم لها ، إما بالبيع أو الانتقال لهم بالإرث عن أسلافهم ، لا يكتفى بذلك بل يؤمر بالكشف عليها فى السجلات ، ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينوه فى ذلك الطومار ، فإن وجد تمسكه متيداً فى السجل طلب منه بعد ذلك الثبوت ، فإن أثبته بشهادة البينة وقبلوها ، دفع مقرراً آخر على ذلك الإشهاد ، وكتب بذلك تصحيحها ثم يكتب له بعد ذلك تمكين ، وينظر بعد ذلك فى قيمته ويدفع على كل مائة إثنين ، فإن لم يكن له حجة ، أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل ، أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد ، فإنها تضبط لديوان الجمهور ، وتصير من حقوقهم ، وهذا من أخبث التحيل على نزع الأملاك والعقارات من أيدى أربابها ، وذلك أن الناس

لما وضعوا أيديهم على أملاكهم إما بالشراء وإما بالإرث أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد ، أو بحجج أسلافهم ومورثيهم فإن طولبوا بإثبات مضمونها وسجلاتها تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار أو ربما حضرت الشهود فلم تقبل ، فإن قبلت فعل به ما ذكر .

ومن الشروط مقررات على المواريث والموتى ، ومقاديرها متنوعة فى القلة والكثرة ، كقولهم إذا مات الميت يشاوَرُ عليه ، ويدفعون قدراً للمشاورة ، ويفتحون تركته بعد أربعة وعشرين ساعة ، فإن بقيت أكثر من ذلك ضبطت للديوان أيضاً ، ولا حق فيها للورثة ، وإن فتحت على الرسم بإذن من الديوان يدفع على ذلك الإذن مقرر ، وكذلك على ثبوت الورقة ، ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر ، وذلك بزيادة كثيرة ، وكذلك من يدعى دَيناً على الميت يثبته بديوان الحشر ، ويدفع على إثباته مقرراً ، ويأخذ له ورقة يتسلم بها دينه ، فإذا استلمه ، دفع المقرر الزايد ، ومثل ذلك فى الإلتزام والرزق والأطيان بشروط وأنواع وكيفية أخرى غير ذلك [فى] [١] الهبات والمبايعات والدعاوى والمنازعات والمشاجرات والإشهارات الجزئيات والكليات ، والمسافر كذلك لا يسافر إلا بورقة ، ويدفع عليها مقرراً ، وكذلك المولود إذا ولد ، ويقال له إثبات الحياة ، وكذلك المؤاجرات وقبض أجرا لأملاك وغير ذلك .

وفيه نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام فى أمور الدولة ، وإذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحين أو منهزمين لا يصرخون[٢] بهم ، ولا يصفقون عليهم كما هى عادتهم .

وفيه نهبوا حوايج عسكر القليونجية ، الذين كانوا عسكراً عند الأمراء ،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) فى الأصل يسرخون باللغة الدارجة .

فنهبوا ما كان بوكالة على بيك بساحل بولاق وبالجمالية ، وأخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوهم مع المماليك وهربوا معهم ، وفيه أحضروا محمد كتخدا أبو سيف الذى كان سردارا بدمياط من طرف الأمراء ، وكان سابقا كتخدا حسن بيك الجداوى ، فلما حضر حبسوه بالقلعة وحبسوا معه فراشة لإبراهيم بيك .

وفيه أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم إلى المدينة ليسكنوا بها ، فنزلوا وطلعوا إلى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع ، وهدموا بها أبنية كثيرة ، وشرعوا فى بناء حيطان وكرانك وأسوار ، وهدموا أبنية عالية ، وأعلوا الواطى متخفضة(١) ، وبنوا على بدنات باب العزب بالرميلة ، وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ، ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين ، وآثار الحكماء والعظماء ، وسلبوا ما كان بأبوابها العظام وأيواناتها الفخام ، من الأسلحة والدَّرَق والبُلَط والخوذات والحراب الهندية وأكر الفداوية ، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ، ومحاسن الملوك والسلاطين ذوات الأركان الشاهقة ، والأعمدة الباسقة ، وكذلك ما بها من المساجد والزوايا والمشاهد ، وشوهوا المسجد العظيم والجامع المشيد الفخيم الذى أنشأه صاحب المفاخر - محمد بن قلاوون الملك الناصر ، فقلعوا منبره ، وشعثوا إيوانه ، وأخذوا أخشابه وزعزعوا أركانه ، وأزالوا المقصورة الجديدة البديعة الإتقان ، التى(٢) كان يصلى بداخلها السلطان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفيه تعينت عساكر على مراد بيك ذهبوا إليه ببحر يوسف .

وفى يوم الخميس سادس عشر نودى بأن كل من تشاجر من نصرانى أو يهودى مع مسلم يشهد أحد الخصمين على الآخر ويطلبه لبيت صارى عسكر .

(١) هكذا بالأصل ولعلها المنخفض .

(٢) فى الأصل الذى .

وفيه قتلوا شخصين وطافوا برءوسهما ، وهم ينادون عليهما ويقولون : هذا جزاء من يأتى بمكاتيب .

وفيه نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى فى الترب القريبة من المساكن ، كبركة الأزبكية والرويعى ، ولا يدفنون الموتى إلا بالقرافات البعيدة ، والذى ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته فى ترب المماليك ، وإذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر ، ونادوا أيضاً بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخورات المُذْهبة العفونة ، كل ذلك خوفاً من ظهور الطاعون وعدواه[١] ويقولون إن العفونة تستحر[٢] بأغوار الأرض ، فإذا دخل الشتاء ، وبردت الأغوار بسريان النيل والأمطار والرطوبات ، خرج ما كان مخبأ فى الأرض من الأبخرة الفاسدة ، فيتعفن الهواء ويفسد ، فيظهر الوباء والطاعون .

ومن قولهم أيضاً إنه إذا مرض مريض لابدّ من الإخبار عنه ، فيرسلون من جهتهم حكيما لمكشف عليه ، إن كان بالطاعون أو غيره ، ثم يرون رأيهم فيه بعد ذلك .

وفى يوم السبت ثامن عشره ذهب جماعة من القواسه الذين يخدمون الفرنسيس ، وشرعوا فى هدم التراكيب المبنية على المقابر بتربة الأزبكية وتمهيدها إلى الأرض ، فشاع الخبر بذلك وسمع[٣] أصحاب الترب بتلك البقعة ، فخرجوا من كل حدب ينسلون ، وأكثرهم النساء الساكنات[٤] بحارات المدابغ وباب اللوق وكوم الشيخ سلامه والفوالة والناصرة وقنطرة أمير حسين وقلعة الكلاب ، إلى أن صاروا كالجراد المنتشر ، ولهم صياح وضجيج ، واجتمعوا بالأزبكية ، ووقفوا تحت بيت صارى عسكر ، فنزل لهم التراجمون ، واعتذروا بأن صارى عسكر لا علم له بذلك الهدم ، ولم يأمر به ، وإنما أمر بمنع الدفن فقط ، فرجعوا إلى

---

(١) فى الأصل وعدوه . (٢) لعلها تستقر .
(٣) فى الأصل وسمعوا أصحاب الترب . (٤) فى الأصل النساء الساكنون .

أما كنهم ورفع الهدم عنهم ، وفيه كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه إلى السلطان وآخر إلى شريف مكة ، ثم أنهم بصموا منه عدة نسخ ، ورموها[١] بالطرق والأزقة وصورته ملخصاً : بعد الصدر[٢] وذكر ورودهم وقتالهم مع المماليك وهروبهم[٣]، وأن جماعة من العلماء ذهبت إليهم بالبر الغربي ، فأمنهم[٤] وكذلك الرعية دون المماليك ، وذكر فيه أنه من أخصاء السلطان وأعدى أعدائه ، وأن السكة والخطبة باسمه وشعائر الإسلام مقامة على ما هي عليه ؛ وبقى الكلام المموه الذي ذكروه بمعنى الكلام السابق من كذبهم وقولهم إنهم مسلمون ، ويحترمون النبي والقرآن وإنهم أوصلوا الحجاج المشتتين ، وأكرموهم وأركبو الماشى وأطعموا الجائع وسقوا العطشان ، واعتنوا بيوم الزينة يوم جبر الجبر[٥] وعملوا له ، شأنا[٦] ورونقا ، استجلاباً لسرور المؤمنين ، وانفقوا أموالا برسم الصدقة على الفقراء ، وكذلك اعتنوا بالمولد النبوى وانفقوا أموالا فى شأن انتظامه وعملوا[٧] شأنه ، واتفق رأينا ورأيهم على لبس حضرة الجناب المكرم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا والى مصر حالا ، فاستحسنا ذلك ابقاء علاقة[٨] الدولة العلية ، وهم أيضاً مجتهدون فى إتمام مهمات الحرمين ، وأمرونا أن نعلمكم بذلك إلى آخره والسلام .

وفيه وقعت حادثة جزئية من جملة الأشياء ، وهو أن رجلا صيرفيا بخط الجمالية بجوار حارة الجوانية وقع من لسانه أنه قال : السيد أحمد البدوى بالشرق ، والسيد إبراهيم الدسوقى بالغرب ، يقتلان كل من يمر من النصارى ، وكان هذا الكلام

---

(١) فى الأصل وأرموها .
(٢) أى المقدمة والتصدير .
(٣) فى الأصل وهربوهم وهو تحريف .
(٤) أى الصارى عسكر أو القائد العام وهو بونابرت .
(٥) لعلها البحر وهو يوم وفاء النيل .
(٦) فى الأصل عنأنا وبها لا يستقيم المعنى لأن العنان البغض والعداوة وهو غير المراد هنا .
(٧) فى الأصل وعملوا شأنه .
(٨) لعلها علاقته بالدولة العلية .

بمحضر من النصارى الشوام ، فجاو به بعضهم وأسمعه قبيح القول ، ووقع بينهما التشاجر ، فقام النصرانى وذهب إلى ديوى وأخبره بالقصة ، فأرسل فقبض على ذلك الصيرفى وحبسه وسمر حانوته وختم على دارين له ، فتشفع فيه المشايخ عدة مرار ، فأطلقوه بعد يومين ، وأرسلوه لبيت البكرى ليؤدب هناك بالضرب ، أو يدفع خمسمائة ريال فرانسى ، فضرب فى بيت البكرى مائة سوط ، وأطلق إلى سبيله ، وكذلك أفرجوا على بقية المسجونين .

وفى يوم الاثنين طاف(١) أصحاب الدرك على الأخطاط والوكايل ، فكتبوا أسماءها وأسماء البوابين ، وأمروهم أن لا يُسكِنوا(٢) أحدا من الأغراب ولا يطلقوا أحداً يسافر إلا بإذن من أغاة مستحفظان .



نابليون فى ملابسه الشرقية

وفى يوم الثلاثاء عملوا المولد الحسينى ، وكان العزم تركه فى هذا العام ، فدسّ بعض المنافقين دسيسه عند الإفرنج ، وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل مولد الحسينى بعد مولد النبىّ ، فقال بونابارته : ولماذا لا يعملونه(٣) ، فقال ذلك المنافق : غرض شيخ السّادات عدم عمله إلا إذا حضر المسلمون ، فبلغ شيخ السّادات ذلك فشرع فى عمله على سبيل الاختصار ، وحضر صارى عسكر وشاهد الوقدة ورجع إلى داره بعد العشاء .

---

(١) فى الأصل طافوا أصحاب الدرك .
(٢) فى الأصل يسكنون وهو خطأ نحوى .
(٣) فى الأصل لماذا يعملوه وبه لا يستقيم المعنى .

وفيه حضر(١) علماء الاسكندرية وأعيانها وكذلك رشيد ودمياط وبقية البنادر باستدعاء صارى عسكر ليحضروا الديوان الشارعين فيه ، لترتيب النظام الذى سبقت الإشارة إليه .

وفيه سافر أيضاً جماعة من الفرنسيس إلى جهة مراد بيك ومن معه ، والتقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم ، وأطمعوهم فى أنفسهم إلى أسفل جبل اللاهون ، ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا(٢) وتراموا معهم أرسالا ، وكانوا رتبوا عساكرهم طوابير ، وأكمنوا كمينا مخبورين مشاهير(٣) فلما تلاقت الفئتان وترامت(٤) الفرقتان ، وعلا بينهم الغبار ، كبست عند ذلك الطوابير بالسيوف فأذاقوهم كأس الحتوف ، وأثخنوهم قتلا ذريعا ، وتركوا أكثرهم صريعا ، فولوا على أدبارهم(٥) إلى جهة البحر منهزمين ، وللنجاة طالبين ، فخرج عليهم ذلك الكمين ، فقطف منهم الأعناق ، وتركهم ملقا(٦) فى الأملاق . والذى نجا منهم بالسياحة والهرب ، تلقته طائفة العرب ، فاستأصلوا شأفتهم ، وأهلكوا كافتهم ، فلم يفلت منهم إلا ما ندر ، وغبروا فيمن غبر . فلما تواتر هذا الخبر ، وتناقل حديثه الناس واشتهر ، سَرَّ الناس باطنا لخذلان أهل الكفر ، وفرحوا واستبشروا ببدء خذلانهم وانشرحوا .

وفى ذلك اليوم سقطت البوابة المصنوعة ببركة الأزبكية المقابلة لباب الهوى ، التى كانوا وضعوها فى عيدهم وتقدم شرحها ووصفها . فتفاءل الناس بسقوط

---

(١) فى الأصل وفيه حضروا علماء الاسكندرية وهو خطأ .

(٢) أى مترجلين .

(٣) أى من ذوى الخبرة المشهورين وكلمة مخبور التى استعملها غير موجودة فى صحيح اللغة .

(٤) فى الأصل فلما تلاقى الفئتان وترامى الفرقتان من غير تأنيث الفعلين .

(٥) الاستعمال الصحيح فولوا الأدبار .

(٦) هكذا فى الأصل والصحيح ملقون ، والأملاق جمع ملق وهو ما استوى من الأرض .

دولتهم أيضا ، وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله البركة وسدوا القنطرة كما تقدم ، رشح الماء فى أرض البركة وتخلخلت الأرض فسقطت تلك البوابة .

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه نبهوا على المشايخ والأعيان والتجار ومن حضر من الأقطار بالحضور إلى الديوان العام ومحكمة النظام بكرة تاريخه ، وذلك ببيت مرزوق بيك بحارة عابدين ، فلما أصبح يوم السبت أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قائد أغا بالأزبكية ، فتوجهت مشايخ المصرية والذين حضروا من الثغور والبلاد ، وحضرت الأوجاقليه وأعيان التجار ونصارى القبط والشوام ومديرى[1] الديوان من الفرنسيس وغيرهم ، جمعاً موفوراً ، فلما استقر بهم الجلوس شرع ملطى القبطى الذى عملوه قاضياً[2] فى قراءة فرمان الشروط ، وفى المناقشة فابتدر كبير المدبرين فى إخراج طومار آخر وناوله الترجمان ، فنشره وقرأه ، ملخصه ومضمونه الإخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلاد ، وكان يجلب إليها المتاجر من البلاد البعيدة ، وأن العلوم والصنايع والقراءة والكتابة التى يعرفها الناس فى الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الأول ، ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم فى تملكه ، فملكه أهل بابل واليونانيون والعرب والترك ، إلا أن الدولة أشد خراباً له[3] وهم الترك ، فإنهم إذا حصلوا الثمرة قطعوا أصولها ، فلذلك لم يبقوا بأيدى الناس إلا النذر اليسير ، وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم ، ثم إن طائفة الفرنساوية بعد ما تمهد أمرهم ، وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحرب ، اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر مما هى فيه ، وإراحة أهلها من تغلب هذه الدولة جهلاً وغباوة ، فقدموا

---

(١) فى الأصل ومديرين وهو خطأ نحوى إذ يجب حذف النون للاضافة .

(٢) فى الأصل قاضى .

(٣) هكذا فى الأصل وصحيح العبارة لأشد تخريباً له .

وحصل لهم النصرة . ومع ذلك فلم يتعرضوا لأحد من الناس ، ولم يعاملوا الناس بقسوة ؟ وإن غرضهم تنظيم أمور مصر ، وإجراء خلجانها التي درست ويصير لها طريقان :

طريق إلى البحر الأسود وطريق ، إلى البحر الأحمر ، فيزداد خصبها وريعها ، ومنع القوى من ظلم الضعيف وغير ذلك ، استجلاباً لخواطر أهلها وإبقاء للذكر الحسن ، فالمناسب من أهلها ترك الشغب وإخلاص المودة ، وإن هذه الطوايف الحضرة من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة ، لأنهم أهل خبرة وعقل ، فيسألون عن أمور ضرورية ويجيبون عنها ، فينتج لصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه ، إلى آخر ما سطروه من الكلام المطول المحرف ، والقول المعوج المزخرف ، قلت ولم يعجبني في هذا التركيب إلا قوله جهلاً وغباوة بعد قوله اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر ، ومن جهله وغباوته أيضاً وكذبه الصريح قوله بعد ذلك ومع ذلك فلم يتعرضوا لأحد إلى آخر العبارة ، ثم قال الترجمان نريد منكم يامشايخ أن تختاروا شخصاً منكم يكون كبيراً ورئيساً عليكم ، تمتثلون أمره وإشارته ، فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوى ، فقال نونو وإنما ذلك يكون بالقرعة فعملوا قرعة بأوراق ، فطلع الأكثر الشيخ الشرقاوى .

فقال : حينئذ يكون الشيخ عبدالله الشرقاوى ، وهو الرئيس فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس ، فأذنوا لهم فى الذهاب ، وألزموهم بالحضور فى كل يوم .

وفيه وقعت كائنة الحاج محمد ابن قيمو المغربى التاجر الطرابلسى ، وهو أنه كان بينه وبين(١) نصارى الشوام التراجمين(٢) منافسة ، فأنهى إلى عظماء

---

(١) لعلها بينه وبين بعض .
(٢) أى التراجمة .

الفرنسيس أنه ذا مال وأنه شريك عبد الله المغربى تابع مراد بيك ، فأرسلوا بطلبه ، فذهب لبيت الشيخ عبد الله الشرقاوى لنسابة(١) بينهما ، فقال الشيخ للقواسه بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له ، فقالوا لدعوة شرعية ، فقال لهم فى غد احضروا خصمه ، ويتداعى معه ، فإن توجه الحق عليه ألزمناه بدفعه ، فرجعت الرسل وتغيب الرجل لخوفه ، فبعد مضى مقدار ساعة ، حضر نحو خمسين من العسكر بأمر الفرنسيس إلى بيت الشيخ ، وطالبوه به ، فأخبرهم أنه هرب ، فلم يقبلوا عذره وألحوا فى طلبه ، ووقعت منهم أمور غير لائقة ، فذهب المهدى والدواخلى إلى صارى عسكر وأخبروه بالقضية ، وبهروب الرجل ، فقال : لأى شيء هرب ؟ فقالوا : من خوفه . فقال : لولا أن ذنبه كبير لما هرب ، وأنتم غيبتموه وأظهر الحنق والغيظ ، فلاطفوه واستعطفوا خاطر الترجمان ، فكلمه وسكن غيظه ، ثم سأل عن منزله ومخزنه ، فأخبروه عنهما ، فقال يذهب معكما من يختم عليهما حتى يظهر فى غد ، فاطمأنوا لذلك ورجعوا عند الغروب ، وختموا على مخزنه ومنزله وأصبحوا نهبوها ، وما فيهما من أموال(٢) الجيران وأموال الشركاء والتجار ، وكانت عنده أمانات كثيرة للناس [لأنه](٣) مستأمن عند التجار .

وفى يوم الأحد ذهبوا إلى الديوان وعملوا مثل عملهم الأول حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر والثغور من المشايخ والأوجاقلية والقبط الشوام وتجار المسلمين ، وذلك الترتيب غير الترتيب السابق .

وفى يوم الاثنين اجتمعوا بالديوان ونادى المنادى فى ذلك اليوم بالأسواق على الناس بإحضارهم حجج أملاكهم إلى الديوان ، والمهلة ثلاثون يوما ، فإن

---

(١) أى ليست بينهما .
(٢) والأصل وما معهما من .
(٣) زيادة يقتضيها السياق .

تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر ، ومهلة البلاد ستون يوما ، ولما تكامل الجميع شرع ملطى فى قراءة المنشور وتعداد ما به من الشروط مسطور ، وذكر من ذلك أشياء ، منها أمر المحاكم والقضايا الشرعيّة وحجج العقارات وأمر المواريث ، وتناقشوا فى ذلك حصة من الزمان ، وكتبوا هذه الأربعة أشياء : أرباب ديوان الخاصة يدبرون رأيهم فى ذلك ، وينظرون المناسب والأحسن وما فيه الراحة لهم وللرعية ثم يعرضون ما دبّروه يوم الخميس وما بين ذلك لهم مهلة ، وانفضّ المجلس .

شهر جمادى الأولى استهل بيوم الخميس الموعود ، واجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستصوبوه فى الجملة ، فأما أمر المحاكم والقضايا فالأولى بقاؤها على ترتيبها ونظامها ، وعرفوهم عن كيفية ذلك ، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد فاستحسنوا ذلك ، إلا أنهم قالوا يحتاج إلى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعداه القضاه ولا نوّابهم فقرروا ذلك ، وهو إذا كانت عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون ، وإذا كانت خمسين ألف فادونها يكون على الألف عشرون ، وإذا كان المبلغ مائة ألف يكون على الألف خمسة عشر ، فإن زاد على ذلك فعشرة ، واتفقوا على تقرير القضاه ونوابهم على ذلك ، وأما حجج العقارات فهذا أمر مشق(١) طويل الذيل ، فالمناسب فيه والأولى أن تجعلوا عليها دراهم من بادى الرأى ليسهل تحصيلها ، ويحسن عليها السكوت ، أعلى وأوسط وأدنى ، وبينوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن وكتبوه وأبقوه حتى يرى(٢) الآخرون رأيهم فيه ، وانفض .

وفى ذلك اليوم نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوما ، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والتلقات بالتفحص والتفتيش ، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك ، فتطلع المرأة

(١) شاق .
(٢) فى الأصل حتى يرد الآخرون .

إلى أعلى الدار ، وتخبرهم عن نشر الثياب ويعطونها(١) بعض دراهم ، ويذهبون بعد التأكيد على أهل المنزل وشدة التعنت ، وأنهم بعد أيام يأتي إليهم جماعة الإفرنج ويطلعون أيضا يفتشون ، وكل ذلك حتى تذهب من الثياب رائحة الطاعون ، وكتبوا بذلك أوراقاً لصقوها بحيطان الأسواق على عادتهم في ذلك . وفيه حضر لبيت البكرى جمع غفير من أولاد الكتاتيب والفقهاء ، والعميان المؤذنين وأرباب الوظايف والمستحقين من المرورين والزمنى والمرضى بالمارستان المنصورى وأوقاف عبد الرحمن كتخدا وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم ، فإن جميع الأوقاف تعطل إيرادها وانقطع راتبها واستولى على نظارة الأوقاف النصارى القبط والشوام(٢) وجعلوا ذلك مغنما لهم ، فلما اجتمعوا بضجتهم وصياحهم فواعدوهم على حضورهم الديوان ، وينهون شكواهم ويتشفعون لهم فذهبوا راجعين .

وفيه وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضاء ، فأكثر الناس من اللغط بسبب ذلك ، ولم يعلم أصل ذلك .

وفي يوم الأحد اجتمعوا بالديوان وأخذوا فيما هم فيه ، فذكروا أمر المواريث ، فقال اللعين ملطى : يامشايخ اخبرونا عما تصنعونه في قسمة المواريث ، فأخبروه بفروض المواريث الشرعية ، فقال : ومن أين لكم ذلك ؟ فقالوا من القرآن ، وتلوا عليهم بعض آيات المواريث ، فقال الإفرنج : نحن عندنا لا نورث الولد ، بل نورث البنت ونفعل كذا وكذا بحسب تحسين عقولهم ، لأن الولد أقدر على التكسب من البنت ، فقال ميخائيل كحيل الشامى : وهو من أهل الديوان أيضاً ، نحن والقبطة يقسم لنا مواريثنا المسلمون ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة فدليلها(٣) وسايروهم وواعدوهم بذلك وانفضوا .

(١) فى الأصل ويعطوهم .

(٢) فى الأصل واستولوا على طريقة المؤلف فى وضع فاعلين لفعل واحد .

(٣) لعلها ودليلها .

وفى ذلك اليوم عزلوا محمد أغا المسلمانى أغاة مستحفظان ، وجعلوه كتخدا أمير الحاج ، واستقروا بمصطفى أغا تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقا عوضا عنه ، ونودى بذلك .

وفى يوم الاثنين عملوا الديوان وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة والآيات المتعلقة بذلك ، فاستحسنوا ذلك .

وفى يوم السبت عاشر جمادى الأولى عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار ، فجعلوا الأعلى ثمانية فرانسه ، والأوسط ستة ، والأدنى ثلاثة ، ومن كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معافى . وأما الوكايل والخانات والحمامات[1] والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنهم[2] من جعلوا عليه ثلاثين وأربعين وكل شىء بحسبانه ، وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم ولصقوا بها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخا للأعيان ، وعينوا المهندسين ، ومنهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى ، وشرعوا فى الضبط والحصر[3] . وطافوا ببعض الجهات لتمييز الأعلى وتقييد الأسماء . ولما أشيع ذلك فى الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك ، والبعض استسلم للقضاء ، فقام[4] جماعة من العامة وتناجوا فى ذلك ووافقهم فى ذلك بعض المتعممين ، الذين لم ينظروا فى عواقب الأمور ، ولم يتفكر أنه فى القبضة مأسور ، وأن الملاعين الكفار مالكون القلاع والأسوار ، ومحصنون الجميع بآلات الحرب المنيع . فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ، ولا قائد يقودهم ، وأصبحوا يوم الأحد متحزبين ، وعلى الجهاد عازمين . وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح ، وحضر السيد بدر ، وصحبته حشرات الحسينية وزعر الحارات البرانيه ، ولهم صياح عظيم ، وهول جسيم ؛ ويقولون بصياح فى الكلام : نصر الله دين

(١) فى الأصل الحمامية .
(٢) فى فنهم .
(٣) فى الأصل الإحصار والإحصار : المنع والحبس والضرب .
(٤) فى الأصل فأقاموا جماعة .

الإسلام . فذهبوا إلى بيت قاضي عسكر ، وبه من سبقهم من على شا كلتهم نحو ألف وأكثر ، فخاف القاضي العاقبة ، وأغلق أبوابه ، وأوقف حجابه ، فرجموه بالحجارة والطوب ، وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب . وكذلك اجتمع بالجامع الأزهر العالم الأكبر . وفي ذلك الوقت حضر اللّعين ديوى بطائفة من عساكره وشجعانه ، فمرّ بشارع النوريّة ، وعطف على خط الصنادقيّة ، وذهب إلى بيت الشرقاوى فلم يجده ، فذهب إلى بيت القاضي فوجد ذلك الزحام ، فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة وتلك الأخطاط بالخلايق مزحومة ، فبادروا إليه وضربوه ، وأثخنوا جراحاته وقتلوه ، وقتل الكثير من الفرنسيس وأبطاله وشجعانه ، وذهبوا إلى السعير وبئس المصير ، فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم ، وخرجوا يهرعون ومن كل حدب ينسلون ، وأمسكوا الأطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة ، كباب الفتوح وباب النصر والبرقية إلى باب زويله[1] وباب الشعرية[2] وجهة البندقانيين وما حاذاها ولم يتعدوا جهة سواها ، وهدموا مصاطب الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس لسكرنكه ، لتواجه هجوم العدو في وقت المعركة ، ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس ، وأما الجهات البرانيه والنواحي الفوقانية ، فلم يفزع منهم فازع ، ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع ، وكذلك شذ عن الوفاق مصر العتيقة وبولاق ، وعذرهم الأكبر قربهم من مساكن العسكر ، ولم تزل طائفة المحاربين في الأزقة متترسين ، فوصل جماعة من الفرنساوية وظهروا من ناحية المناخلية ، وضربوا على متراس الشوايين وبه جماعة من مغاربة الفحامين ، فقاتلوهم حتى أجلوهم وعلى المناخلية أزالوهم ، وعند ذلك زاد الحال ، وكثر الرجف والزلزال ، وخرجت العامة عن الحد وبالغوا في القضية بالعكس

---

(١) في الأصل الزديلة وهو تحريف .

(٢) في الأصل الشعربة وهو تحريف .

والطرد ، وامتدت أيديهم إلى النهب والخطف والسلب ، فهجموا على حارة الجوانية ، ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام ، وأخذوا الودائع والأمانات وسبوا النساء والبنات ، وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات ؛ وأكثروا من المعايب ولم يفكروا فى العواقب ، وباتوا تلك الليلة سهرانين ، وعلى هذا الحال مستمرين ، وأما الإفرنج فإنهم أصبحوا مستعدين ، وعلى تلال البرقية والقلعة واقفين ، وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقنابر والبُنْبَات(١) ووقفوا مستحضرين ، ولأمر كبيرهم منتظرين ، وكان كبير الفرنسيس أرسل إلى المشايخ مراسلة ، فلم يجيبوه عنها ، ومل من المطاولة ، هذا والحرب والرمى متتابع من الجهتين ، وتضاعف الحال ضعفين ، حتى مضى وقت العصر ، وزاد النهر والحصر ، فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات على البيوت والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر ، وحرروا عليه المدافع والقنبرة وكذلك ما جاوره من الأماكن المحاذية(٢) كسوق الغورية والفحامين ، فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه ، نادوا ياسلام من هذه الآلام ، ياخفى الألطاف نجنا مما نخاف ، وهربوا من كل سوق ، ودخلوا فى الشقوق وتتابع الرمى من القلعة والكيمان ، حتى تزعزعت الأركان وهدمت فى مرورها حيطان الدور ، وسقطت فى بعض القصور ، ونزلت فى البيوت والوكائل وأصمت الآذان بصوتها الهائل ، فلما عظم هذا الخطب ، وزاد الحال والكرب ، ركب المشايخ إلى كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره فى الرمى المتراسل ، ويكفهم كما انكف المسلمون عن القتال ، والحرب خدعه وسجال ، فلما ذهبوا إليه واجتمعوا عليه عاتبهم فى التأخير ، واتهمهم فى التقصير ، فاعتذروا إليه فقبل

---

(١) أى القنابل .

(٢) فى الأصل من الأماكن المحاذين .

عذرهم ، وأمر برفع الرمى عنهم ، وقاموا من عنده ينادون بالأمان فى المسالك ، وتسامع الناس بذلك ، فردت فيهم الحرارة ، وتسابقوا لبعضهم بالإشارة والبشارة ، واطمأنت منهم القلوب ، وكان الوقت قبيل الغروب ، وانقضى النهار ، وأقبل الليل وغلب على الظن أن القضية لها ذيل ، وأما أهل الحسينية والعطوف البرانيه ، فإنهم لم يزالوا مستمرين ، وعلى الرمى والقتال ملازمين ، ولكن خانهم المقصود ، وفرغ منهم البارود ، والإفرنج أتخنوهم بالرمى المتتابع بالقنبر والمدافع إلى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات ، وفرغت من عندهم الأدوات ، فعجزوا عن ذلك ، وانصرفوا ، وكفت عنهم القوم وانحرفوا ، وبعد هجعة من الليل دخلت الإفرنج المدينة كالسيل ، ومروا فى الأزقة والشوارع لا يجدون لهم ممانع ، كأنهم الشياطين أو جند إبليس ، وهدموا ما وجدوه من المتاريس ، وذهبوا وجاءوا وبغضب الله باءوا ، ودخلت طائفة من باب البرقية ، وشقوا إلى الغورية ، وكروا ورجعوا ، وترددوا وما هجموا ، وعلموا باليقين أن لادافع لهم ولا كمين ، وتراسلوا أرسالاً ركباناً ورجالاً ، ثم دخلوا أولئك الدعور[1] إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول ، وولجوه من الباب الكبير ، وخرجوا من الباب الثانى ، حيث موقف الحمير ، وداس فيه المشاة بالنعالات ، وهم حاملون السلاح والبندقيات ، وتفرقوا بصحنه ، ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته .

وعاثوا بالأروقة والحارات . وكسروا القناديل والسهارات ، وفتحوا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ماوجدوه من المتاع ، والأوانى والقصاع ؛ والودايع والخبايات بالدواليب والخزانات ، وشققوا الكتب والمصاحف ، وعلى

---

(١) هكذا فى الأصل ويريد دخل أولئك الدعور وقد جمع داعر على دعور ، والداعر : الفاسق الأثيم .

الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالاتهم داسوها . وأحدثوا بالمسجد وبالوا وتغوطوا . وشربوا الشراب وكسروا الآنيه وألقوها بصحنه ونواحيه . وكل من صادفوه به عروه . ومن ثيابه أخرجوه ، ووجدوا فى بعض الأروقه ناساً فذبحوه ومن الحياة أعدموه[1] . وفعلوا بالجامع الأزهر ، ماليس عليهم بمستنكر . لأنهم أعداء الدين ، وأخصام متغلبون ، وغرماء متشمتون ، وضباع متكالبون ، وأجناس متباينون ، وأشكال متعاندون . وأعطى تلك الليلة جيش الرحمن فسحة لجيش الشيطان ، لرهن لزمه فأداه . وقطع كان عليه فتعداه . ولما أصبح يوم الثلاثاء اصطف منهم حزب بباب الجامع ، فكل من حضر للصلاة يراهم ، فيكر راجعاً ويسارع . وتفرقت طوائفهم ، بتلك النواحى أفواجاً ، واتخذوا الطواف والسعى بها منهاجاً . وأحاطوا بها إحاطة السوار[2] ، ونهبوا بعض الديار ، بحجة التفتيش على النهب ، وآلة السلاح والضرب ، وخرجت سكان تلك الجهة يهرعون ، وللنجاة ، بأنفسهم طالبون ، وانكشفت حرمة تلك البقعة ، بعدأن كانت أشرف البقاع ، وترغب الناس فى سكناها ، ويودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع . وجماعة الإفرنج لا يمرون بها إلا فى النادر ، ويحترمونها كغيرهم فى الباطن والظاهر ، فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع ، وانخفض على غير القياس المرفوع . ثم ترددوا فى الأسواق ، ووقفوا صفوفاً مئات وألوفاً ، فان مر بهم أحد فتشوه ، وأخذوا مامعه وربما قتلوه . ورفعوا القتلى والمطروحين من الإفرنج والمسلمين . ووقف جماعة من الفرنسيس ونظفوا مراكز المتاريس ، وأزالوا ما بها من الأتربة ، والأحجار المتراكمة ، ووضعوها فى ناحية ، لتصير طرق المرور خالية . وتحزبت نصارى الشوام . وجماعة أيضاً من الأروام ، الذين نهبت دورهم فى حارة الجوانيه ، يشكون لكبير الإفرنج مالحقهم من الرزيه ، واغتنموا الفرصة

---

(١) هكذا بالأصل والصحيح ناساً فذبحوهم ومن الحياة أعدموهم .

(٢) فى الأصل أسوارا .

فى المسلمين ، وأظهروا ما هو بقلوبهم كمين ، وضربوا فيهم المضارب ، وكأنهم شاركوا الإفرنج فى النوائب . وما قصدهم المسلمون ونهبوا ما لديهم ، إلا لكونهم منسوبين إليهم ، مع أن المسلمين الذين جاوروهم ، ونهبهم الزُّعْر أيضا وسلبوهم . وكذلك خان الملايات المعلوم ، الذى عند باب حارة الروم ، وفيه بضايع المسلمين، وودايع الغايبين ، فسكت المصاب على غصته ، واستعوض الله فى قضيته . لأنه إن تكلم لا تسمع دعواه ، ولا يلتفت لشكواه ، وانتدب برطلمين الكافر العسس ، على من حمل السلاح واختلس ، وبث أعوانه فى الجهات يتجسسون فى الطرقات، فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم ، وما ينهبه من إبغاضهم(١) ، فيحكم فيهم بمرارة ، ويعمل برأيه وإجتهاده ، ويأخذ منهم الكثير ، ويركب فى موكبه ويسير . وهم موثوقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال ، فيودعونهم فى السجونات ويطالبونهم بالمنهوبات ، ويقررونهم بالعقاب والضرب ، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب ، ويدل بعضهم على بعض ، فيضعون على المدلول عليهم أيضاً القبض . وكذلك فعل مثل فعله الأغا اللّعين . وتجبر فى أفعاله وطغى ، وكثير من الناس ذبحوهم ، وفى بحر النيل قذفوهم . ومات فى هذين اليومين وما بعدها أمم كثيرة لا يحصى عددها ، وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ، ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم .

وأصبح يوم الأربعاء ، فركبت فيه جميع المشايخ ، وذهبوا فيه لبيت الصارى عسكر ، وقابلوه وخاطبوه فى العفو ولاطفوه ، والتمسوا منه أمانا كافيا ، وعفوا ينادون به باللغتين شافيا ، لتطمئن بذلك قلوب الرعيّة ، ويسكن روعهم من هذه الرزيّة ، فوعدهم وعدا مشربا بالتسويف ، وطالبهم بالتبيين والتعريف عن تسبب من المتعممين فى إثارة العوام ، وحرّضهم على الخلاف والقيام ، فغالطوه عن تلك المقاصد ، فقال على لسان الترجمان : نحن نعرفهم بالواحد ، فترجوا

(١) أى بسبب بغضهم .

عنده فى إخراج العسكر من الجامع الأزهر ، فأجابهم لذلك السؤال ، وأمر بإخراجهم فى الحال ، وأبقوا منهم نحو السبعين ، ثم أسكنوهم بالخطة كالضابطين ليكونوا للأمور مراصدين ، وبالأحكام منفذين [ثم] (١) إنهم فحصوا عن المتهمين فى أصل الفتنة ، فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ يوسف المصيلحى والشيخ اسماعيل البراوى ، وحبسوهم ببيت البكرى ، وأما السيد بدر فإنه تغيب وسافر إلى جهة الشام ، وفحصوا عليه ، فلم يجدوه ، وتردد المشايخ لتخليص الجماعة الموقّفين فغلطوا(٢) . وأتاهم أيضاً [بأن](٣) إبراهيم أفندى كاتب البهار(٤) جمع له جمعاً من الشطار وأعطاهم الأسلحة والمساوق ، وكان عنده عدة من المماليك المختفين والرجال المعدودين ، فقبضوا عليه وحبسوه ببيت الأغا .

وفى يوم الأحد ثانى عشره توجه شيخ السادات وباقى المشايخ إلى بيت صارى عسكر الفرنسيس ، وتشفعوا عنده فى الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقائمقام والقلعة فقيل لهم : طولوا بالكم ولا تستعجلوا ، فقاموا وانصرفوا ، وفيه نادوا فى الأسواق بالأمان ، ولا أحد يشوش على أحد ، والقبض على الناس مستمر ليلاً ونهاراً ، وكذلك كبس البيوت والنهب بحسب ما ينْهِيه(٥) العدو فى عدوه ، وردوا بعض الأمتعة التى نهبت للنصارى .

وفيه توسط عمر القلقشى لمغاربة الفحامين ، وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافرة . وعرضهم على صارى عسكر ، فاختار منهم الشباب وأولى القوة ، وأعطاهم

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) أى أخطأوا فى ترددهم هذا .
(٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٤) فى الأصل كاتب البهار (بانه) جم وهذه كلمة فى غير محلها .
(٥) أى يشيريه .

سلاحا وآلات حرب ورتبهم عسكراً ورئيسهم عمر المذكور ، وخرجوا وأمامهم الطبل الشامى على عادة عسكر المغاربة ، وسافروا إلى جهة بحرى بسبب أن بعض البلاد قامت على عسكر الإفرنج وقت الفتنة ، وقاتلوهم وضربوا أيضاً مركبين بهما عدة من عساكرهم ، فحاربوهم وقاتلوهم ، فلما ذهب(١) أولئك المغاربة سكنوا الفتنة وضربوا عشمه(٢) وقتلوا كبيرها المسمى بابن شعير ، ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهائمه ، وكان شيئاً كثيراً جداً ، وأحضروا إخوته وأولاده وقتلوهم. ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخاً عوضاً عن أبيه . وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة ، ورتبوا لهم من الفرنسيس جماعة يأتون إليهم فى كل يوم ، ويدربونهم على كيفية حالهم وحربهم وقانون ترتيبهم ومعنى إشارتهم فى مصافاتهم ، فيقف المعلم والمتعلمون مقابلون له صفاً ، وبأيديهم بنادقهم فيشير إليهم بألفاظ مستهجنه بلغتهم ، كأن يقول هردبوش فيعرفونها قابضين بأكفهم على أسافلها ، ثم يقول مرش فيمشون صفوفاً إلى غير ذلك .

وفيه سافر برطلمين الكافر إلى ناحية سرياقوس ، ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين إلى جهة الشرق فلم يدركهم . وقبض من البلاد تفريدة وكلف ، وعسف فى قبضها وتحصيلها ، وجمع بعد أيام(٣) .

وفى يوم الأربعاء تصدى الشيخ المهدى لإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وتلطف مع كبير الفرنسيس بمعونة بوسليك المعروف بالرزنامجى ، ونقله من بيت الأغا إلى داره ، وطلبوا منه قائمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار .

وفى يوم الخميس سافر عدة مراكب نحو الأربعين بها عساكر الإفرنج إلى جهة بحرى .

---

(١) فى الأصل ذهبوا .

(٢) اسم قرية فى مديرية الدقهلية .

(٣) هكذا فى الأصل والكلام ناقص وربما كان وجمع مثلها أو غيرها بعد أيام .

وفى ليلة السبت رابع عشرينه حضر هجان من طرف الشام ، وعلى يده مكاتبات ، وهو صورة فرمان وعليه طرة ، ومكتوب من أحمد باشا وآخر من بكير باشا(١) إلى كتخدائه مصطفى بيك ، ومكتوب من إبراهيم بيك خطاباً للمشايخ وذلك كله بالعربى ، ومضمون ذلك بعد براعة(٢) الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقه(٣) بالجهاد ولعن طائفة الإفرنج والحط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسدة ، وكذبهم وتحيلهم ، وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك . فأخذها(٤) مصطفى بيك وذهب بها(٥) إلى كبير الفرنسيس ، فلما اطلع عليها(٦) قال : هذا تزوير من إبراهيم بيك ليوقع بيننا وبينكم العداوة والشاحنة . وأما أحمد باشا فهو رجل فضولى لم يكن والياً بالشام ولا مصر ، لأن والى الشام إبراهيم باشا وأما والى مصر فهو عبد الله باشا إبن العظم والى ، الذى هو الآن والى الشام ، وأنا أخبر بذلك ، وسيأتى بعد أيام وال ، ونقيم معه كما كانت المماليك مع الولاة . وورد خبر أيضاً بانفصال محمد باشا عزت عن الوزاره ، وعزل البعض من رجال الدولة ، وفى مدة هذه الأيام بطل الاجتماع بالديوان المعتاد ، وأخذوا فى اهتمام يعملون(٧) متاريس فى عدة جهات ، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ، ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر وهدموا عدة أماكن بالجيزة وحصنوها تحصيناً زايداً ، وكذلك مصر العتيقة ونواحى شبرا وانبابة ، وهدموا عدة مساجد : منها المسجد المجاور لقنطرة الدكة ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان على الخليج الناصرى بباب البحر ، وقطعوا أشجاراً كثيرة ، ونخيل البساتين ، وهدموا جامع الكازرونى بالروضة وأشجار

---

(١) هكذا فى الأصل ولعلها بكير أو بكر .

(٢) فى الأصل مراعة .

(٣) فى الأصل المعلقة .

(٤ ، ٥ ، ٦) فى الأصل فأخذهم ، بهم ، عليهم .

(٧) فى الإصل يعملوا

الجيزة التى عند أبى هريرة قطعوها وحفروا[١] هناك عدة خنادق كثيره ، وغير ذلك ، والتخيل جهة الحلِّى وبولاق وخرَّبوا الدور وهدموا القصور ، وكسروا الشبابيك والأبواب وحرقوا الأخشاب ، بحيث عم جميع الأماكن الخراب وزعق فيها البوم والغراب .

وفى ليلة الأحد حضر جماعة من عسكر الفرنسيس إلى بيت البكرى نصف الليل ، وطلبوا المشايخ المحبوسين لعند صارى عسكر ، ليتحدث معهم ، فلما صاروا خارج الدار ، وجدوا عدة كثيرة فى انتظارهم ، فقبضوا عليهم وذهبوا بهم إلى بيت قايمقام بضرب الجاميز ، فعروهم من ثيابهم وصعدوا بهم إلى القلعة فسجنوهم إلى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم وألقوهم من السور خلف القلعة ، وتغيب حالهم[٢] عن أكثر الناس أياماً ، وفى ذلك اليوم ركب بعض المشايخ إلى مصطفى أغا كتخداء الباشا وكلموه فى أن يذهب معهم إلى صارى عسكر ليتشفع فى الجماعة المذكورين ظناً منهم أنهم على قيد الحياة ، فركب معهم إليه وكلموه فى ذلك ، فقال لهم الترجمان : يقول لكم الصارى عسكر اصبروا ما هو وقته، وقام ليذهب فى بعض أشغاله ، فنهض الجماعة أيضاً ورجعوا إلى دورهم .

وفى يوم الثلاثاء حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة الأزهر ، فتخيل الناس منهم المكروه ، ووقعت فيهم كرشة ، وأغلقوا الدكاكين وتسابقوا للهروب ، وذهبوا إلى البيوت والمساجد واختلفت[٣] آراؤهم ، ورووا فى ذلك أقضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلتهم ، فذهب بعض المشايخ إلى الصارى عسكر وأخبره بذلك ، فأرسل إليهم وأمرهم بالذهاب ، فذهبوا ورجعت الناس وفتحوا الدكاكين ، ومر الوالى والأغا وبرطلمين ينادون بالأمان فسكن الحال ،

---

(١) فى الأصل وخضروا وهو تحريف .
(٢) أى خفى حالهم.
(٣) الأصل اختلف آراؤهم .

وقيل إن بعض كبرائهم حضروا عند القلق الساكن بالمشهد وجلس عنده حصة ، وهؤلاء كانوا اتباعه وقفوا ينتظرونه ، ولعل ذلك قصداً للتخويف والإرهاب خشية من قيام فتنة ، لما أشيع قتل المشايخ ، وفيه كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من أثر الفتنة وأن من قتل المسلمين فى[1] .

وفيه شرعوا فى إحصاء الأملاك والطالبة بالمقرر ، فلم يعارض فى ذلك معارض ، ولم يتفوه بكلمة ، وفيه أيضاً قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة غير النافذه ، وهى التى كانت تركت وسومح أصحابها وصالحوا عليها قبل الحادثة ، وبرطلوا القلقات والوسايط على بقائها ، وكذلك دروب الحسينية ، فلما انقضت هذه الحادثة ارتجعوا عليهم وقلعوها ونقلوها[2] إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية ، ثم كسروها وفصلوا أخشابها قطعاً ، ورفعوا بعضها على العربات إلى حيث يصنعون المتاريس بالنواحى والجهات ، وباعوا بعضها حطبا للوقود وكذلك ما بها من الحديد باعوه .

وفى ليلة الخميس هجم المنسر على بوابة سوق طيلون وكسروها ، وعبروا منها إلى السوق ، فكسروا القناديل وفتحوا ثلاث حوانيت وأخذوا ما بها من متاع المغاربة التجار ، وقتلوا القلقات الذين هناك وخرجوا بدون مُدافع ومنازع .

وفى يوم الخميس المذكور ذهب المشايخ إلى الصارى عسكر وتشفعوا فى ابن الجوسقى شيخ العميان فإنه كان معوّقا ببيت البكرى فشفّعهم فيه ، وأطلقوه .

شهر جمادى الثانى سنة ١٢١٣ استهل بيوم السبت ، فيه كتبوا عدة أوراق

---

(١) فى الكلام نقص بالأصل وربما كان وأن من قتل من المسلمين فى هذه الأيام فلعله ارتكبوه من معصية أو ما شابه ذلك .

(٢) فى الأصل وقلعوهم ونقلوهم .

على لسان المشايخ وأرسلوها إلى البلاد ولصقوا فيها نسخاً بالأسواق والأزقة ونصها :
صورة نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس فحركوا الشرور بين الرعية والعسكر الفرنساوية بعد ما كانوا أصحاباً وأحباباً بالسوية ، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض من البيوت ، ولكن حصلت ألطاف الله الخفية ، وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابارته ، وارتفعت هذه البلية ، لأنه رجل كامل العقل ، عنده مرحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة للفقراء والمساكين ، ولولاه لكانت العساكر حرقت المدينة ونهبت جميع الأموال وقتلوا كامل أهالى مصر ؛ فعليكم ألا تحركوا الفتن ولا تطيعوا أمر المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تتبعوا الأشرار ولا تكونوا مع الخاسرين ، سفهاء العقول الذين لا يقرءون العواقب ، لأجل أن تحفظوا أموالكم وأوطانكم وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم ، فإن الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ، ويحكم ما يريد ، ونخبركم أن كل من ظهر منه تحريك هذه الفتنة ، قتلوا عن آخرهم ، وأراح الله منهم البلاد والعباد ، ونصيحتنا لكم أن لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم ، وادفعوا الخراج الذى عليكم ، والدين النصيحة والسلام .

وفيها أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم المتباعدين عنهم ، ليكون الكل فى حومة[1] واحدة وذلك لما داخلهم من المسلمين ، حتى أن الشخص منهم صار لا يمشى بدون سلاح بعد أن كانوا من حين دخلوا البلد لا يمشون به أصلاً إلا لغرض ، والذى لم يكن معه سلاح يأخذ فى يده عصاة أو سوطاً أو نحو ذلك ، وتنافرت قلوبهم من المسلمين ، وأخذ

---

(١) حومة البحر والرمل والقتال وغيره معظمه وأشده ، وليس لها معنى هنا ولعلها جوقة أى فرقة واحدة .

كلٌ واحد حِذْره من الآخر ، وانكف المسلمون من الخروج والمرور بالأسواق من الغروب إلى طلوع النهار . ومن جملة من انتقل من الدرب[1] الأحمر إلى الأزبكية اللعين كفرلى المسمى عند العامة بأبى خشبة ، لأن إحدى رجليه مقطوعة من الركبة وقد ألبسها خشبة ، وهو يمشى بها بدون معين ، ويصعد[2] الدرج وينزل منه أسرع من الصحيح ، ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة ، وكان من جملة المشار إليه فيهم ، والمدبر لأمور القلاع والبناء ومصارف الحروب ، ولهم به عناية عظيمة واهتمام زايد ، كان مسكنه بيت مصطفى كاشف طرا ، وفى وقت الحادثة هجمت على الدار العامة فنهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية وفر الباقون ، فأخبروا من بالقلعة الكبيرة ، فنزل منهم عدة وافرة وقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا الواقفين ببابها ، وضربوهم بالبندق ، ودخل الباقى فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين ، وكانوا جملة كثيرة ، وكان بتلك الدار شىء كثير من آلات الصنايع والنظارات الغريبة والآلات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية وغير ذلك مما هو معلوم النظير ، كل آلة لا قيمة لها [إلاّ][3] عند من يعرف صنعتها ومنفعتها ، فبدد ذلك كله العامة وكسروه قطعاً ، وصعب ذلك على الفرنسيس جداً ، وأقاموا مدة طويلة يفحصون على تلك الآلات ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات ، وممن استشهد فى وقعة تلك الدار الشيخ محمد الزهار .

وفى خامسه أفرجوا عن إبراهيم أفندى كاتب البهار ، وتوجه إلى بيته ، وفى ثامنه قتلوا أربعة أنفار من نصارى القبط ، فيهم إثنان من النجارين قيل : أنهم سكروا فى الخمارة ، ومروا فى سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين ، وسرقوا منها أشياء ، وقبلُ تكرر منهم ذلك عدة مرار ، فاغتاظ لذلك القبطة ، وفيه كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها

---

(١) فى الأصل الضرب الأحمر وهو تحريف .

(٢) الأصل يقصد .

(٣) زيادة يقتضيها المقام .

نسخاً للبلاد ولصقوا منها بالأخطاط والأسواق ، وذلك على لسان المشايخ أيضا ، ولكن تزيد صورتها عن الأولى ونصها : صورة نصيحة من علماء الإسلام بمصر المحروسة ، نخبركم يا أهل المداين والأمصار من المؤمنين ، ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين ، أن إبراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتيب ومخاطبات إلى سائر الأقاليم المصرية ، لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات ، وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان ، وسبب ذلك أنه حصل لهم شدة الغم والكرب الزايد ، واغتاظوا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياها ، حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ويتركوا[١] عيالهم وأوطانهم ، فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية ، وذلك لشدة ماحصل لهم من الكرب الزايد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ، ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهاراً مع أغوات معينين ، ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف الإفرنجية دائماً يحبون المسلمين وملتهم ، ويبغضون المشركين ، وطبيعتهم أحباب لمولانا السلطان ، قائمون بنصرته وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته ، يحبون من والاه ويبغضون من عاداه ، ولذلك بين الفرنساوية والموسقوف[٢] غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة الموسقوف القبيحة الردية ، والطائفة الفرنساوية يعاونون[٣] حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله ، ولا يبقون منهم بقية ، فننصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ، ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ، ولا تسمعوا كلام المفسدين ،

(١) فى الأصل ويتركون .

(٢) يريد أهل موسكو أى الروس .

(٣) فى الأصل يعادون وبها لا يستقيم الكلام .

«ولا تطيعوا أمر المفسدين المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون» فتصبحوا على ما فعلتم فى أنفسكم نادمين ، وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين ، لتكونوا فى أوطانكم سالمين ، وعلى عيالكم وأموالكم آمنين مطمئنين ، لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحداً فى دين الإسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويقتصر على أخذ الخراج ، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم ، فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم بيك ومراد ، وارجعوا إلى مولاكم مالك الملك وخالق العباد ، فقد قال نبيه ورسوله الأكرم : الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم ، عليه أفضل الصلاة والسلام ختام .

وفى ثالث عشره قتلوا شخصين عند باب زويلة الواحد يهودى ، لم يُتَحقق السبب فى قتلهما[1] ، وفيه أخرجوا من بيت نسيب ابراهيم بيك كتخدا مغاو ودايع لبنت ابراهيم بيك وزوجها : صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأوانى ذهب وفضة وأمتعة وملابس أشياء كثيرة جداً .

وفى خامس عشره مر جماعة من عسكر الإفرنج بباب زويلة ليلاً وفتحوا بعض دكاكين السكرية ، ونهبوا مابها من السكر وضاع على أصحابه ، وفيه دلوا على إنسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بيك الدفتردار فطلبوه وأمروا بإحضارها فأحضرها بعد الإنكار والجحد عدة مرار ، فوجدوا ضمنه أسلحة وجواهر ومسابيح من اللؤلؤ وخناجر بجوهر وما أشبه ذلك .

وفى عشرينه كتبوا عدة أوراق مطبوعة ولصقوها بالأسواق مضمونها أنه يوم الجمعة حادى عشرينه قصدنا نطير مركب ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة

---

(١) فى الأصل فى قتلهم .

فرنساوية ، فكثر لغط الناس فى ذلك كعادتهم ، فلما كان ذلك اليوم قبل العصر اجتمعت الناس والكثير من الإفرنج ليروا تلك العجيبة ، وكنت بجملتهم فرأيت قماشاً على هيئة الأوبة على عامود قايم ، وهو ملون أبيض وأحمر وأزرق وعمودها مركب على مثل دائرة الغربال ، سُكرُجه بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان ، وتلك السرجه مصلوبة بسلوك حديد منها إلى الدائرة ، وهى مشدودة ببكر وأحبال وأطرافُ الأحبال بأيدى الناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها ، فلما كان بعد العصر نحو ساعة أو قدوا تلك الفتيلة فصعد دخانُها إلى ذلك القماش وملأته فانتفخ وصار مثل الكرة ، وطلب الدخان الصعود إلى مركزه فلم يجد منفذا فجذبها معه إلى العلو ، فجذبوها بتلك الأحبال حتى ارتفعت عن الأرض فقطعوا تلك الأحبال ، فصعدت إلى الجو مع الهوا ومشت معه هُنيهة لطيفة ، ثم سقطت طارتها بالفتيلة ، وسقط أيضاً ذلك القماش ، فانكسف طبعهم لسقوطها ، ولم يتبين صحة [ما] قالوه من أنها على هيئة مركب يجلس بها أنفار من الناس ويسافرون فيها إلى البلاد البعيدة ، لكشف الأخبار وغير ذلك من التمويهات الكاذبة ، بل ظهر أنها مثل الطيارات التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح .

وفى تلك الليلة عند العشاء(١) عملوا حراقه و نُفوط وبارود وصواريخ بالأزبكية ، وكان ذلك اليوم والليلة من أعيادهم لأن صارى عسكر دعا الأعيان وأكابر التجار ولبسوا ثياباً جديدة(٢) ، وفى تلك الليلة كثر مرورهم بالأسواق ، فكانت الكلاب تعضهم ، فأطعموها خبزاً مسموماً فمات الكثير منها(٣) فلما طلع النهار ووجدت الناس الكلاب مرمية بالأسواق وهى ميتة فاستكروا لها ناسا(٤) جروها إلى الكيمان .

---

(١) زيادة يقتضيها المقام .

(٢) فى الأصل جديد وهو وصف للمفرد والمراد هنا الجمع .

(٣) فى الأصل منهم .

(٤) فى الأصل ناس وحقها النصب .

وفى خامس عشرينه سافر عدة عساكر لجهة مراد بيك وكذلك إلى ناحية كرداسة بسبب العرب ، وكذلك إلى السويس وإلى الصالحيه وأخذوا جمال السقايين بروايااها ، وحميرهم حتى شح الماء وغلا ، وبلغ ثمن القربه عشرة أنصاف فضة إن وجدت ، وفيه ظفروا بعدة ودايع خبايا[١] بعدة أماكن بها صناديق واسعة وأسلحة وأوانى صينى وأوانى نحاس قناطير ، وغير ذلك ، وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث الكلية والجزئية التى لا يمكن ضبطها[٢] لكثرتها . فمنها : أنهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة يجتمع[٣] بها النساء والرجال للهو والخلاعة فى أوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل إليها[٤] قدرا مخصوصا يدفعه أو يكون مأذونا وبيده ورقة ، ومنها أنهم هدموا وبنوا المقياس بالروضة[٥] ، وهدموا جامع أبى هريرة بالجيزة ، ومهدو التل المجاور لقنطرة الليمون ، وبنوا أعلاه طاحونا تدور بالهواء تطحن[٦] الأرادب من الدقيق ، وطاحونا أخرى بالروضة فى مقابلة مصاطب النشاب ، وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة ، وشرعوا فى ردم جهات حوالى بركة الأزبكية ، وهدمو الأماكن المقابلة لبيت صارى عسكر حتى جعلوها رَحْبَة متسعة ، وهدموا الأماكن المقابلة لها من الجهة الأخرى والجنا ين التى خلف ذلك ، وقطعوا أشجارها وردموا مكانها بالأتربة المهدة على خط من الجهتين مبتداه من حَدّ بيت الصارى عسكر إلى قنطرة المغربى ، وجددوا قنطره المغربى المذكورة ، ثم منها كذلك جسرٌ على الوضع والنسق ممتد إلى بولاق ممهداً مستوياً على خط مستقيم ، وحفروا فى جانبيه من مبتداه لمنتهاه خندقين وكذلك غرسوا

(١) فى الأصل وجنايا وهو تحريف
(٢) فى الأصل ظيطها
(٣) فى الأصل يجتمعون
(٤) فى الأصل إليه والضمير يعود على الأبنية .
(٥) فى الأصل : هدموا وبنوا بالمقياس والروضة .
(٦) فى الأصل وتظمن

فى جانبيه شجر السيسبان من الأول للآخر ويتصل ذلك الجسر لساحل النيل عند موردة التبن ، وأحدثوا طريقاً آخر فيما بين باب الحديد وباب العدوى عند المكان المعروف بالشيخ شعيب حيث معمل الفواخير ، وردموا جسراً ممهداً مستطيلا ممتدا(١) يبتدىء من الحد المذكور وينتهى إلى جهة المذبح خارج الحسينية ، فخرب بسبب ذلك أماكن كثيرة وغيطان عديدة ، قطعوا فى طريقهم جانباً من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب ، وردموا خليج بركة الرطلى ، وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلى ، وأشجار الجسر أيضا والأبنية التى بين باب الحديد والرحبة التى بظاهر جامع المقس ، وساووا الأعلى بالمنخفض بحيث صارت طريقا ممتدة من الأزبكية إلى جهة قبة النصر والعادلية على خط مستقيم من الجهتين ، وجعلوا جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية قلعة ، وهدموا منارته ، وجعلوها بُرْجا ، ووضعوا فى أسواره مدافع وأسكنوه جماعة من العسكر ، وبنوا فى داخله عدة مساكن تسكنها العساكر المقيمة به .

ومنها أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل النقارب(٢) بالناصرية كرانك وأبراجاً(٣) ، ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر ، وهدموا عدة دور من دور الأمراء وأخذوا أنقاضها ورُخامها لأبنيتهم على التلول وغيرها ، وأفردوا للمدبرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحُسَّاب والمنشيين حارة الناصرية(٤) وما بها من البيوت من مثل بيت قاسم بيك أمير الحاج سابقاً المعروف بأبو سيف ، وبيت

---

(١) هكذا بالأصل ولعلها تكرار لكلمة (ممهداً) محرفة .

(٢) هكذا بالأصل ولعلها العقارب .

(٣) فى الأصل وأبراج .

(٤) فى الأصل حارةا لناصرية وهو تحريف .

حسن كاشف جركس الذى أنشأه وشيده وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظيمة من مظالم العباد ، وعند إتمام بياضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ففر مع المنهزمين وتركه بما فيه وسكنه[١] الجماعة المذكورون ، ووضعوا فيه جملة كبيرة من[٢] كتبهم وعليها خازن يحفظها ويحضرها للطلبة فيراجعون فيها مرادهم ويردها لمكانها ، وأكثرها يشتمل على الرياضات والتصويرات وتواريخ الأمم السالفة ، وسموا ذلك البيت بالمدرسة ، وأفردوا مكاناً للنجارين والحدادين والخراطين وأرباب الصنايع من الفرنسيس ، ومكاناً للحكمة وبنوا فيه كوانين وتنانير مهندمة وركبوا عليها آلات التقاطير واستخراج المياه والأدهان المختصة بالطب والحكمة وأرواح المفردات ، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب ، وبه أوانٍ وقوارير من الزجاج المختلف الأشكال والهيئات إلى غير ذلك .

وفيه ورد الخبر بموت صالح بيك أمير الحاج بغزة .

شهر رجب استهل بيوم الأحد ، وفى ثالثه قتلوا شخصاً من الأجناد يقال له مصطفى كاشف من جماعة حسين بيك المعروف بشفت دره ، وكان قد فر مع الفارين ، ثم حضر من غير استئذان ، وأقام أياماً مستتراً ببيت الشيخ سليمان الفيومى ، فسلمه لمصطفى أغا مستحفظان ليأخذ له أماناً ، فأخبر الفرنسيس بشأنه وأغراهم عليه ، فأمر بقتله فقتلوه وقطعوا رأسه وطافوا بها ينادون عليها بقولهم : هذا جزاء من يدخل لمصر من غير إذن الفرنسيس .

وفى يوم الخميس حضر كبير الفرنسيس الذى بناحية قليوب وصحبته سليمان الشواربى شيخ قليوب وكبير الناحية فلما حضر حبسوه بالقلعة ، قيل إنهم عثروا عليه أنه أرسل مكتوباً[٣] وقت الفتنة السابقة إلى سرياقوس ليستنهض أهل تلك

---

(١) فى الأصل وسكنوه الجماعة .
(٢) فى الأصل مركبتهم وهو تحريف .
(٣) فى الأصل مكتوب .

النواحى فى القيام ويأمرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبة على الفرنسيس ، ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الأجناد أيضاً . وفيه أحدثوا مدفعاً يضربونه كل يوم وقت الزوال لأن ذلك الوقت عندهم إبتداء اليوم .

وفى يوم الأربعاء عاشره نادَوْا فى الأسواق بأن من أراد شراء فرس أو حمار فليحضر يوم الجمعة ثانى عشره ببولاق ، ويشترى من الفرنساوية مما أحب من ذلك ، وكتبوا بذلك أوراقا ولصقوها بالأسواق والأزقة ، وهى مطبوعة ، وتليها الصورة ونصها : فليكن معلوماً[1] عند كافة الرعايا المصرية أن يوم الجمعة إثنى عشر شهر رجب فى الساعة إثنين[2] يباع فى بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنساويه ، فلأجل هذا المشترى كل من أراد يقتنى خيلا[3] فمنحنا له الأجازة أنه يقتنى كما يريد ويشاء .

وفى يوم الأثنين سادس عشره سافر كبير الفرنسيس بونابارته إلى السويس وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقى وابراهيم أفندى كاتب البهار ، وأخذ معه أيضاً بعض المدبرين والمهندسين والمصورين وجرجس الجوهرى ، وألطون أبو طاقية وغيرهم ،وعدة عساكر من الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختراوانات ، وعدة جمال تحمل الذخيرة والماء والقومانية.وفيه شرعوا فى ترتيب على تنظيم آخر . وعينوا له ستين[4] نفراً ، منهم أربعة عشر يقال لهم الخصوص ، وهم الذين يحضرون دائماً ، ويقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الدعومى ، والباقى بحسب الاقتضاء ، والأربعة عشر فيهم من المشايخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والفيومى ، ومن التجار المحروقى وأحمد ابن محمود محرم ، ومن النصارى القبطية لطف الله المصرى ، ومن الشوام يوسف فرحات وميخائيل كحيل وواحد

---

(١) فى الأصل معلوم

(٢) هكذا فى الأصل يريد الساعة الثانية

(٣) فى الأصل خيل

(٤) فى الأصل ستون

إنكليزى(١) ويوريف وموسى كافو الفرنساويان ووكلاء ومباشرون(٢) من الفرنسيس وتراجمة . وأما العمومى فغالبه مشايخ حرَف . وكتبوا بذلك طوماراً كبيرا بَصَموا(٣) منه نسخاً كثيرة وأرسلوامنها للأعيان . ولصقوا منها بالأسواق على العادة ، وأرسلوا للذين تعينوا بالديوان أوراقا بأسمائهم . وصوره صدر ذلك الطومار المكتتب فى شأن ذلك ، وقد أوردت ذلك وإن كان فيه بعض الطول على ما فيه من التمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات،التى ينادى على بطلانها بديهة العقل فضلاً عن النظر ، وهو مقول على لسان بونابارتة كبير الفرنسيس ورئيسهم ذاك التعيس ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم من بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية خطاباً إلى كافة أهالى مصر الخاص والعام نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول خاليين(٤) من المعرفة وإدراك العواقب سابقاً أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر ، فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة ، والبارى سبحانه وتعالى أمرنى بالشفقة والرحمة للعباد، فامتثلت أمره وصرت رحيماً شفوقاً عليكم ، ولكن كان حصل عندى غيظ وغم شديد بسبب تحريك هذه الفتنة بينكم ، ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد وإصلاح أحوالكم من مدة شهرين ، والآن توجه خاطرنا إلى ترتيب ديوان كما كان لأن حسن أحوالكم ومعاملتكم فى المدة المذكورة أنسانا ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت سابقاً . أيها العلماء والأشراف أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذى يعادينى ويخاصمنى إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره ، فلا يجد ملجأً ومخلصاً ينجيه منى فى هذا

---

(١) فى الأصل انكليز

(٢) فى الأصل مباشرون .

(٣) يريد طبعوا

(٤) هكذا فى الأصل والصحيح الضالى العقول الخالين من المعرفة

العالم ، ولا ينجو من بين يدى الله لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى ، والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته وقضائه ، ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة ، وأعلموا أيضاً أمتكم أن الله قدر فى الأزل هلاك أعداء الإسلام وتكسير الصلبان على يدى ، وقدّر فى الأزل بعد ذلك أن أجىء من المغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها ، وإجراء الأمر الذى أمرت به ، ولا يشك(١) العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته وقضائه ، وأعلموا أيضاً أمتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل وأشار فى آيات أخر إلى أمور تقع فى المستقبل ، وكلام الله فى كتابه صدق وحق لا يتخلف ، إذا تقرر هذا وثبتت(٢) هذه المقالات فى آذانكم ، فلترجع أمتكم جميعاً إلى صفاء النية وإخلاص الطوية ، فإن منهم من يمتنع عن لعنى وإظهار عداوتى من خوف سلاحى وشدة سطوتى ، ولم يعلم أن الله مطلع على السرائر ليعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، والذى يفعل ذلك يكون معارضاً لأحكام الله ومنافقاً ، وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب ، واعلموا أيضاً أنى أقدر على إظهار ما فى نفس كل أحد منكم لأننى أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه ، وإن كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده ، ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة ، لأننى كل مافعلته وحكمت به فهو حكم إلهى لا يُرَدّ وإن اجتهاد الإنسان بغاية جهده ما يمنعنى عن قضاء الله الذي قدره وأجراه على يدى ، فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم معى مع صفاء النية وإخلاص السريرة والسلام .

ورتبوا لأرباب الديوان الديمومى شهرية تدفع إليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة والدعاوى وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين ، وفى ثامن عشره طافوا

(١) فى الأصل «ولا شك» ولعل الصواب ما ذكرناه .

(٢) فى الأصل «وثبت» .

على الطواحين واختاروا من كل طاحون فرساً أخذوها، ومن الطحانين من صالحهم ودفع لهم دراهم تركوه ، وذلك أنهم لما باعوا الخيل ببولاق فاشترى منهم الطحانون(١) جملة ، فكان كل من باع حصانه شرط فى أذنه شرطاً ليكون له علامة ، وبعد ذلك طافوا بالطواحين وأخذوا عوض خيولهم ما استحسنوه ولاق بخاطرهم .

وفى رابع عشرينه حضر السيد أحمد المحروقى وكاتب البهار من السويس وكان الصارى عسكر ذهب إلى ناحية بلبيس، فاستأذنوه فى ذهابهم إلى مصر، فأذن لهم وأرسل معهم خمسين واحداً ليوصلوهم لمصر ، ولما حضروا حكوا أن أهل السويس لما بلغهم مجىء الفرنساوية هربوا وأخلوا البلد وذهبوا إلى الطور ،وذهب البعض إلى العرب فى البادية ،فنهب الفرنسيس ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك ، وهدموا الدور وكسروا الأخشاب وخوابى الماء ، فلما حضر كبيرهم وكان متأخراً عنهم كلمه(٢) التجار الذاهبون معه وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح .فاسترد من العسكر البعض ، وواعدهم باسترجاع الباقى أو دفع ثمنه بمصر ، وأن يكتبوا قائمة بالمنهوبات ، وهذا نوع من الكذب والحيل ، فإنه لما ارتحل من هناك أخذ العسكر ما كانوا ردوه ، وما كانوا تركوه أيضا ، وأنه وجدمركبين إلى قريب من السويس بها جانب بن ومتاجر ، فغرقت إحداها ،فنزلت طائفة من الفرنسيس فى مراكب صغار وذهبوا إليها فى الغطس وأخرجوها بآلات ركبوها واصطنعوها .

وفى مدة إقامته بالسويس صار يركب ويتأمل فى النواحى وجهات ساحله

---

(١) فى الأصل الطحانين

(٢) فى الأصل كلموه التجار .

البحر والبرّ ليلا ونهارا ، وكان معه من الأُدْم(١) فى هذه السفرة ثلاثة(٢) طيور دجاج محمرة ملفوفة(٣) فى ورق وليس معه طباخ ولا فراش ولا خيمة .

وفى يوم السبت حضر عدة من العسكر الفرساوى من ناحية بلبيس ومعهم عدة من العربان نحو ثلاثين واحداً موثوقون بالحبال ، وأسروا أيضاً عدة من أولادهم ذكورا وإناثا،حضروا بهم لمصر يزفونهم بالطبول أمامهم ، ومعهم أيضاً ثلاثة أحمال من أحمال التجار ، وبعض جمال مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحجّ ، وفى ليلة الاثنين حضر صارى عسكر من ناحية بلبيس ليلا لمصر وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباظا أخو سليمان أباظا شيخ العيايدة ، وخلفه رهاين وخرَّبوا أبو زعبل والمنيّر ، ونهبوهم وأخذوا بهائمهم ومالهم من المواشى والأموال ، وحضروا بهم إلى القاهرة وخلفهم أصحابهم نساء ورجالا كبارا وصغارا. وفى ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربى شيخ قليوب ومعه أيضاً ثلاثة من الرّجال يقال إنهم من عرب الشرقية ، فأنزلوهم من القلعة إلى الرميلة على يد الأغا وقطعوا رؤوسهم وحملوا جثة الشواربى مع رأسه فى تابوت وأخذه أتباعه وذهبوا به إلى بلده قليوب ليدفن هناك ، وانقضى هذا الشهر وما تجدد به أيضاً من الحوادث الكلية والجزئية ، فمنها تسلق أنفار من عسكر الفرنسيس على بعض الدور والأزقة ذهبت هدرا ، ووقع أن فى ليلة السابع والعشرين منه أتت جماعة إلى دار الشيخ محمد ابن الجوهرى الساكن بالأزبكية بالقرب من باب الهواء فخلعوا الشباك المطل على البركة ودخلوا وصعدوا إلى أعلا الدار ، وكان بها ثلاثة من النساء الخدامات وأمة خدامه أيضاً وبواب الدار ، ولم يكن رب الدار بها ولا

---

(١) ما يؤكل غير الخبز جمع ادام

(٢) فى الأصل ثلاث

(٣) فى الأصل محمرين ملفوفين

الحريم بل كانوا قد انتقلوا لدار أخرى لما سكن معظم العسكر بالأزبكية، فاستيقظ النساء وصرخن فضربهن العسكر وقتلوهن ، واختفت البنت فى جهة وعاثوا فى الدار، وأخذوا متاعا ومصاغا ونزلوا ، واستيقظ البواب فاختفى خوفاً منهم ، فلما طلع النهار وشاع الخبر، وكان الصارى عسكر غائبا. فلم يقع كلام فى شأن ذلك ، فلما قدم من سفره، ركبت مشايخ الديوان إليه وأخبروه، فأظهر الغم من ذلك والمذمة لما فيه من العار الذى يلحقه كون العسكر وقع منهم ذلك فى غيابه ، ثم اهتم فى التفحص عن فعل ذلك ، وقتل من اتهم منهم ، ومنها كثرة تعدى القلقات وتشديدهم على وقوع(١) القناديل بالأزقة ، وإذا مرّوا فى الليل ووجدوا قنديلا أطفاه الهواء أو خلص زيته ، سمروا الحانوت أو الدار التى هو عليها ، ولا يقلعون المسمار حتى يصالحهم صاحبها على ما أحبّوه من الدراهم ، وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك، واتفق أن المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير الجيوش بسبب كونها فى ظروف من الورق والجريد ، فابتل الورق وسال الماء فأطفأ القناديل، فسمروا حوانيت السوق ، وأصبح أهلها صالحوا عليها ، ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة ، فجمعوا فى ذلك اليوم جملة كثيرة من الدراهم، وأمثال ذلك حتى فى الأزقة والعطف الغير النافذة(٢) ، حتى كان الناس ليس لهم شغل إلا القناديل وتفقد حالها، خصوصا فى ليل الشتاء الطويل، والحكم لله الواحد النهار .

شهر شعبان استهل بيوم الثلاثاء ، فيه قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس بالبندق الرصاص بالميدان تحت القلعة ، قيل إنهم من المتسلقين على الدور ، وفيه أخبر السفار بأن مراد بيك ومن معه ترفعوا إلى قبلى ووصلوا إلى عقبة الهوا ، وكلما قرب منهم الفرنسيس ، انتقلوا وَقبَّلوا ، ولقد داخلهم من الفرنسيس شدة خوف

---

(١) ولعلها وضع

(٢) الصحيح لغة غير النافذة

ورعب ، ولم يقع بينهم ملاقاة ولاقتال ، وفيه قدمت ناس تحمل البن الذى حضر من السويس بالمركب الداو بصحبة جماعة من الفرنساوية خوفاً من قطاع الطريق .

وفى يوم الأحد سادسه نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين الشهرى ، وشدد فى ذلك وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشر ريال فرانسى ، وكان السبب فى ذلك والأصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد البدوى القبانى مباشر وقف جامع سيدنا الحسين ، كان قدا عتراه مرض الحب الأفرنجى فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى ، فحصلت له بعض إفاقه فابتدأ به وأوقد فى القبة والمسجد قناديل وبعض شموع ورتب فقهاء يقرؤن القرآن بالنهار ومدارسته وآخرين بالمسجد يقرؤن بالليل دلائل الخيرات للجزولى ، ثم زاد الحال وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفى والسمان والعربى والعيساوية ، فنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها وينشدوا لهم قصدئد ومواليات ، ومنهم من يقــول أبياتاً من بُردة البوصيرى يجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وأما العيساويه فهم جماعة من المغاربة وما دخل فيهم من أهل الاهواء ، ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى ، وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ويقولون كلاماً معوجاً بلغتهم بنغم وطريقة مَشَوْا عليها ، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضرباً شديداً مع ارتفاع أصواتهم ، وتقف جماعة آخرى قبال الذين يضربون بالدفوف فيضمون أكتافهم فى أكتاف بعض بحيث لا يخرج واحد عن الآخر ويلتوون وينتصبون وينخفضون ويضربون الأرض

بأرجلهم كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزايدة ، بحيث لا يقوم هذا المكان(١) إلا كل من عرف بالقوة ، وهذه الحركات والإيقاعات على شكل الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد دوى عظيم وضجات من هؤلاء وغيرهم من جماعات الفقراء كل أحد له طريقة وكيفيه تباين الآخر ، هذا مع ما ينضم إلى ذلك من جميع العوام ، وتحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك والتلفت إلى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب والمسكرات والمأكولات فى المسجد ، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه ، وسقاة الماء فيصير الجامع بما اجتمع فيه من(٢) هذه القاذورات والعفوش ملتحقاً بالأسواق الممتهنة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم زاد الحال عن ذلك بقدوم جماعة الأشاير من الحارات البعيدة والقريبة ، وبين أيديهم مناور القناديل والشموع والطبول والزمور ، ويتكلمون بكلام محرف يظنون أنه ذكر(٣) وتوسلات يثابون عليها ، وينسبون من يلومهم أو يعترضهم إلى الاعتزال(٤) والخروج والزندقة ، وغالبهم أصناف وأهل حرف السافلة ومن لا يملك قوت ليلة ، فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه ويبيع متاعه أو يستدين الجملة من الدراهم ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة وأكل الذين يجتمعون(٥) عليه ما هو من امثاله من الحرافيش ،

---

(١) لعلها المقام

(٢) زيادة يقتضيها السياق

(٣) فى الأصل أنه ذكراً

(٤) فى الأصل الاعتزال ، والاعتزال نسبة إلى فرقة المعتزلة التى ظهرت فى أواخر العصر الأموى ، وكان لها شأن كبير فى عصر المأمون وهم من علماء الكلام ، والمعدودون لفلاسفة الإسلام وكان ، المثل عندهم معتزلة كبيرة ، وأولهم بن عطاء الذى اعتزل حلقة الحسن البصرى فسموا معتزلة من ذلك الوقت .

(٥) فى الأصل يجتمعوا

ثم يقطع ليلته تلك سهران[١] ويصبح دائماً دائخاً كسلان ، ويظن أنه بات يتعبد ويذكر ويتهجد ، واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ولم يَزْدد الناذر لذلك إلاَّ مرضا ومقتا ، واستجلب خدمة الضريح مالاح لهم من خساف العقول مثل الشمع والدراهم واتخذوا ذلك حبالة لأكل أموال الناس بالباطل ، فلما حدثت هذه الحادثه لمصر، تُرِك هذا المولد فى جملة المتروكات ، ثم حصلت الفتنة التى حدثت وسكن هذا القلق الفرنساوى فى خُط المشهد لضبط تلك الجهة ، وفيه خبث ومداهنه ، فصار ينافق المسلمين[٢] ويظهر لهم المحبة والتملق ، ويدخل بيوت الجيران ويقبل شفاعات المتشفعين ، وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كعادتهم فى غير هذه الجهة ، وكذلك ترك ما يفعله غيره من القلقات من أنواع التشديد على الناس ، فاطمأن به الناس لذلك ، وتراجعوا الصلاة فى الجوامع بكرة، بعد خوفهم من العسكر الذين رتب معهم وأبطلهم التبكير للجوامع ، فلما أنسوا به وعرفوا أخلاقه،رجعوا لعادتهم ومشوا بالليل أيضا بدون فزع وخوف وترجمانه على مثل طريقته ، وهو رجل شريف من أهل حلب كان أسيرا بمالطة ، فاستخلصه الفرنسيس فى جملة من الذين خلصوا من أسرها لطة وقدم معه مصر ، فلما رتب هذا القلق فى الخطة كان ترجمانه يهوديا فاحتال بعض أعيان أهل الخطة ورتب الشريف المذكور ترجمانا عند القلق لتسكون فيه راحة الناس ، وقد فتح ذلك الترجمان قهوة بالخط بقرب دار القلق ، وجمع الناس للجلوس فيها والسهر حصة من الليل،وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقدارا من الليل كعادتهم القديمة ، فاستأنسوا بالاجتماعات والتغنى والخلاعات ، وعم ذلك جهات تلك الخطة، ووافق ذلك طباع العامة ، لأن أكثرهم مطبوعون على المزح والخلاعة ، وتلك هى طبيعية الفرنسيس

---

(١) فى الأصل سهراناً

(٢) فى الأصل المسلمون

فصار وايجتمعون عنده للسمر والحديث ، ويجلس معه ذلك القلق الفرنساوى فانساقه الحديث لذكر هذا المولد الشهرى وما يقع فى ليلته من المهرجات وحسنوا له إعادته فوافقهم على ذلك ، وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ووقود القناديل ، وشدد فى ذلك .

وفى يوم الأربعاء كتبوا أوراقا بتطيير طياوة ببركة الأزبكية مثل التى(١) سبق ذكرها وفسدت ، فاجتمع الناس لذلك وقت الظهر وطيروها ، وصعدت إلى الأعلى ومرّت إلى أن وصلت تلال البوقيّة وسقطت ،ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين، لتمت الحيلة وقالوا إنها راحت إلى البلاد البعيدة بزعمهم .

وفيه سافر مجلون إلى الصعيد واليا على دجرجا لتحرير البلاد وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحى للغز ، وفيه سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ومواهى ونساء أفرنجيات وصناديق، قيل إنهم أرسلوها إلى الطور وصحبتهم عدةٌ من العسكر .

وفى يوم الخميس عاشره حضرت طائفة من عسكر الفرنساوية إلى وكالة زين الفقار بالجمالية، ففتحوا طبقة كانت لـكتخداى على باشا الطرابلسى، وأخذوا ما وجدوه بها من أمتعة ، وختموا عدة حواصل وأطباق بذلك الخان وبالوكالة الجديدة وغيرها للمسافرين والهاربين والغليونجية التجار، وسجنوهم بالقلعة، وصاروا يفتشون على من بقى منهم بمصر وبولاق ، خصوصاً الجودلية الذين كانوا عسكر مراد بيك ، وأخذوا الـكثير من عسكر الأرواام والغليونجية الذين كانوا مع مراد بيك ، وبعضهم كان بمصر فأدخلوهم فى عسكرهم وزيوهم بزيهم ، وأعطوهم أسلحة وانتظموا فى سلـكهم .

وفيه تواترت الأخبار بأن على باشا ونصوح باشا فارقا مراد بيك ، ومرّا من خلف الجبل على المجّن وذهبا إلى جهة الشام وصحبتهم جماعة إبراهيم بيك الذين كانوا تخلفوا مع مراد بيك مثل رضوان بيك ، وكان ذهابهم أواخر رجب .

---

(١) فى الأصل التى .

وفيه نادوا بإبطال القناديل التى توقد فى الليل على البيوت والدكاكين وأن يوقد عوضها فى وسط السوق مجامع فى كل مجمع أربعة قناديل بين كل مجمع ثلاثون(١) ذراعا ويقوم بذلك الأغنياء دون الفقراء ولا علاقة فى التلقات بذلك ، ففرح بذلك فقراء الناس وانفرجت عنهم هذه الكربه ، وفيه نادوا أيضا بأن كل من له دعوى شرعية أو مظلمة فليذهب لعند العلماء والقاضى ، وفيه ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب الكوامل ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والوز والجير وغير ذلك ، وفيه حضر رجل من ناحية غزة يطلب أمانا للست فاطمة زوجة مراد بيك ولابنة الشيخ البكرى وزوجها الأمير زين الفقار(٢) وخشداشه ، والخطاب للشيخ البكرى ، فعرض الشيخ البكرى ذلك وترجى عند الصارى عسكر بحجة أنها ابنة عمه ، فكتب له أمانا بحضورهم ، وأرسل لهم نفقة وكان ذلك حيلة منهم لتخلص النفقة ، وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة وإبراهيم بيك ومن معه خارج البلد وهم فى ضيق ، وحصروا حريمهم داخل البلد ، وفيه ذهب عدة من العسكر الفرنساوى كثيرة إلى قطيا وشرعوا فى بناء متاريس هناك ، وأشيع سفر كبير الفرنسيس إلى جهة الشام والإغارة عليها ، وفى ليلة الأحد ثالث عشره كان انتقال الشمس لبرج الدلو ، وهو أول شهر من شهورهم ، فعملوا تلك الليلة حراقة بارود وصواريخ كما هى عادتهم عند كل انتقال .

وفى يوم الأثنين رابع عشره نادى المحتسب على اللحم الضانى بسبعة أنصاف الرطل وكان بثمانية أنصاف ، واللحم الجاموسى بخمسة وكان بستة ، وفيه ذهبت طائفة من العسكر وضربوا عرب العايد نواحى الخانكة ، وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ، ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنسيس وأسلحتهم جملة

---

(١) هكذا بالأصل وصحيح العبارة . بين كل مجمع والذى يليه ثلاثون ... الخ .

(٢) فى الأصل زين الفقرا .

فأخذوا ذلك مع ماأخذوه ، وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة ، وفيه ذهب عدة من العسكر إلى صنافير وأجهور الورد ، وقرنفيل وكفر منصور وبلد أخرى للتفتيش على العرب فأخذوا ماوجدوه للعرب من بهائم وغيرها ، والذى عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضاً ، ونهبوا جمالاً وبهائم لمن لم يعص أيضاً ، ودخلوا بذلك المدينة فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة والنعجة وابنها بريالين ، فاشترى غالب ذلك نصارى القبط .

وفى يوم السبت قتلوا بالقلعة نحو تسعين نفراً وغالبهم من المماليك، وجدوهم هاربين فى البلاد، والذين عَسَّ عليهم اللعين الأغا وبرطلمين ووجدهم مختفين فى البيوت ، وفيه قبضوا على خمسة أنفارمن اليهود وامرأتين ، وألقوا الجميع فى بحر النيل وفيه نادَوْا بأن كل من اشترى شيئاً من منهوبات العرب التى نهبها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر ، وفيه كثر الاهتمام والحركة لسفر الفرنسيس إلى جهة الشام ، وطلبوا وهيئوا جملة من الهجن وأحضروا جمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط ، ثم رسموا على الوالى بإحضار عدة كبيرة من الحمير يقال إنها ألف حمار ، وكذلك عدة من البغال فطلب شيخ الحمَّارة وأمره بجمع ذلك ، وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال فاختفى غالب أصحاب الحمير ، وخاف الناس على حميرهم وامتنع خروج السقايين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير ، وسقايين الجمال والبراسميّة . فحصل للناس ضيقٌ بسبب ذلك ، وفى يوم الأثنين حادى عشرينه كتبوا أوراقا ولصقوها بالأسواق على العادة ونصها : الحمد لله وحده هذا خطاب إلى جميع أهل مصر من خاص وعام من محفل الديوان الخصوصى من عقلاء الأنام علماء الإسلام والوجاقات والتجار الفخام نعلمكم معاشر أهل مصر أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، وعفا عفواً

شاملا وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قائد أغا بالأزبكية ، ورتبه من أربعة عشر شخصاً أصحاب معرفة وإتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلاً كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لأجل قضاء حوائج الرعية وحصول الراحة ، كل ذلك من كمال عقله ، وحسن تدبيره ، ومزيد حبه لمصر ، وشفقته على سكانها من صغير القوم لكبيرهم ، ورتبهم بالمنزل المذكور كلّ يوم ، لأجل خلاص المظلوم من الظالم ، وقد اقتص[1] من عسكره الذين أساءوا وظلموا بمنزل الشيخ الجوهرى وقتل منهم إثنين بقراميدان ، وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالى إلى أدنى مقام، لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيس خصوصا مع النساء الأرامل فان ذلك قبيح عندهم لا يفعله إلا كل رذيل ، ووضع القبض فى القلعة على رجل نصرانى مَكّاس لأنه[2] بلغه أنه زاد المظالم فى الكمرك بمصر القديمة على الناس ، ففعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم ، ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ، ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل لبحر السويس لتخف أجرة الحمل من مصر إلى قطر الحجاز الأفخم ، وتحفظ البضايع من اللصوص وقطاع الطريق ، وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن ، وكل فج عميق فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم ، واتركوا الفتنة والشرور ، ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم ، وعليكم بالرضا بقضاء الله ، وحسن الاستقامة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع بالندامة ، رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم ، ومن كان له حاجة فليأت إلى الديوان بقلب سليم إلا من كان له دعوة شرعيّة فليتوجه إلى القاضى عسكر المتولّى بمصر المحميّة بخط العسكريّة والسلام على أفضل الرسل مع الصلاة ختام .

---

(١) فى الأصل النصر وهو تحريف

(٢) فى الأصل لأن

وفيه أرسلوا الوالى لينبه على السقايين بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم.
وفى ليلة الأربعاء ثالث عشرينه خرج عدة كثيرة من العسكر، وطلب كبير الفرنسيس أن يأخذ صحبته مصطفى بيك كتخداء الباشا أمير الحاج ويأخذ أيضاً قاضى عسكر بجمقشى زاده وأربعة أنفار من أهل العلم، وهم الفيومى والصاوى والعريشى وابن الدواخلى، وعدة أيضاً من التجار والوجاقلية ونصارى القبط والشوام، وفى سادس عشرينه نادوا الناس بالأمان وفتح الأسواق ليلا فى رمضان حكم المعتاد، وفية انتقل قائمقام من بيته المطل على بركة الفيل وهو بيت إبراهيم بيك الوالى، وسكن ببيت أيوب بيك الكبير، المطل على بركة الأزبكية، وكذلك من كان ساكناً منهم على بركة الفيل انتقلوا بأجمعهم إلى الأزبكية.

وفيه عرض حسن أغا محرم المحتسب لصارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لإثبات هلال رمضان فرسم له بذلك على العادة القديمة، فاحتفل لذلك المحتسب احتفالا زايدا وعمل وليمة عظيمة فى بيته أربعة أيام أولها السبت وآخرها الثلاثاء، دعى فى أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والأوجاقلية وغيرهم، وفى ثانى يوم التجار والأعيان، وكذلك ثالث يوم ورابع يوم عزم بعضا من أكابر الفرنسيس وأصاغرهم. وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة، وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم فشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قائمقام، وعلى أمير الحاج وصارى عسكر الفرنسيس بونابارته ثم رجع بعد الغروب إلى بيت القاضى ببين القصرين[1] فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعاء، ثم ركب من هناك بالموكب وأمامهم المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير، والمناداة بالصوم، وخلفه عدة خيالة من الفرنسيس بشعور مصنوعة على كوافى يلبسونها برؤوسهم وشعورها مرخية على أقفيتهم بشكل قبيح بشع مهول، وانقضى شهر شعبان

---

(١) فى الأصل بيت القاضى بين القصرين ولعل الصحيح ما أثبتناه.

وحوادثه فمنها : أن أهل مصر جروا على عادتهم فى بدعهم التى كانوا عليها ، وانكشوا(١) عن بعضها ، واحتشموها خوفا من الفرنسيس . فلما تدرجوا فيها وأطلق لهم الفرنسيس القيد ، ورخصوا لهم وسايروهم مشوا عليها ، واهتموا فى عمل موالد الأضرحة التى يرون فرضيتها ، وأنها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك وتقربهم إلى ربهم زلفى فى المسالك ، فرمحوا فى غفلاتهم مع ماهم فيه من الأسر ، وتعطل الأسباب ، ووقف الحال وكساد الصنايع ، وغُلُو البضايع وإنقطاع الأخبار ومنع الجلب برا وبحرا ، ووقوف الإنكليز وإستمرارهم بالبحر وشدة حجرهم على الصادر والوارد ، حتى غلت جميع الأصناف المجلوبة ، وانقطع أثر كثير منها بحيث لم يبق له وجود بمصر ، وبطل جملة من الصنايع ، وافتقر أهلها واحتاجوا إلى الصنايع بالحرف الدنية كالى السمك وبيع الفطر والأشربة المسكرة للعسكر وإحداث عدة قهاوى ، وطبخ الأطعمة والمأكولات فى الدكاكين ، وكان أكثر أهل الحرف التى بطلت عمل حمارا مكاريا ، حتى صارت الأزقة خصوصا من جهات العسكر مزدحمة بالحمير التى تكرى للتردد فى شوارع مصر ، فإن الفرنسيس بذلك عناية عظيمة ومغالاة فى الأجرة بحيث أن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أنه يجرى به مسرعا فى الشوارع ، وكذلك يجتمع الجماعة منهم ويركبون الحمير ويُكِدُّونها فى المشى والإسراع بهم فى الشوارع ، وهم يغنون ويضحكون ويصيحون ويتمسخرون ، كما أن لهم عناية أشد من ذلك فى بذل الأمور فى الخمور والتردد إلى حانات الراح ، والرغبة فى شراء الفواكه والبواطى والأقداح حتى قال صاحبنا(٢) المشار إليه سابقاً هذين البيتين عند توجههم للشام .

---

(١) فى الأصل وانكتروا عن بعضها

(٢) هو الشيخ حسن العطار وقد عرفنا به آنفاً

إن الفرنسيس قد ضاعت دراهمهم | فى مصرنا بين حمّار وخمّار
وعن قريب لهم فى الشام مهلكة | يضيع لهم فيها آجال أعمار

وقد تحقق ماتفاءل به عليهم من الهلاك والتردى فى حبالة كل مهلكة كما ستطلع على شرحه .

ومنها ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم الفرنسيس ، ومشيهم بالخيل وتلفظهم بفاحش القول ، واستذلالهم المسلمين ، وعدم إعتبارهم للدّين إلى غير ذلك ممّا لا يحيط به الحساب ، ولا يسطر فى كتاب ، كل ذلك جزاء ما كسبت أيديهم وما ربك بظلاّم للعبيد ، والحالُ الحالُ والمركوز فى الطبع مازال ، والبعض استهوته الشياطين ومرَقَ والعياذ بالله من خلل الدّين ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلىّ العظيم .

ومنها تواتر الأخبار من إبتداء شهر رجب بأن رجلا مغربيا عالمًا يقال له الشيخ الكيلانى كان مجاورا بمكة والمدينة والطايف ، فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز وأنهم وصلوا الديار المصرية انزعج أهل الحجاز لذلك ، وضجوا بالحرم وجرّدوا الكعبة ، وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين ، وقرأ بالحرم كتابا فى معنى ذلك مؤلفًا ، فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم ، واجتمع نحو ستمائة من المجاهدين ، وركبوا البحر إلى القصير مع ما انضم إليهم من أهل يَنْبُع ، فورد الخبر فى أواخره أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ممن كان خرج مع غُزّ مصر عند وقعة انبابه ، وركب(١) الغزُّ معهم أيضًا ، وحاربوا الفرنسيس ، فلم يثبت

(١) الأصل وركبوا الغز معهم وهو خطأ

الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد والمتجمعة من القرى ، وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقتلهم وذلك بناحية جرجا ، وهرب الغز والمماليك إلى ناحية إسنا ، وصحبتهم حسن بيك الجداوى ، وعثمان بيك حسن تابعه ، ووقع بين الحجازيين والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع ، ولم تقع نكاية فى العدو بل ينفصل الفريقان بدون طايل .

ومنها أن الفرنسيس عملوا كورنتلة بجزيرة بولاق فيقطعون بها القادمين من السفار أياماً معدودة كل جهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها ، ومنها أن السيد مصطفى الدمنهورى مرّ وهو راكب بغلته بخُط الموسكى ، فقابله خيال فرنساوى تلعب فرسه ، فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور ، وألقته من على ظهرها إلى الأرض ، وحكم حافر فرس الفرنساوى أذن المذكور ، فلم ينطق ، فرفعوه وهو ميت إلى رحمة الله تعالى .

شهر رمضان استهل بيوم الأربعاء ، كما ذكر ، فيه أخذ كبير الفرنسيس فى الاهتمام بالسفر إلى جهة الشام ، وجهزوا طلباً كثيراً ، وصاروا فى كل يوم تخرج طائفة بعد طائفة ، وفى يوم السبت عمل عسكر ديواناً ، وأحضر المشايخ والأُجاقلية وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر ، وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد وأجلَوْا باقيهم إلى أقصى الصعيد ، وأنهم متوجهون إلى الفرقة الأخرى بناحية غزة ، فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ، ومشى القوافل والتجارات براً وبحراً ، لعمار القطر وصلاح الأحوال ، وأننا نغيب عنكم شهراً ، ثم نعود وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرايع وغير ذلك ، فعليكم ضبط[1] البلد والرعية فى مدة غيابنا ، ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات كل كبير يضبط طائفته ،

---

(١) فى الأصل ضبط

خوفاً من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر ، فالتزموا له بذلك ، وكتبوا أوراقاً مبصومة على العادة فى معنى ذلك ، ولصقوها بالطرق .

وفى ذلك اليوم خرج القاضى ومصطفى بيك كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر إلى جهة العادلية ، وخرج أيضا عدة كبيرة من عسكرهم ، ومعهم أحمال كثيرة حتى الأسرة والحصر والفرش ، وعدة مواهى ومحفات النساء والجوارى البيض والسود والحبوش[1] الذين أخذوهم[2] من بيوت الأمراء وتزيا أكثرهن بزى النساء الأفرنجيات وغير ذلك ، وفى يوم الأحد خامسه ركب صارى عسكر الفرنسيس وخرج أيضاً إلى العادلية ، وذلك فى الساعة الرابعة ، والطالع الحَمَل ، وفيه القمر فى تربيع زُحَل ، وصاحبه فى الثانى ، وأبقى فى مصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول ، وقائمقام وبوسليك وصارى عسكر دزه بجملة من العسكر فى الصعيد ، وكذلك صوارى عسكر الأقاليم ، كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات ، وأخذ معه المدبرين وأصحاب المشورة والتراجين وأرباب الصنايع منهم كالحدادين والنجارين ومهندسى[3] الحروب وكبيرهم أبو خشبة ، وأبقى أيضاً بعض أكابرهم بمصر ، ثم تراسل المختلفون فى الخروج كل يوم تخرج منهم جماعة ، وفى يوم الثلاثاء سابعه انتدب للنميمة ثلاثة من النصارى الشوام ، وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس تاسعه ، فأرسل قائمقام خلف المهدى والأغا فأحضروهم ، وذكر لهم ذلك ، فقالوا لهم : هذا كذب لا أصل له وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين ، ففحص عن اختلق ذلك فوجدوهم ثلاثة من النصارى الشوام ، فقبضوا عليهم

---

(١) فى الأصل والحبوش ولعل الصواب ما أثبتناه ، أى البنات الحبشيات

(٢) هكذا فى الأصل والصواب اللائى أخذوهن ...... وتزيا أكثرهن

(٣) فى الأصل ومهندسين الحروب

وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة ما نقلوه ، فأبقاهم فى الاعتقال .
ثم إن النصارى الشوام رجعوا إلى عاداتهم فى لبس العمايم السود والزرق ، وتركوا لبس العمايم البيض والشالات الكشمير الملونة ، والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك ، ونبهوا أيضاً بالمناداة فى أوائل رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولا ، لا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ولا يشربون الدخان ولا شيئا من ذلك بالمرة ، منهم كل ذلك استجلابا لخواطر الرعية حتى أن بعض الفقهاء مر على بعض النصارى وهو يشرب الدخان فنهره[1] فرد عليه رداً شنيعا ، فنزل ذلك المتعمم وضرب النصرانى ، واجتمع عليه الناس ، وحضر التلق المحافظ لتلك الجهة ، فرفعهما إلى قائمقام فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك ، فأخبروه أن من عادتهم القديمة إذا استهل رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الأسواق ولا بمرأى من المسلمين أبدا ، فضرب النصرانى ، وترك المتعمم لسبيله .

وفى تاسع عشر أحضر[2] أغاة الانكشارية رجلا إلى سوق الأشرفية وضرب عنقه ، قيل إنه سارق .

وفى رابع عشرينه أحضروا مراد أغا تابع سليمان بيك الأغا من قبلى ومعه آخر من الأجناد فأطلعوهم إلى القلعة ، قيل ضربوهم بالبندق وقتلوا .

وفى خامس عشرينه ورد الخبر بأن الفرنساوى ملكت قلعة العريش ، وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش ، وأسروا عدة من المماليك ، وفى غد يعملون شنك ويضربون[3] مدافع ،

---

(١) فى الأصل فانهره وهو تحريف .

(٢) فى الأصل حضر وهو تحريف .

(٣) فى الأصل يعملوا ، ويضربوا وهو خطأ نحوى .

فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا ، فلما أصبح يوم الأحد حضر المماليك المذكورة ، وهم ثمانية عشر مملوكاً وأربعة من الكشاف ، وهم راكبون الحمير ، ومتقلدون بأسلحتهم ، ومعهم نحو مائة من عسكر الفرنسيس ، فحزن المسلمون لذلك ، وانقبضت نفوسهم وصاروا بين مصدِّق ومكذب ، وخرج بعض الناس فشاهدهم[1] ، ولما وصلوا إلى خارج مصر حيث الجامع الظاهرى ، خرج اللعين برطلمين وكذلك الخاسر الأغا كل بطائفته لانتظارهم ، ومعهم طبول وبيارق ، فمشوا معهم إلى الأزبكية من الطريق التي استحدثوها ، ودخلوا بهم إلى بيت قائمقام فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم ، فذهبوا إلى بيوتهم ، وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بيك الأشقر وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار ، وكاشفان آخران وهم يوسف كاشف الرومى ، واسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور .

وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وأرنؤوط ، فحضر إليهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى آخر شعبان ، وأحاطوا بالقلعة ، فحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ، ثم حضر إليهم كبير الفرنسيس بجموعه بعد أيام وألحوا فى حصارهم ، فأرسل من بالعريش إلى غزة فطلبوا نجدة ، فأرسلوا إليهم نحو سبعمائة وعلى رأسهم[2] قاسم بيك أمير[3] البحرين فلم يتمكنوا من الوصول إلى القلعة لتحلق الفرنسيس بها وإحاطتهم عليها ، فنزلوا قريباً من القلعة ، فكبسهم عسكر الفرنسيس بالليل ، فاستشهد قاسم بيك وغيره وانهزم الباقون ، ولم يزل أهل القلعة يحاربون وينالون من عدوهم ما ينالون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة ، فطلبوا عند ذلك

(١) الصواب فشاهدوهم .

(٢) فى الأصل : وعليهم رأس .

(٣) فى الأصل : أمين البحرين .

الأمان فأمنوهم ، ومن القلعة أنزلوهم ، وذلك بعد أربعة عشر يوماً ، فلما نزلوا على أمانهم ، أرسلوهم لمصر مع الوصية بهم ، وتخلية سبيلهم ، وهؤلاء هم الجماعة القادمون ، وأما العسكر الذين كانوا معهم فبعضهم انضاف إليهم وأعطوهم جامكية وعلوفة ، وأجلسوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس ، والبعض لم يرض بذلك ، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم إلى حال سبيلهم ، وذهب الفرنسيس إلى ناحية غزة ، وفي ذلك اليوم بعد الظهر عملوا الشنك الموعود به ، وضربوا عدة مدافع من القلعة والأزبكية فعظم الحدس[1] وتزايد الوسواس[2] وأظهر النصارى الفرح والسرور في الأسواق والدور ، وأولموا في بيوتهم الولايم ، وغيروا الملابس والعمايم ، وتجمعوا للهو والخلاعة وزادوا في الشناعة .

وفي يوم الأربعاء توفي كاشف أحمد بتهمه فجاءة ، وفي عصرية ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيس نحو خمسة وعشرين وهم راكبون الهجن وعلى رؤوسهم عمايم بيض ولابسون برانس[3] بيض على أكتافهم ، فذهبوا إلى بيت قائمقام بالأزبكية ، فلما أصبح يوم الخميس عملوا الديوان وقرءوا المكاتبة التي حضرت مع الهجانة ، وحاصلها أن الفرنسيس أخذوا غزه وخان يونس ، وأخبروا بروايات مختلفة ، منها أنهم وجدوا إبراهيم بيك ومن معه ارتحلوا من هناك ، وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم إلى جبل نابلس ، وقيل بل تحاربوا معهم وانهزموا ، وفي ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة حضر عدة من الفرنسيس ومعهم واحد كبير ، وهم راكبون الخيول وعدة من المشاة وفيهم جماعة لابسون عمايم بيض ، وجماعة أيضاً ببرانيط ومعهم نفير ينفخون فيه ، وبيدهم بيارق ، وهي التي كانت

(١) في الأصل الهدس ، ولعلها الحدس .

(٢) في الأصل وترايدت .

(٣) في الأصل برانس .

على قلعة العريش ، إلى أن وصلوا الجامع الأزهر ، فاصطفوا رجالاً وركباناً ببابه الجامع ، وطلبوا الشيخ الشرقاوى فسلموه تلك البيارق وأمروه برفعها ونصبها[١] على منارات الجوامع وجامع الأزهر ، فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين ، عند كل هلال بيرقاً وعلى كل منارة بيرقا ثالثا[٢] وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسروراً ، وكان ذلك ليلة عيد الفطر ، فكان من أشنع ليالي الأعياد على المسلمين ، فلما كان عند الغروب ضربوا عدة مدافع أيضاً ، إعلاماً بالعيد ، وبعد العشاء الأخير طاف أصحاب الشرطة ونادوا بالأمان وبخروج[٣] الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين ، والاجتماع لصلاة العيد ، وأن يلبسوا أحسن ثيابهم ، ولما ملكوا العريش كتبوا أوراقاً وأرسلوها إلى البلاد ونصها : فرمان عام موجز من حضرة أمير الجيوش إلى أهالى بر الشام قاطبة : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، من طرف بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية إلى حضرة المفتيين والعلماء وكافة أهالى نواحى غزه والرمله ويافه، حفظهم الله تعالى ، بعد السلام نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور لكى نعلمكم أننا حضرنا فى هذا الطرف لقصدنا طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم وإلى أى سبب حضور عساكر الجزار وتعدوا على بلاد يافا والرمله وغزه الذى ما كانوا[٤] حكمه وإلى أى[٥] سبب أيضاً أرسل عساكره إلى قلعة العريش ؟ بذلك هجم على أراضى مصر فبلاشك كان مراده إجراء الحرب معانا فنحنا[٦] حضرنا لنحاربه ، فأما أنتم يا أهالى الأطراف المشار إليها لم نقصد لكم أذيه ، ولا أدنى ضرر ، فأنتم استمروا

(١) الأصل لرفعهم ونصبهم .
(٢) فى الأصل ثالث .
(٣) فى الأصل ويخرج ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٤) كذا بالأصل وهو خطأ لغة صحته التى ما كانت فى حكمه .
(٥) يريد لأى سبب .
(٦) يريد معنا فنحن .

فى محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين ، وأخبروا من كان خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه ، ومن قِبَلنا عليكم الأمان ، ثم الأمان الكافى والحماية التامة ، ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم وما تملكه يدكم ، وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمهم[1] ووظائفهم على ما كانوا عليه ، وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معتزا ومعتبرا ، والجوامع عامرة بالصلوات وزيارات المؤمنين ، إذ أن كل خير يأتى من الله سبحانه وتعالى ، وهو يعطى النصر والظفر لمن يشاء ، ولا يخفاكم أن جميع ما تتواتر به الناس ضدنا فيغدو[2] باطلا ولا تفع لهم به ، لأن كل ما نضع به يدنا لابد عن تمامه بالخير ، والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح ، والذى يتظاهر بالعناد يَهْلك ، ومن كل ماحصل تفهمون جيداً أننا نقهر أعداءنا ونعضد من يحبنا ، وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والإشفاق على الفقراء والمساكين .

ولما أخذوا غزة أرسلوا طوماراً بصورة الواقعة ، وبصموه نسخاً وقرىء بالديوان ، ولصقوا تلك النسخ بالأسواق ونصها : بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلاّ على الظالمين ، نخبر أهل مصر وأقاليمها أنه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال اسكندر برتيه خطاباً إلى حضرة صارى عسكر دوجاء وكيل أمير الجيوش بمصر يخبره فيه بأن العسكر الفرنساوية بآتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان فى خان يونس ، وفى فجر تلك الليلة توجهوا سائرين لناحية غزة ، فكشفوا قبيل الظهر بساحة عسكر المماليك وعسكر الجزار جالسين تجاه غزة ، فتوجه إليهم الجنرال مراد ومع عساكر الفرنساوية من خيالة ومشاة مراده اغتيال عسكر المماليك وعسكر الجزار ، فلما انتبهوا له فروا هاربين ووقع

---

(١) يريد خدمتهم .

(٢) الصحيح يغدو من غير فاء .

بينه وبين أطراف عساكرهم بعض مضاربة يسيرة لم ينجرح فيها إلا شخصان من الفرنساوية ومات عسكري واحد ، ومات من عسكر المماليك والجزار ناس قلائل ، وحين تشاغل صارى عسكر مراد بالمضاربة والمقاتلة دخل حضرة الصارى عسكر كلهبر الذى كان حاكما بالإسكندرية ، وكان ساكنا بالأزبكية إلى بندر غزة وملكها من غير معارض ، ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخاير من بقسماط وشعير وأربعمائة قنطار بارود ، وإثنى عشر مدفعاً وحاصلا كبيرا ملآناً بالخيام الكثيرة وجللا وبنبات مهيآت محضرات كصنعة الإفرنج ، هذا ما وقع لملكهم بغزة ، وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقاً فاستقيموا عباد الله وأرضوا بقضاء الله وتأربوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم والسلام ختام .

وانقضى شهر رمضان ووقع قبل ورود رمضان هذه الأخبار المؤلمة لمصر من السكون والطمأنينة ، بسبب سفرهم وخلو الطرقات منهم وعدم مرور المتخلفين منهم إلا فى النادر ، واختفائهم بالليل جملة كافية ، وانفتاح الأسواق والدكاكين والذهاب والمجىء ليلا ، وزيارة الإخوان والمشى على العادة بالفوانيس ، ودونها ، واجتماع الناس للسّمر فى البيوت والقهاوى ووقود المساجد ، وصلاة التراويح ، وطواف المسحرين ، والتسّلى بالرواية والنقول وترجى المأمول ، وانحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار .

شهر شوال استهل بيوم الجمعة ، وفى صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشنك العيد ، واجتمع الناس لصلاة العيد فى المساجد والأزهر ، واتفق أن إمام الجامع الأزهر نسى قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية ، فلما سلم أعاد الصلاة بعد ما شنع عليه الجماعة ، وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور ، فانتبذ بعض الحرافيش نواحى تربة باب النّصر ، وأسرع فى مشيه وهو يقول نزلت عليكم العرب ياناس ، فهاجت

الناس وانزعجت النساء وربحت الجيعية والحرافيش وخطفوا ثياب النساء ، وأزرهن ، وما صادفوه من عمائم وغير ذلك ، واتصل ذلك بتربة الجاورين وباب الوزير والقرافة حتى أن بعض النساء ماتت تحت الأرجل ، ولم يكن لهذا الكلام صحة ، وإنما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم بذلك ، وفيه ركب أكابر الفرنسيس وداروا على أكابر البلد وهنأوهم بالعيد لجاملهم[(١)] الناس بالمداراة ، وفى أوائله وردت الأخبار أن الغز القبالى تفرقوا من بعضهم فذهب مراد بيك وآخرون إلى نواحى ابريم ، ومنهم من ذهب لناحية أصوان والألفى عدّى بجماعته إلى البر الشرقى ، وفى خامسه حضر ابن الدواخلى من ناحية القرين متمرضاً ، وكان بصحبة الصاوى والعريشى متخلفين بالقرين ، وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية أرسل إلى كتخدا الباشا والقاضى والجماعة الذين بصحبتهم يأمرهم بالحضور إلى الصالحية ، لأنهم كانوا يتأخرون عنه مرحلة ، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب فى الطريق ، فخافوا من المرور فذهبوا إلى القرين ، فأقاموا هناك ، وأخذ عسكر الفرنسيس جمالهم فأقاموا هناك بمكانهم ، فتعلق هؤلاء الثلاثة وخافوا سوء العاقبة ، ففارقوهم وذهبوا القرين ، وتخلف عنهم الفيومى ، فأقام مع كتخداء الباشا والقاضى ، فحصل للشيخ محمد الدواخلى توعك فحضر لمصر وبقى رفيقاه فى حيرة .

وفى سابعه أحضر الأغا رجلا ورمى رقبته عند باب زويلة وشنق امرأة على شباك السبيل تجاه الباب ، والسبب فى ذلك أن الفرنساوى حاكم خط الخليفة وجهة الركبية ويسمى دلوى أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالى ، فاجتمعوا وذهبوا إلى كبير الفرنسيس الذى يقال له شيخ البلد

---

(١) فى الأصل جاملوهم الناس .

وشكوا إليه ، وكان الأمير زين الفقار[1] حاضراً ، وهو يسكن تلك الجهة فساعدهم وعرف شيخ البلد عن شكواهم ، فأرسل شيخ البلد إلى دلوى وانتهره وأمره برد ما أخذ فأخبره أتباعه أن زين الفقار هو الذى عضدهم وأنهى شكواهم إلى كبيرهم ، فقام دلوي المذكور ودخل على زين الفقار فى بيته وسبه وشتمه بلغته وفزع عليه ليضربه ، فلما خرج من عنده وذهب إلى كبيرهم وأخبره بفعل دلوى معه ، فأمر بإحضاره وحبسه بالقلعة ، ثم أخبر شيخ البلد بعض الناس أنه الذى وقع من دلوى من تعرضه لبياعى[2] الغلة إنما هو بإغراء خادمه ، وعرف كبيرهم أن خادمه المذكور مولع بامرأة رقاصة من الرميلة تأتيه بأشكالها ومن على طريقتها ، ويجتمع هو وأضرابه ، وترقص تلك المرأة له فى القهوة التى يخطهم ليلا ونهاراً وتبيت معهم فى البيت ، ويصبحون فى أرغد عيش ، فلما حبس أميرهم اختفوا ، فدلوا على الرجل والمرأة ، فقبضوا عليهم وفعلوا بهم ماذكر ، ولا بأس بما حصل .

وفى ثامنة يوم الجمعة نودي فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قراميدان والتنبيه باجتماع الأوجاقات وأرباب الأشاير وخلافهم على العادة فى عمل الموكب ، فلما أصبح يوم السبت اجتمع[3] الناس بالأسواق وطريق المرور ، وجلسوا الفرجة فمروا بذلك وأمامها الوالى والمحتسب وعليهم القفاطين والبيلشانات وجميع الأشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ، ثم برطلين الكافر وكتخداه مستحفظان وأمامه نفر الأنكشارية من المسلمين نحو مائتين أو أكثر وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع ، وهو لابس فروة

---

(١) لعلها ذو الفقار .

(٢) فى الأصل لبياعين : الغلة .

(٣) فى الأصل اجتمعوا الناس .

عظيمة ، ثم مواكب القلقات ، ثم موكب ناظر الكسوة ، وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا ، وخلفه نوبة التركية ، فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب وأعجب العجايب ، لما اشتملت عليه من إختلاف الأشكال ، وتنوع الأمثال ، واجتماع الملل ، وإرتفاع السفل[١] وكثرة الحشرات ، وعجائب المخلوقات ، واجتماع الأضداد ، ومخالفة الوضع المعتاد . وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا المذكور . وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر ، وأخبروا أن الكفرة الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من صاري عسكرهم بالأخبار عما وقع ، فلما كان يوم الخميس واجتمع أرباب الديوان قرأ عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية ، وهى على لسان رؤساء الديوان إلى الكافة ، وذلك بإلزامهم وأمرهم بذلك ، وصورتها : بسم الله الرحمن الرحيم سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه مايريد ، سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ، والبطش[٢] الشديد هذه صورة تمليك سبحانه وتعالى جمهور الفرنسيس لبندر يافا من الأقطار الشامية ، نعرف أهل مصر وأقاليمها من سائر البرية أن العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة ثالث عشرين من شهر رمضان ووصلوا إلى الرملة فى الخامس والعشرين منه فى أمن واطمئنان ، فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هاربين بسرعة ، قائلين : الفرار الفرار ! ثم إن الفرنساوية [وجدوا][٣] فى الرملة ومدينة لِدّ مقداراً كثيراً من مخازن البقسماط والشعير ورأوا فيها ألف وخمسمائة

---

(١) جمع سافل سفلة وسفل بكسر السين فيهما وسكون الفاء .

(٢) لعلها ذو البطش .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

قوبة مجهزة ، عملها[١] الجزار ليسير بها إلى إقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ، ومراده يتوجه إليها بأشرار العربان من سفح الجبل ، ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل ، قاصدا سفك دماء الناس مثل عوايده الشامية ، وتجبره وظلمه مشهور لأنه تربية المماليك الظلمة المصرية ، ولم يعلم من سخافة عقله وسوء تدبيره أن الأمر لله ، كل شيء بقضائه وتدبيره .

وفى سادس عشرين شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية إلى بندر يافا من الأراضى الشامية وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية ، وأرسلوا إلى حاكمها وكيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل بهم وبعسكرهم الدمار ، فمن عدم رأيه وسوء تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جوابا[٢] ، وخالف قانون الحرب والصواب ، وفى آخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم[٣] مجتمعين ، وانقسموا على ثلاثة طوابير : الطابور الأول توجه على طريق عكة بعيداً عن يافا بأربع ساعات . وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور أمر حضرة صارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة ، لأنهم وجدوا سور[٤] يافا ملآن بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعساكر الجزار الغزيرة ، وفى تاسع عشرين الشهر لما قرب نحت[٥] الخندق إلى السور مقدار مائة وخمسين خطوة ، أمر حضرة صارى عسكر المشار إليه أن ينصب للدافع على المتاريس وأن يصنعوا أهوان القنبر بأحكام وتأسيس

(١) الأصل مجهزين عملهم .

(٢) الأصل جواب .

(٣) فى الأصل وصار .

(٤) فى الأصل لأن وجد وسود .

(٥) حكمة عامية بمعنى حفر .

وأمر بنصب مدافع أخر بجانب البحر لمنع الخارجين إليهم من مراكب المينا ، لأنه وجد فى الميناء بعض مراكب أعدها[1] عسكر الجزار للهروب ولا ينفع الهروب من المقدر المكتوب ، ولما رأت عساكر الجزار الكائنين بالقلعة المحاصرين انه عسكر الفرنساوى قلائل فى رأى العين للناظرين ، لمداراة الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس ، غرهم الطمع فخرجوا إليهم من القلعة مسرعين مهرولين وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية ، فهجم عليهم[2] الفرنسيس وقتلوا منهم جملة كثيرة فى تلك الوقعة ، وألزموهم وألجأوهم للدخول ثانيا فى القلعة .

وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند صارى عسكر شفقة قلبية ، وخاف أهل يافا من عسكره إذا دخلوا بالقهر والإكراه ، فأرسل إليهم مكتوبا مع رسول مضمونه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له بسم الله الرحمن الرحيم من حضرة صارى عسكر اسكندر برتية كتخدا عسكر الفرنساوى إلى حضرة حاكم يافا نخبركم أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابارته أمرنا نعرفك فى هذا الكتاب أنه سبب حضوره إلى هذا الطرف إخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلد، لأنه تعدى بإرسال عساكره إلى العريش ومرابطته فيها ، والحال إنها من إقليم مصر التى أنعم الله بها علينا فلا يناسبه الإقامة بالعريش ، لأنها ليست من أرضه فقد تعدى على ملك غيره ، ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته ، وربطناه بأنواع الحرب وآلات ومدافع[3] الكثيرة والكلل والقنابر فى مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم ، ونخبركم أن حضرة صارى عسكر المشار إليه لمزيد رحمته وشفقته خصوصا بالضعفاء من الرعية خاف عليكم من سطوة

---

(١) فى الأصل أعدوهم .

(٢) فى الأصل فهجموا عليهم الفرنسيس .

(٣) هكذا فى الأصل والصواب والآلات والمدافع الكثيرة .

عسكره المحاربين إذا دخلوا لكم بالقهر أهلكوكم أجمعين ، فلزمنا[١] أننا نرسل لكم هذا الخطاب أمانا كافياً لأهل البلد والأعراب ، ولأجل ذلك أخَّر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة ، إنى لكم لمن الناصحين ، وهذا آخر جواب الكتاب فجعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين القوانين الحربية والشريعة المطهرة المحمدية ، وحالاً فى الوقت والساعة هاج الصارى عسكر واشتد غضبه على الجماعة وأمر بابتداء ضرب المدافع والقنبر الموجب التدمير ، وبعد مدة زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس ، وفى وقت الظهر من هذا اليوم انحرق سور يافا وارتج له القوم[٢] ونقب من الجهة[٣] التى ضرب فيها المدافع من شدة النار ولا راد لقضاء الله ولا مدافع ، وفى الحال أمر حضرة صارى عسكر بالهجوم عليهم ، وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ودار السيف فى المحاربين ، واشتد بحر الحرب وهاج ، وحصل النهب فيها تلك الليلة ، وفى يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة صارى عسكر الكبير ، ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانوا فى يافا وأعطاهم الأمان ، وأمرهم برجوعهم إلى بلادهم مكرمين ، وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم إلى أوطانهم سالمين لأجل ما يعرفون مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته ، يعفو عند المقدرة[٤] ويصفح وقت المعذرة ، مع تمكنه ومزيد إتقانه وتحصنه ، وفى هذه الوقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق ، لما وقع منهم من الانحراف ، وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم إلا القليل ،

---

(١) هكذا بالأصل والصواب فألزمنا .

(٢) فى الأصل وارتجوا له القوم .

(٣) فى الأصل ونقب من جهة التى .

(٤) فى الأصل يعفوا عن المقدرة .

والمجروحون(١) منهم ليسوا بكثير ، وسبب ذلك سلوكهم إلى القلعة من طريق أمين مخفى عن العيون ، وأخذوا ذخاير كثيرة وأموالاً غزيرة(٢) وأمسكوا(٣) المراكب التى فى الميناء واكتسبوا أمتعة غالية الثمن ، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفعا ، ولم يعلموا مع مقادير الله أن آلات الحرب لاتنفع ، فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله ، ولا تعترضوا على أحكام الله ، وعليكم بتقوى الله ، واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشآء والسلام عليكم ورحمة الله .

فلما تحقق الناس صحة هـذا الخبر نزل بهم من الـكتابة والهم والحزن ما لايوصف ، فإنهم كانوا يظنون بل يتيقنون استحالة ذلك خصوصاً فى المدة القليلة ، ولـكن المقضى كائن .

وفى يوم الجمعة خامس عشره شق جماعة من أتباع الشرطه فى الأسواق والحمامات والقهاوى ، ونبهوا على الناس بترك الفضول والـكلام والتلفظ فى حق الفرنسيس ، ويقولون لهم من كان يؤمن بالله ورسوله فليتنه ويترك الـكلام فى ذلك ، فإن ذلك مما يهيج العداوة ، وعرفوهم أنه إن بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تـكلم فى ذلك عوقب أو قتل ، فلم ينتهوا ، وربما قبضوا على البعض وعاقبوه بالضرب والتغريم ، وفى ذلك اليوم كان التحويل الربيعى وانتقال الشمس لبرج الحمل ، وهو أول شهر من شهورهم ، فعملوا ليلة السبت شنك وحراقة وصواريخ ، وتجمعوا بدار الخلاعة نساء ورجالا وترافصوا وتسابقوا وأوقدوا سرجاً وشموعاً وغير ذلك ، وأظهر النصارى القبطة والشوام الفرح والسرور .

وفى يوم السبت المذكور أرسلوا الأعلام والبيارق التى أحضروها من قلعة

---

(١) فى الأصل والمجروحين .

(٢) فى الأصل وأموال .

(٣) فى الأصل ومسكوا والفعل أمسك لامسك .

يافا وعدتها[١] ثلاثة عشر علماً ، وفيها من له طلايع فضة كبار إلى الجامع الأزهر ، وكانوا أنزلوا أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات وأرسلوا بدلها أعلام يافا ، وعملوا له موكباً بطائفة من العسكر ، يقدمهم طبلهم وخلفهم العين الأغا بجماعته وطائفته والمحتسب ومدبرى[٢] الديوان ومعهم طبل آخر يضربون عليه بإزعاج شديد ، ووراء ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطائفة الأولى ، وبعد هؤلاء عدة من العسكر على رؤوسهم عمايم بيض يحملون الأعلام والبيارق المذكورة ، وخلفهم جماعة خيالة من كبار العساكر وآخرون راكبون على حمير المكارية ، فلما وصلوا لباب جامع الأزهر ، رفعوا تلك الأعلام ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق المكتب بعضها[٣] على الباب الآخر بالقرب من حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية ، ولم يرفعوها[٤] على المنارات كما صنعوا فى أعلام العريش ، والسر فى ذلك التبكيت والإرغام ولله عاقبة الأمور .

وفى يوم الأحد سابع عشره رتبوا أوامر وكتبوها فى أوراق مبصومة ولصقوها بالأسواق أحدها بسبب مرض الطاعون ، وآخر بسبب الضيوف الأغراب[٥] ومضمون الأول بتقاسيمه ومقالاته خطاباً لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها أنكم تمتثلوا هذه الأوامر وتحافظوا عليها ولا تخالفوها وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الأليم والقصاص العظيم ، وهى المحافظة من تشويش الكبة ، وكل من ظننتم أو توهمتم وشككتم فيه ذلك فى محل من

(١) وفى الأصل وعدتهم .
(٢) وفى الأصل مدبرين .
(٣) فى الأصل وبعضهم .
(٤) وفى الأصل يرفعوهم .
(٥) الأصل ضيوف الأعراب .

المحلات أو بيت أو وكالة أو ربع يلزمكم ، ويتحتم عليكم أن تعملوا كورنتيلة ، ويجب قفل ذلك للسكان ، ويكون شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك أن يخبر حالاً قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط ، والقلق يخبر شيخ البلد قايمقام مصر ، ويكون ذلك فوراً ، وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها والأطباء إذا تحققوا وعملوا(١) ذلك المرض يتوجه كل طبيب إلى قايمقام ويخبره ليأمره بما هو مناسب الصيانة والحفظ من هذا التشويش ، وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ولم يخبر بهذا المرض يعاقب بما يراه قايمقام ، ويقاصص مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء التقصير ، وملزوم أيضاً من أصابه هذا التشويش أو حصل في بيته لغيره من عائلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلى آخر ، كان قصاصه الموت ، وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله ، وكل رئيس ملة فى خط إذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى خطه أو بمن مات بها أيضا حالاً فوريا كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصه الموت ، والمغسل إن كان رجلا أو إمرأة ، إذا رأى الميت أنه مات بالكبة أو شك فى موته بها ولم يخبر قبل مضى أربعة وعشرين ساعة ، كان جزاؤه وقصاصه الموت ، وهذه الأوامر الضرورية تلزم أغاة الأنجكاريه وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية تنبيه الرعية واستيقاظهم لها فإنها أمور لعلها مخيفة(٢) ، وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قايمقام ، وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد والحذر من المخالفة والسلام .

ومضمون الثانى الخطاب السابق من صاري عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد رستين قايمقام يلزم المدبرين بالديوان أنهم يشهرون الأمر الذى صار ويتنبهون

(١) هكذا فى الأصل ولعلها وعلموا .
(٢) فى الأصل مخفية .

لها وينبهون عليها ويأمرون(١) كامل الرعية بالمحافظة عليها وكل من خالف يحصل له مزيد الإنتقام ، وهو أنه يتحتم ويلزم كل صاحب خمارة أو وكالة أوبيت الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلد أو إقليم يلزمه أن يعرف عنه حالاً حاكم البلد ولم(٢) يتأخر عن الاخبار الامدة أربعة وعشرين ساعة ، يعرفه عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب قدومه ومدة سفره ومن أى طائفة أو ضيفا(٣) أو تاجراً أو زائراً أو غريماً مخاصماً ، لابد لصاحب المكان من إيضاح ، والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة ، وإذا لم يقع تعريف عن كل ما ذكر فى شأن القادم بعد الأربعة وعشرين ساعة باظها راسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان متعدياً ومذنباً وخائنا وموالسا مع(٤) المماليك ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكايل [أن](٥) تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريال فرانسة فى المرة الأولى ، وأما فى المرة الثانية ، فإن الغرامة تضاعف ثلاث مرات ، ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس القاطنين للخمامير والبيوت والوكايل والسلام .

وفيه اجتمعوا بالديوان وتفاوضوا فى شأن مصطفى بيك كتخدا الباشا المولى أمير الحاج ، وهو أنه لما ارتحل مع كبير الفرنسيس وصحبته القاضى والمشايخ الذين عينوا للسفر ، والأوجقلية والتجار ، وافترق منهم عند بلبيس وتقدمهم هو إلى الصالحية ، ثم أنهم انتقلوا إلى القرين ، فحضر جماعة من العسكر المسافرين ، فاحتاجوا إلى الجمال ، فأخذوا جمالهم ، فلما وصل إلى قطيا ، أرسل اليهم يستدعيهم إلى الحضور

---

(١) فى الأصل يشهروا . . ويقنبهوا ... وينبهوا ويأمروا .
(٢) هكذا فى الأصل ولعلها ولا .
(٣) هكذا بالأصل والصواب سواء كان ضيفاً ... الخ .
(٤) الوالس : الخيانة (القاموس) ، وفى لغة العوام التستر .
(٥) زيادة يقتضيها السياق .

فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم ، وبلغهم أن الطريق مخوفة من العرب ، فلم يمكنهم اللحوق به ، فأقاموا بالقرين عدة أيام ، وأهمل أمرهم صارى عسكر ، ثم إن الصاوى والعريشى وابن الدواخلى وآخرين[1] خافوا عاقبة الأمر ففارقوهم وذهبوا إلى القرين ، واعتل ابن الدواخلى بالتشويش وحضر إلى مصر كما تقدم ذكر ذلك ، وانتقل مصطفى بيك المذكور والقاضى وصحبتهم الشيخ سليمان الفيومى وآخرون من التجار والأوجقلية إلى كفور نجم ، وأقاموا هناك أياماً ، واتفق أن الصاوى أرسل إلى داره مكتوباً وذكر فى ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة أنهم رأوا من كتخدا الباشا أموراً غير لائقة ، فلما حضر ذلك المكتوب طلبه جماعة الفرنسيس المقيمون بمصر وقرأوه وبحثوا عن معنى الأمور غير اللائقة[2] فأوّلها بعض المشايخ بأنه قصّر فى حقهم والاعتناء بشأنهم ، فسكتوا وأخذوا بالتفحص ، فظهر لهم أنه خامر عليهم ، واجتمع عليه الجبالى وبعض العرب العُصاة ، وأكرمهم وخلع[3] عليهم ، وانتقل بصحبتهم إلى منيت غمر وقدوس وبلاد الوقف ، وجعل يقبض منهم الأموال ، وحين كانوا على البحر مر بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق إلى الفرنسيس بدمياط ، فقاطعوا عليهم وأخذوا مامعهم قهراً ، وأحضروا المراكبية بالديوان ، فحكوا على ماوقع لهم معه ، فأثبتوا خيانة مصطفى بيك المذكور وعصيانه ، وأرسلوا هجاناً بإعلام صارى عسكرهم بذلك ، فرجع إليهم بالجواب بأن يرسلوا إليه عسكراً ويقبضوا[4] عليه ، ويختموا على داره ويحبسوا جماعته .

وفى يوم الأحد رابع عشرينه عينوا عليه عسكراً ، وأرسلو إلى داره جماعة

---

(١) فى الأصل وآخرون .

(٢) فى الأصل غير لائقة .

(٣) فى الأصل وأخلع .

(٤) والأصل يقبضون ويختمون ... ويحبسون .

ومعهم وكلاء ، فقبضوا على كتخدائه الذى كان ناظراً على الكسوة وابن أخيه ومن معهم ، وأودعوهم السجن بالجيزة ، وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بالكر باشا بقائمة ، وأودعوا ذلك بمكان فى القلعة ، فوجدوا غالب أمتعة الباشا وبرقه وملابسه ، وعبّى الخيل والأمتعة وغيرها شيئاً كثيراً ، ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضاً ، فانقبض خواطر الناس لذلك ، فإنهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضى ويتوسلون بشفاعتهم عند الفرنسيس ، وكلمتهم عندهم متبولة ، وأوامرهم مسموعة ، ثم إنهم أرسلوا أماناً للمشايخ والأوجقلية والتجار بالحضور إلى مصر مكرمين ولا بأس عليهم . وفيه ورد الخبر بأن السيد عمر أفندى نقيب الأشراف حضر لدمياط وصحبته جماعة أفنديه وغيرهم ، وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا ، فلما حاصرهم الفرنسيس وملكوا القلعة والبلد وجرى ماسطر أحضروهم بين يدى كبير الفرنسيس فى أسوء حال ، فأمنهم وأنزلهم فى مركب وأرسلهم إلى دمياط من البحر .

وفى يوم الإثنين نادوا فى الأسواق على المماليك والغز والأجناد والأغراب بأن[1] يحضروا إلى بيت الوكيل ويأخذوا لهم أوراقاً بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم ، ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك يستاهل الذى يجرى عليه ، وسبب ذلك إشاعة دخول الكثير منهم إلى مصر خفية بصفة الفلاحين .

وفى يوم الثلاثاء نادوا فى الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج فى البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة ، وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك ، وكله كذب لا أصل له . وفيه حضر إمام كتخدا الباشا ومعه مكتوب منه مضمونه الثناء على الفرنسيس وشكر صنيعهم باعتنائهم وعملهم موكب الكسوة ، والدعاء لهم ، وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ، ويطلب منهم

---

(١) فى الأصل بأنهم .

بالاجازة بالحضور إلى مصر يسافر بصحبة الكسوة والحجاج فإن الوقت ضاق أوان السفر للحج ، وفى آخر المكتوب ، وإن بلغكم من المنافقين شىء فهو كذب وغيبة فلا تصدقوه ، فقرىء كتابه بالديوان فلما أفهموه الفرنسيس كذبوه ولم يصغوا إليه وقالوا إن خيانته ثبتت عندنا فلا ينفعه هذا الاعتذار ، ثم كتبوا له جوابا وأرسلوه صحبة إمامه مضمونه : إن كان صادقا فى مقالته فليذهب إلى عند صارى عسكر بالشام ، وأمهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب إليه ، وإن تأخر زيادة عليها كان كاذبا فى مقالته وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه .

وفيه وكتبوا أوراقا ونادوا بها فى الشوارع ، وهى يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحاج رفعوه عن سفره بالحج بسبب ماحصل منه وأن أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ولم ينسب لهم شىء فالحمد لله الذى برأ أهل مصر من هذه الفتنة ، وهم حاضرون سالمين غانمين لم عليهم[1] سوء ، ومن كان مراده الحج يجهز روحه ويسافر مع الصرة والكسوة فى البحر المراكب حاضرة والمعينين المحافظين[2] من أهل مصر صحبة الحجاج حاضرين يكون فى علمكم تكونوا[3] مطمئنين واتركوا كلام الحشاشين .

وفى يوم السبت غايته حضر المشايخ والأوجقليه والتجار إلا قاضى عسكر فإنه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا .

شهر ذى القعده استهل بيوم الأحد، فى سادسه يوم الجمعة حضرت هجانة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة مضمونها : أنهم أخذوا حيفا ، وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبا من سورها ، وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة

---

(١) هكذا فى الأصل وهو خطأ طبعاً والصحيح سالمون غانمون ليس .
(٢) هكذا بالأصل والصحيح والمعينون المحافظون .. حاضرون.
(٣) هكذا بالأصل والصحيح كونوا .

يملكونها ، وأنهم استعجلوا فى إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق فتكونوا(١) مطمئنين . وبعد سبعة أيام نحضر إلى عندكم والسلام . وقد كذبوا . وفيه حضرت مغاربة حجاج إلى بر الجيزة فتحدث الناس ، وكثر لغطهم وتقولوا بأنهم عشرون ألفا حضروا يستنقذوا(٢) مصر من الفرنسيس ، فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم فوجدوهم طائفة من فلاني(٣) وقري فاس مثل الفلاحين ، فأذنوا لهم فى تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم فحضر شخص منهم إلى الفرنسيس ، ووشى إليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم ، وأنهم اشتروا خيلا وسلاحاً وقصدهم إثارة فتنة ، فأرسل الفرنسيس إليهم جماعة ينظرون فى أمرهم ، فذهبوا إليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذى نقل عنهم ، فقالوا إنما جئنا بقصد الحج لاغيره ، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة ، فعملوا الديوان فى صبحها ، وأحضروه وكذلك أحضروا الرجل الذى وشى عليهم ، فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه ، فقال : إننا لم نأت إلا بقصد الحج . فقيل له : ولأى شيء تشترون الأسلحة والخيول فقال : نعم لازم لنا ذلك لأننا مسافرون فى البر ونحتاج إلى ذلك ضرورة فقيل له : إنه نقل عنكم إنكم تريدون محاربة الفرنساوية وتقولون الجهاد أفضل من الحج ، فقال : هذا الكلام لا أصل له ، فقيل له إن الناقل لذلك رجل منكم ، فقال : هذا رجل حرامى مسكناه بالسرقة ، وضربناه ، فحمله الحقد على ذلك ، وإن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ، ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة ، وليس معنا إلا نصف قنطار بارود ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة

---

(١) الصحيح فكونوا .
(٢) هكذا فى الأصل والصحيح كى يستنقذوا ، أو يستنقذون .
(٣) صحتها فولانى ، وهم جماعة من سكان شمال السودان الغربى .

حتى يعدى جماعته[1] ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح فأجابهم على ذلك، فحمدوه وأهدوا له هدية ، فلما كان يوم السبت خرجت عدة من العسكر إلى بولاق ومعهم مدفعان ليتقوا المغاربة حتى يعدوا البحر ويعشوا امامهم إلى العادلية ، فلما رأى الناس خروج العساكر والمدافع فزعوا فى المدينة وبولاق ورحوا كعادتهم وكرشاتهم وصياحهم وقالوا وأشاعوا : إن الفرنج خرجت لقتال المغاربة ، وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين ومثل ذلك فى تخيلاتهم فلم يعدى[2] المغاربة ذلك اليوم وعدوا فى ثانى يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيس إلى العادلية ، وهم يضربون طبول الحربية وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر .

وفى يوم الثلاثاء عاشره سافر عدة من عسكر الفرنسيس إلى عرب الجزيرة فإن مصطفى بيك كتخدا الباشا ذهب إليهم والتجألهم فبينوا عليهم ذلك العسكر ، وفى يوم الأربعاء أفرجوا عن جماعة من الغليونجية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة وفيهم المعلم نقولا النصرانى الأرمنى الذى كان رئيس مراكب مراد بيك الحربية التى أنشأها بالجيزة ، وأسكنوه فى بيت حسن كتخدا بباب الشعرية ، وفيه حضر ابن شيخ عرب الحويطات بأمان ، وكان عاصياً فأعطوه الأمان وخلدوا[3] عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسماط للعسكر بالشام .

وفى يوم السبت حادى عشرينه حضر مجاون من ناحية القبلية[4] وصحبته أموال البلاد والمغانم وبهايم وخلافها . وفيه عملوا كونتيلة عند العادلية لمن يأتى من بر الشام أو غيره وكتبوا أوراقاً بذلك . وفيه سافر عدة من العسكر إلى ناحية شرق إطفيح بسبب محمد بيك الألفى ، وفيه حضر الذين كانوا ذهبوا إلى

---

(١) فى الأصل حتى يعدوا جماعته .
(٢) فى الأصل فلم يعدوا المغاربة .
(٣) فى الأصل وأخلعوا .
(٤) أى من الوجه القبلى ، وصحتها الناحية القبلية .

عرب الجزيرة فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل ، وأما مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال . قيل إنه ذهب إلى الشام .

وفى خامس عشرينه وصلت مراسلة من المذكور خطابا للمشايخ مضمونها أن[1] يعرفوا أكابر الفرنسيس أنه متوجه إلى صارى عسكرهم بالشام وأنهم يفرجون عن قريبه وكتخدائه ويحتفظون على الأمتعه التى أخذوها ، فإنها من متعلقات الدولة ، فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة ، قالوا : لايمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب إلى صارى عسكر ويأتينا منه خطاب فى شأنه ، فإنه من الجائز أنه يكذب فى قوله ، وفيه ثبت أن محمد الألفى مر من خلف الجبل ، وذهب لعرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو مائة ، وقيل أكثر ، والتف عليه الكثير من الغزو المماليك والمشردين بتلك النواحى وقدم له العربان التقادم والكلف ، فأرسل له الفرنسيس عدة من العساكر .

وفى سابع عشرينه لخص الفرنسيس طومارا قرىء بالديون وطبع منه عدة نسخ ولصقت بالأسواق على العادة ، وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلانى والأشراف الذين معه وغير ذلك ، ونصها من محفل الديوان الكبير بمصر ، بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلاّ على الظالمين نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب من عكا من حضرة صارى عسكر الكبير خطابا إلى حضرة صارى عسكر الوكيل بثغر دمياط ، تاريخه تاسع ذى القعدة سنة تاريخ[2] يخبر فيه أننا أرسلنا لكم فقيرتين لدمياط ، الأولى أرسلناها فى خمسة وعشرين شوال ، والثانية فى ثمانية وعشرين منه ، أخبر ناكم فيهما عن مطلوبنا إرسال جانب كلل وذخاير إلى عسكرنا

(١) فى الأصل أنهم يعرفوا .
(٢) هكذا بالأصل والصحيح تاسع ذى القعدة سنة تاريخه .

المحافظين فى غزة ويافا لأجل زيادة المحافظة والصيانة ، وأما من قبل الأورضى فإن الكلل عندنا كثيرة والذخاير والمأكل والمشارب والخيرات غزيرة ، حتى أنها زادت عندنا الكلل بكثرة جمعناها مما يرميه الأعداء ، فكأن أعداءنا أعانونا، ونخبركم أننا عملنا لغم مقدار عمقه ثلاثون قدماً وسرنا به حتى قرَّبناه إلى السور الجوانى بمسافة نحو ثمانية عشر قدماً، وقد قربت عساكرنا من الجهة التى نحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور نحو ثمانية وأربعين[1] قدماً بمشيئة الله ، عند وصول كتابنا إليكم وقبل تمام قراءته عليكم نكونوا[2] ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين ، فإننا تهيأنا إلى دخولها، يأتيكم خبر ذلك بعدم[3] هذا الكتاب، وأما بقية أقاليم الشام، ومايلى عكا من البلاد فإنهم لنا طائعون وبالاعتناء وفريد المحبة فينا راغبون ، وأتونا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجاً أفواجاً بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم من القلب السليم ، وهذا من فضل الله علينا ومن شدة بغضهم للجزار باشا ، ونخبركم أيضا أن الجنرال يونوت إنتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خياله ومشاة، فقابلهم بثلاثمائة عسكرى مشاة من عساكرنا فكسروا التجريدة المذكورة ، وأوقع منهم نحو ستمائة واحد مابين مقتول ومجروح، وأخذ منهم خمسة بيارق ، وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب أن ثلاثمائة نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس ، فعلمنا أن النصرة من عند الله ، لا بالقلة ولا بالكثرة .

هذا آخر كتاب صارى عسكر دوجاء الوكيل بمصر المحروسة يخبرنا بصورة هذا المكتوب ويأمرنا أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب

---

(١) فى الأصل وأربعون .
(٢) هكذا فى الأصل والصحيح نكون ظافرين .
(٣) هكذا فى الأصل ولعلها (بعد) .

والإنصاف ، ويتركوا الكذب والخلاف ، فإن كلام المنافقين يوقع الضرر للناس المعتبرين ، فإن حضرة صارى عسكر (دوجا) الوكيل بلّغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لاأصل له من قبل الأشراف ، والحال أن الأشراف الذين تذكرونهم وتكذبون عليهم ، جاءت أخبارهم من حضرة صارى عسكر الصعيد غمزة يخبر الوكيل (دوجا) بأن الأشراف المذكورين الذين صحبة الكيلانى تمزقوا كل ممزق ، وانهزموا وتفرقوا ولم يكن الآن فى بلاد الصعيد شىء يخالف المراد ، سلم من الفتن والعناد ، فأنتم ياأهل مصر وياأهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف[1] ، وامسكوا دينكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار ، والأولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه ، وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضائه فإن العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب ، هذا شأن أهل الكمال يتركون القيل والقال ، ويشتغلون بإصلاح الأحوال ، ويرجعون إلى الكبير المتعال والسلام .

وفى هذا الشهر كتبوا أوراقاً بأوامر صورتها : من محفل الديوان العمومى إلى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة ، إننا قد تأملنا وميزنا الواسطة الأقرب والأمن لتلطيف أو لمنع الخطر الضرورى وهو تشويش الطاعون عدم المخالطة مع النساء المشهورات ، لأنهم الوسطة الأقرب للتشويش المذكور ، فلأجل ذلك ختمنا ورتبنا ومنعنا لمدة ثلاثين يوماً من تاريخه أعلاه لجميع الناس إن كان فرنساوى أومسلم أونصرانى أويهودى[2] من أى ملة كان ، كل من أدخل إلى مصر أوبولاق أو مصر القديمة من النساء المشهورات أن كان فى بيوت العساكر أوكان

(١) هكذا فى الأصل والصحيح التلف .
(٢) هكذا فى الأصل ، والصحيح فرنساوياً أو مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً .

من كان داخل المدينة فيكون قصاصه بالموت[1] كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعكس إن دخلوا من انفسهم ايضا يقاصوا[2] بالموت .

ومن حوادث هذا الشهر أنه حضر إلى القلزم مركبان إنكليز ، وقيل أربعة وقفت[3] قبالة السويس، وضربوا مدافع، ففر أناس من سكان السويس إلى مصر وأخبروا بذلك ، وأنهم صادفوا بعض داوات تحمل البن والتجارة فحجزوهم ومنعوهم من الدخول إلى السويس ، ومنها أن طائفة من عرب البحيرة وقيل يصحبهم طايفة عرب الغزو جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيس وعاثوا فى تلك النواحى والبلاد حتى وصلوا إلى رشيد[4] والرحمانية يقتلون النفس من الفرنسيس وغيرهم ، وينهبون البلاد والزروعات ، ومنها أن الكيلانى المذكور آنفا توفى إلى رحمة الله تعالى ، وتفرقت طائفته فى البلاد ، حتى أنهم حضر منهم جملة لمصر ، وكان أكثر من نجا مرّ عليهم أهل بلاد الصعيد ، فيوهمونهم معاونتهم ، وعند الحرب يتخلون عنهم . وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيس فيقبضون عليهم . ومنها أنه حضر لمصر الأكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا بالجهة القبلية ، وضربوا فى حال رجوعهم بنى عدى بلدة من بلاد الصعيد مشهورة ، وكان أهلها ممتنعين عليهم فى دفع المال المكلف ، ويرون فى أنفسهم الكثرة والمنعة والقوة ، فخرجوا عليهم وقاتلوهم فملك عليهم الفرنسيس تلاً عالياً وضربوا عليهم بالمدافع فأتلفوهم وأحرقوا جرونهم ثم كبسوا عليهم ، وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم ، وأخذوا أشياء كثيرة وأموالاً عظيمة وودايع

---

(١) هكذا فى الأصل والصحيح الموت .
(٢) الصحيح دخلن من أنفسهن يقاصصن .
(٣) فى الأصل وقفوا والضمير يعود على المراكب .
(٤) فى الأصل الرشيد وهى بغير أل .

جسيمة للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية لظن مقتهم ، وكذلك فعلوا بالميمون .

شهر ذى الحجة استهل بيوم الثلاثاء فى ثانيه خرج نحو ألف من العسكر الفرنسيس للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الألفى وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيس ، وذهبوا إلى جهة دمنهور وفعلوا بها كما فعلوا ببنى عدى من النَّهب والقتل ، وكان أشيع بمصر وتناقله الناس وثبت وجوده فى الخارج بعد ذلك أنه حضر إلى دمنهور رجل مغربى وصحبته نحو ثمانين نفراً فكاتب أهل البلاد ودعا الناس إلى الجهاد فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم وحضروا إلى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنسيس ، واستمر أياماً كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق ، ويغرب هو تارة ويشرق ، وفيه شاع أن الألفى حضر إلى بلاد الشرقية وقاتل من بها من الفرنسيس ثم ارتحل إلى الجزيرة.

وفى سابعه حضر جماعة من فرنسيس الشام إلى الكرنتيلة بالعادلية وفيهم مجاريح وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمدباشا بعكا وأن مهندس حروبهم المعروف بأبى خشبة عند العامة واسمه كفرلى كان هلك[(1)] وحزنوا لموته لأنه من دهاتهم وشياطينهم ، وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكائد القتال وإقدام عند المصاف مع ماينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها وكيفية أخذا القلاع ومحاصرتها .

وفى يوم الأربعاء كان عيد النحر ، وكان حقه يوم الخميس ، وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة إعلاماً بالعيد، وكذلك عند الشروق، ولم يقطع

---

(١) فى الأصل العبارة مضطربة ، وصحتها واسمه كفرلى كان هلك وحزنوا لموته لأنه . . الخ .

فى ذلك العيد أُضحيةً على العادة لعدم لانعام وكونها محجوزة بالكرنتيلة ، والناس فى حزن وغم .

ومن الحوادث فى ذلك اليوم أن رجلا روميًّا من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن فى طبقة بوكالة زين الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع إلى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلداً بسلاح ومتزى بمثل ملابس الغليونجية فقال: له من أين لك هذا اللباس ؟فقال. من عند جارنا فلان العسكرى ، فأمره بنزع ذلك، فلم يستمع له، ولم ينزعها، فشتمه ولطمه على وجهه ،وخرج من الطبقة ، وحدثته نفسه بقتل سيده ، ورجع يريد ذلك، فوجد عندسيده ضيفاً فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف ، فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينه الغدر ، فلما قام ذلك الضيف قام معه ، وخرج وأغلق الباب على الغلام ، فصعد إلى السطح وتسلق إلى سطح آخر ، ثم تدلى بحبل إلى أسفل الخان وخرج إلى السوق وسيفه مسلول بيده ، ويقول: الجهاد يامسلمين أذبحوا الفرنسيس ونحو ذلك من الكلام ، ومر إلى جهة الغورية فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيس فقتل منهم شخصاً وهرب الأثنان ، ورجع على أثره والناس يعدون خلفه من بُعد إلى أن وصل إلى درب بالجمالية غير نافذ ، فدخله وعبر إلى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها ، والفرنسيس تجمّع منهم طائفة وظنوا ظناً آخر ،وبادروا إلى القلاع وحضر منهم طائفة مع القلق يسألون عن ذلك المملوك،وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض من كان قائماً فى هذا اليوم حانوته ، ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن المملوك والناس يقولون ذهب من هنا، حتى وصلوا إلى ذلك الدرب فدخلوه ، فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلى ببئر فى تلك الدار، فدخلوا الدار وأخرجوه من البئر وأخذوه وسكنت الفتنة ،فسألوه عن أمره وما السبب فى فعله ذلك ،فقال إنه يوم الأضحية فأحببت أن أضحى على الفرنسيس وسألوه عن السلاح، فقال إنه سلاحى فخبسوه ، لينظروا فى أمره ، وطلبوا سيده

فوجدوه عند الشيخ المهدى، فأخذوا بعض جماعة من أهل الخان ثم أطلقوهم بدون ضرر، وأخذوا سيده من عند الشيخ المهدى و حبسوه، وحضر الأغا و برطلمين إلى الخان بعد العشا وطلبوا البواب والخانجى والجيران وصعدوا إلى الطباق وفتشوا على السلاح وقلعوا البلاط فلم يجدوا شيئاً وأرادوا فتح الحواصل ليتوصلوا لنهبها فمنعهم أحمد بن محمود محرم التاجر، فخرجوا وأخذوا معهم الخانجى وجيران الطبقه تتمة سبعة أنفار وحبسوهم أيضاً، وقتلوا المملوك فى ثانى يوم واستمر الجماعة فى الحبس إلى أن اطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثه .

وفى ذلك اليوم أيضاً مر نصرانى من الشوام على المشهد الحسينى وهو راكب على حمار، فرآه ترجمان قلق الخطة ويسمى السيد عبد الله فأمره بالنزول إجلالاً للمشهد على العادة، فامتنع فاشهره[1] وضربه وألقاه إلى الارض، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس وشكا إليهم من السيد عبدالله المذكور، فأحضروه وحبسوه، فشفع فيه مخدومه، فلم يطلقوه، وادعى النصرانى أنه كانَ بعيداً عن المشهد، وأحضر من شهد له بذلك وأنه ضاع له وقت ضربه إياه دراهم كانت فى جيبه، واستمر الترجمان محبوساً عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهى ستة آلاف[2] درهم، وفيه أرسل فرنسيس مصر إلى فرنسيس الشام ميرة على جمال العرب نحو ثمانمائة حمل، وذهب صحبتها برطلمين وطائفة من العسكر فأوصلوها إلى بلبيس ورجعوا بعد يومين . وفيه حضر إلى السويس تسع داوات بها بن وبهار وبضايع تجارة، وفيها لشريف مكة خمسمائة فرق، وكانت الإنكليز منعتهم عن

---

(١) يريد شهَّره به وأهانه .

(٢) فى الاصل ألف وهو خطأ .



داخل بيت الشيخ المهدى

الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقوها[1] بعد أن حددوا عليهم أياماً مسافة التنجيل[2] والشحنة وأخذوا منهم شعوراً[3] وسامح الفرنسيس بن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب إلى السويس بنحو عشرين يوماً وطبعوا صورتها فى أوراق ولصقوها بالأسواق وهى خطاب لبوسليك وصورته: من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة إلى عين أعيانه وعمدة إخوانه بوسليك مدبر أمور جمهور الفرنساوية ممهد بنيان السياسية بسداد همته الوفية ، وبعد فإنه وصل إلينا كتابك ،وفهمنا كامل ماحواه خطابك ،بما ذكرت من وصول قفجتنا وأنك ارسلت هجانا برفع العشور عن البن ، وبذلت الهمة فى شأن التصرف فى نفاذ بيعه وتأملنا فى كتابك فوجدنا من صدق مقاله ماأوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد عن تموه غياهب الشك فى كل المراد ، ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوحش وزوال المناكرة ، وشهلنا الآن إلى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندر جدة المعمورة فى هذا الأوان ، ولاأمكن لنا خروج هذا المقدار إلا بأشد علاج مع سلب اطمئنان التجار لأن كثرة أكاذيب الأخبار أوجبت لهم مزيد الإرتياب والأعذار ، بحيث مابيننا وبينكم إلا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الأزمان ،وأما نحن فقد جاءتنا منكم قبل هذه المكاتيب التى أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والأكاذيب لخاطرنا مستقر بالطمأنينة من قبلكم لماثبت عندنا من ألفاظ كتبكم والمطلوب فى حالة

(١) فى الأصل فأطلقوهم .

(٢) هكذا فى الأصل ولعلها التنجيز .

(٣) لعلها عشورا .

وصول مكتوبنا إليكم إرسال عسكر من لديكم إلى بندر السويس لأجل حفظ أموال الناس، ويصلون[1] بالأبنان إلى مصرويبيع[2] التجار ويزول وقف الأسباب والناس، وتهتمون فى رجوعهم كذلك قبل الأوان[3]، ليكون سببا فى كثرة وفود الأبنان وعند رجوعهم بعد البيع من مصر إلى السويس كذلك تصحبونهم[4] بالعسكر من طرفكم الوثيق، ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق، لأن هذه المرة ما أرسل إليكم هذا المندار إلا تجربة واستخبارا من أعيان التجار، وعند مشاهدة الإكرام والإحتفال بهم فى كل حال يرسلون إليكم نفائس أموالهم ويهرعون بالجلب لطرفكم ، ويزول الريب عن قلوبهم ، ونرجو الله بهمتنا تسليك الطرقات، وتنجح المطالب وتحصيل المهمات، بأحسن مما كانت من الأمان وأعظم مما سبق فى غابر الأزمان ، ويكثر بحول الله الوارد إليكم من الأسباب الحجازية، وكذلك لنا بن فى المراكب، فأموالنا منكم إلقاء النظر على خدامنا، وبذل الهمة على ما هو من طرفنا ، وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الإكرام فى كل مرام ، ولا يخفاك أنه ورد علينا قبل أيام[5] كتب من طرف أمير عسكر الفرنساوى بحبفا بونابارته ، فما كان لنا منها فتأملناه وصار إليه الجواب توصله إليه، وما كان منها معول فى إرساله علينا إلى الهند وابن حيدر ، وإمام مسقط[6] ووكيلكم الذى فى ألفافجميعها صورناها مع من نعتمده إلى أربابها، وإن شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب والسلام ، تحريرا فى ثمانية عشر شهر القعدة سنة ١٢١٣ .

---

(١) فى الأصل يصلوا .
(٢) لعلها ويبيع .
(٣) لعلها قبل الأوان .
(٤) فى الأصل تصحبوهم .
(٥) فى الأصل بأيام .
(٦) فى الأصل وأما مسكت .

وفى آخره قد وصل هذا الجواب لمصر فى ١٦ شهر ذى الحجة ، فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة إلى مصر ثمانية وعشرين يوماً ، وانقضى هذا الشهر ولم يأت خبر صحيح عن فرنسيس الشام وما جرى لهم أو عليهم إلا روايات لا يوثق بها ، ولا يصح بالتواتر منها إلا مكرّر هجوم الإفرنج على حصن عكا ، ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئاً إلا فعلوه ، ولم ينالوا غرضاً منها ، ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين ، وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث التى من أعظمها إمتناع سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة ، وذلك من أشنع الحوادث التى لم يتفق نظيرها فى دولة آل عثمان أبداً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

سنة ١٢١٤

ثم دخلت سنة أربعة عشر ومأتين وألف استهل المحرم بيوم الأربعاء ، فيه حضر جماعة من الفرنسيس إلى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم ، واختلفت الأخبار ، فلما طلع نهار الخميس عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبا مترجما ونصّه : صورة جواب من العرضى قدام عكا ٢٧ فى شهر فريال الموافق لحادى عشر شهر الحجة سنة ١٢١٣ ، بونابارته صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية إلى محفل ديوان مصر نخبركم عن سفره من برّ الشام إلى مصر ، فإنى بغاية العجلة بحضورى لطرفكم ، نسافر بعد ثلاثة أيام من تاريخه ، ونصل إلى عندكم بعد خمسة عشر يوماً ، وجايب معى حملة محابيس بكثرة وبيارق ، محقت سراية الجزار وسور عكا ، وبالقنبر هدمت البلد لم أبقيت فيها حجراً على حجر ، وجميع سكانها انهزموا من البلد فى طريق البحر ، الجزار مجروح ، ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر ،

وجرحه بليغ لخطر الموت ، من جملة ثلاثين مركب موسوقة[١] عساكر الذى جاءوا[٢] يساعدون الجزار ، ثلاثة غرقوا من كثرة مدافع مراكبنا ، وأخذنا منها أربعة موسوقة مدافع ، فالذى أخذ هذه الأربعة فرقاطه من (بتوعنا) والباقى تلفوا واتبهدلوا والغالب منها[٣] هدم وعدم وإنى بغاية الشوق لمشاهدتكم لأنى (بشوف)[٤] أنكم علتم غاية جهدكم من كل قلبكم ، لكن جملة فلاتية دائرين بالفتنة لأجل ما يحركون الشر فى وقت دخولى ، كل هذا يزول مثل ما يزول النجم عند شروق الشمس . ومنتوره مات من تشويش ، هذا الرجل صعب علينا جداً والسلام ، ومنتوره هذا ترجمانه وكان لعينا متحركا متملقا ويعرف اللغات التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى .

وفى يوم الثلاثاء سابعه حضر جماعة أيضا من العسكر بأثقالهم وحضرت مكاتبة من كبير الفرنسيس أنه وصل إلى الصالحية وأرسل (دوجا) الوكيل ، ونبه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك ، فلما كان ليلة الجمعة عاشره أرسلوا إلى المشايخ والأوجقلية وغيرهم فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ، ودقت الطبول وحضر الحكام والقاقات بمواكب وطبول وزمور ونوبات تركية وطبول شامية وملازمين وجاويشية وغير ذلك ، وحضر الوكيل وقائمقام وأكابر عساكرهم وركبوا جميعا بالترتيب من الأزبكية إلى أنه خرجوا إلى العادلية ، فقابلوا كبير الفرنسيس هناك ، وسلموا عليه ، ودخل معهم

---

(١) فى الاصل موثوقين وهو خطأ .

(٢) فى الأصل الذى أجوا وهو عامى .

(٣) العبارة فى أصلها ركيكة وقد وردت هكذا : وأخذنا منهم (أى المراكب) أربعة موثوقين مدافع فالذى أخذوا هذه الأربعة فرقاطة من بتوعنا . . . الخ وقد اضطررنا إلى تصحيحها حتى تفهم .

(٤) فى الأصل بشوق ولعلها بشوف على طريقة فى كتابة النص أى أرى .

العصر من باب النصر بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وعرباتهم ونسائهم وأطفالهم فى نحو خمس ساعات من النهار إلى أن وصل إلى داره بالأزبكية ، وانفض الجمع ، وضربوا عدة مدافع عند دخولهم للمدينة ، وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين وأصفرت أبدانهم ، وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب ، ولم يظفروا بمقصودهم من أحمد باشا ، ولله الحمد ، ورجعوا من غير طائل ، وأقاموا على حصار عكة أربعة وستين يوما ، حربا مستديمة[1] ليلا ونهارا ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا ، وقد نظم ذلك فى قصيدة الأديب اللبيب والفاضل النجيب السيد على الصيرفى الرشيدى نزيل عكا المحروسة ، فقال من بحر الخفيف .

كم لربى على الورى من أيادي	دون إحصا بالحـــــد والتعداد
كم أتتنا الطافة تتــــوالى	باهرات بنـــــورها الوقاد
ووقانا خطوب دهر تعـــــامى	وحمانا من الكروب الشداد
وكفانا شرور من آذانا	وأذاق العـــــدا شراب البعاد
حين جاءت جموع شرك فرنج	ثم جالوا فى مصر بالإفســـــاد
أخذوها والمســـــلمون نيام	ليس فيهم مستيقظ من رقاد
صار كلب اللئام يلعب فيهم	ما رأوا زاجراً لهم عن عناد
واستطالوا على الورى بفجور	وطغوا مثل ما طغت قوم عاد
عمه عمهم بطغيـــــان كفر	والعمى قدرَ ماهم فى المصـاد
ولهم زيَّنَ اللعينُ فعـــــالا	ركبوها حتى بغوا للنكاد

(١) فى الأصل حرباً مستديماً ، والحرب مؤنثة .

وأرام فبيحهم حسن قصد … نحو عكا ذات العمود البادي
فاستعدوا لها بآلات حرب … ورجال كثيرة كالجراد
خيموا حولها بجيش وجيش … ومتاريس ضاق منها الوادي
أشبهوا قوم صالح في فعال … ينحتون الجبال لاستعداد
في حصون من التراب ترامى … شيدوها بقوة وعماد
فكأن الجن والشياطين فيهم … يسرعون الأعمال عند التنادي
حاصروها وشددوا في حصار … واستمدوا بكل نوع مراد
وأتوها والجند فيها قليل … غير أن الكريم ذو إمداد
فاذكروا كم من فئة[1] واقرأوها … فهي نص لنا صريح المفاد
ثم دارت رجال[2] الحروب لدينا … بضروب مديمة الترداد
كل يوم وليلة في رعود … وبروق من غير ذلك[3] العادي
كم نهار أضحى كليل بهيم … من دخان الوغا غدا في ازدياد
كم نحرنا أيام نحر رقابا … من فرنج أتت بلا ميعاد
وسقينا من الدماء سيوفا … فلتروى من سيلها كل صادي
ومعالي بروجنا عرفات … كم وقفنا بها على المرصاد
جز فيها الجزار أعناق كفر … أحمد الفعل عارف بالسداد

(١) يشير إلى قوله تعالى: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.
(٢) لعلها دارت رحى الحروب.
(٣) في الأصل ذلك، وبه لا يستقيم الوزن فلعلها ذاك.

ذو إهتمام بحفظ دين وعرض ذو أياد سريعـــة المنادى
عنتر القـــوم يافتى لو رآه لتوارى كالذئب من أســـاد
مستمدا من الإله إنتصــارا مستديما على العلا باعتماد
قوّم الدين بعـدما أعوج منا وأقام المنقض من أوتاد
فهو ذاك المبعوث فى رأس قرن طبق ما أخـبر الشفيع المعاد
لو ترى صـــبره بمدة حصر قلت هذا أقوى من الأطواد
أحسن الصـــبر والثبات يقينا فهو ألف والغير كالآحاد
كم تفر الأبطال من كرب حرب وهو بالسيف سابق الأجناد
وينادى أيا رجال عليهـــم لا تخافوا من نار ذات النفاد
فيبيد الكفار قتـــلا وأسراً ويعـــودون بالردى كالرماد
خاب مســـعاهم ببر وبحر وشـــقاهم أتى بقطع المداد
فأقاموا من يوم ثالث عشر فدخلت من شوالنا بالنفاد
واستداموا السادس بعـد عشر من ختام الشهور بعد الحاد
عدية قد دام حرب وحصر ثم جاد الكريم رب العباد
وأتى النصر من قريب مجيب مسرعاً بالسرور والإسعاد
أعجب الناس من غرائب نصر لم يكن فى ظنونهـــم متباد
بينما ليـــلة الثلاثاء سهارى إذ أتانا أخبار ذى الإلحاد
هربوا خفية بليـــل وقاموا مسرعين الهروب بالأنكاد
بقـــلوب مملوءة كل رعب وعيون بيضا بغـــير سواد

وتخلوا عن السلاح وما يشـغلهم خيفة(١) من الإجهاد

والجاريح منهـم ثم قتلا | هم لقد فاقت جلة الأعداد

فعـدونا وقد رأينا عجاباً | من قبيح الأصـدار والإيراد

وانجلت ظلمة الشرور وجاءت | بهجة النور والهدى والرشاد

زهق الباطل الذى ارتكبوه | حين جاء الحق القوى باعتقاد

ويح أرض قد دُنّست بعلوج(٢) | من فرنسا وبين أهل العناد

لم ينالوا من المدينـة إلا | كسبهـم عارهم مَدَى الآباد

كفى الله المؤمنـين قتالاً | وهـدانا فنعم مولى هاد

برج عكا نص الحديث عليه | إن فيه ملاحماً باشـتداد

وهى كبرى ومن مناقب فرد(٣) | قائم بالجماعة الأفـراد

فحمدنا إلهنـا عز شأناً | وشـكرنا لفضله التمادى

وسـألناه أن يتمم نصراً | بفتوح لمصر ذات المهاد

يعز المسعود بالسعد فيها | ويعز الإسلام من ذا الجواد

نبى محا الضلال بحـق | وحمـاه الإله من حساد

فعليـه الصلاة ثم السلام | وعلى الآل سـادة أمجاد

سعدُ عكّا نادى لما أرخوها | فيك سر ونصرة للبـلاد

(١) فى الأصل خفية .

(٢) فى الأصل فدنست بلحوم ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) فى الأصل فرداً وهو خطأ .

قال صاحبنا المشار[1] إليه ، وكان هذا الناظم ممن ينظم بسليقته لا بمعرفه فى العروض لعلها دُرْبة[2] وقد استعمل فى بحره الذى نظم عليه من الممتنعات عند العروضيين ما كدر صفوه ، وقاد القوافى لتغيير مواضعها مع فريد الثقال والنبوة ، وها أنا منبه على ما ارتكبه من الممتنع عند العروضيين ، فمنها أنه استعمل التشعيث فى العروضة فى غير ما موضع من القصيدة وهذه العلة إنما تقع فى الضرب أو العروضة فى حالة التصريع ، ومنها أنه استعمل غير مرة مستفع لن المفروق الوتد السكائن فى هذا البحر استعمال مستفعلن المجموع الوتد ، فأدخل فيه زحاف الطى ، فنقل إلى مفتعلن ، والحال أن الذى من مواضع الطى هو مجموع الوتد لا معروفة لما يلزم على طى مفروق الوتد من دخول الزحاف فى الأوتاد ومواضع الزحاف هو الأسباب ليس إلا ، فهذا مما لم يقل به أحد من العروضيين ولم يقع فى شعر العرب ، ولا المولدين من المتقدمين والمتأخرين ، إلى وقتنا هذا ، إلا فى شعر غير عارف بالموازين ، وأما استعماله القوافى فى غير موضعها فهو جلى لكل فطن عنده أدنى إلمام باللغة والصرف ، ولو أردت انتقاده لطال الكلام وفوت علينا الغرض فى هذا المقام ، ثم هو قد مدح مخدومه أحمد باشا الجزار ، وهو بهذا المدح حقيق ، لكونه جاهد فى الدين حق الجهاد ، فأرغم العدو وأسَرَّ الصديق، ومن الواجب على والمتحتم لدى أن أمدح مولانا الوزير أبقاه الله شكراً على نعمة فتوح مصر أجراها الله على يديه واختاره لهذه المنقبة الشريفة الرفيعة الذكر فى الدنيا والمضاعفة الثواب فى الأخرى لديه ، واستنقاذنا من أسر أولئك الكفرة اللئام ، ورد شمل المسلمين بعد الصدع إلى الانتظام والالتئام ، وسأذكر ذلك فى موضعه بعد هذا الكتاب ، مجارياً لهذه القصيدة فى وزنها ورويها ، ليظهر الفرق بين أرباب الألباب .

---

(١) هو الشيخ حسن العطار .

(٢) فى الأصل ودربته .

وفيه قبضوا على إسماعيل القلق الخربطلى ، وهو المتولى كتخدا الغرب ، وكانه ساكناً بخط الجالية وأخذوا سلاحه وأصعدوه إلى القلعة وحبسوه ، فى (والسبب فى ذلك) أنه عمل فى تلك الليلة وليمة ودعا أصدقاءه وأحبابه وآلات اللهو والطرب ، وبات سهران ، طول الليل ، فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر ، فناموا إلى ضحوة النهار وتأخر عن حضور ملاقاة الفرنسيس ، فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر ، فنقموا عليه ذلك ، وحبسوه كما ذكر ، ولما وصل كبير الفرنسيس إلى داره بالأزبكية تجمع هناك أرباب الملاهى والبطالات وطوايف الرميلاتية ورعاع العالم من الحرافيش وأكلة الحشيش وملاعبى القرود[1] والحواة والنساء الرقاصات والخلابيص والمراجيح وأمثال ذلك ، كتجمعهم أيام العيد والمواسم ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام ، وفى كل يوم تعمل الفرنسيس شنك ومدافع وحراقه وصواريخ ونفوط ، ثم انصرفوا بعدما أعطاهم دراهم .

وفى يوم الأحـــــد عزلوا دستان قايمقام وتولى عوضه دوجا الذى كان وكيلا عن صارى عسكر ، وتهيأ المعزول للسفر إلى جهة بحرى وأصبح مسافراً وصحبته نحو ألف من العسكر ، وسافر أيضا منهم طائفة إلى البحيرة ، وفيه طلبوا من طوائف النصارى سلفة مقدار ماية وعشرين ألف ريال .

وفى خامس عشره أرسلوا إلى زوجات حسن بيك الجداوى وختموا على دورهن ومتاعهن وطالبوهن بالمال ، وذلك بسبب أن حسن بيك التف على مراد بيك ، وصار يقاتل الفرنسيس معه ، وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بيك وأمنته وأقرته على ما بيده من البلاد ، وأن لا يخالف ويقاتل مع الأخصام ، فلم يقبل منهم ذلك ، فلما وقع للنساء ذلك ذهبن إلى المهدى ووقعن

---

(١) فى الأصل ملاعبين القرود .

عليه ، فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف ريال فرانسه . وفى تاسع عشره هلك ميخائيل كحيل النصرانى الشامى ، وهو من رجال الديوان الخصوص فجأة وذلك من قهره وغمه . ومنشأ ذلك أنه وزع عليه فى سلفة الفرنسيس ستة آلاف ريال فرانسه ، وشرع فى تحصيلها ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام وأخذ ماله جميعه ، فورد عليه الخبر وهو جالس يتحدث مع إخوانه حصة من الليل ، فخرجت روحه فجأة ، وفيه كتبوا أوراقاً وطبعوها ولصقوها بالأسواق كعادتهم ، وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا فتمقوا[1] ذلك بترصيف بعض الفصحاء ، ونصها : من محفل الديوان الخصوص بمحروسة مصر خطاباً لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة ، النصيحة من الإيمان قال تعالى فى محكم القرآن « ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ[2] » وقال تعالى « ولا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ »[3] فعلى العاقل أن يتدبر الأمور قبل أن يقع فى المحذور ، نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكذابين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . وقد حضر إلى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابارته محب الملة المحمدية ، ونزل فى العسكر بالعادلية سليماً من العطب والأسقام .

ودخل لمصر من باب النصر يوم الجمعة فى موكب عظيم وشنك جليل فخيم . وصحبته العلماء والأوجاقات السلطانية وأرباب الأقلام الديوانية وأعيان التجار

---

(١) فى الأصل فتمتعوا .

(٢) الآية ١٤٢ سورة الأنعام .

(٣) الآية ١٥١ ، ١٥٢ من سورة الشعراء وفى الأصل ولا تطيعوا أمر المفسدين —

المصرية ، وكان يوماً عظيماً مشهوداً ، وخرجت أهل مصر لملاقاته ، فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته ، وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه ، شرح الله صدره للإسلام ، والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغزالهارية ، ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية وتدمير أهل الملة[1] الإسلامية ، وتعطيل أموال الديوانية لا يحبون راحة العبيد ، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم ، إنّ بَطْشَ رَبِّكَ لشديد ، وقد بلغنا أن الألفى توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى والعبايدة الفجرة المفسدين ، يسعون فى الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين ، إن ربك لبالمرصاد ، ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ، ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة ، والحال أنها ليست بحاضرة ، فلا أصل لهذا الخبر ، ولا صحة لهذا الأثر ، وإنما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر ، مثل ما كان يفعل إبراهيم بيك فى غزه ، حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان ، ويدعى أنها من طرف السلطان ، ويصدقه[2] أهل الأرياف خسفاء[3] العقول ، ولا يقرأون العواقب ، فيقعون فى المصائب ، وأهلُ الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفاً على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم ، فإن المجرم يؤخذ مع الجيران ، وقد غضب الله على الظلمة ، ونعوذ بالله من غضب الديّان ، فكان[4] أهل الصعيد أحسن عقلا من أهل بحرى ، بسبب هذا الرأى السديد ، ونخبركم أن أحمد باشا الجزّار سمّوه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ، ولا يفرق بين الأخيار والأشرار ، وقد جمع

---

(١) فى الأصل ملة الإسلامية

(٢) فى الأصل يصدقوه .

(٣) هكذا فى الأصل والصحيح سخفاء .

(٤) فى الأصل فكانوا أهل الصعيد .

الطموش الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة ، وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها ، وأحبوا اجتماعهم عليه لأخذ أموالها،وهتك حريمها، ولكن لم تساعده الأقدار، والله يفعل مايشاء ويختار، وقد كان أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ، ومراده يصل إلى قطيا ومطيا ، فتوجه حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية ، وكسر عسكر الجزار الذين كانوا فى العريش ، ونادوا الفرار ! الفرار ! بعد ما حصل بعسكرهم القتل والدمار ، وكانوا نحو ثلاثة آلاف ، وملك قلعة العريش ، وأخذ غزة ، وهرب من كان فيها وفروا، ولما دخل غزه ونادى فى رعيتها بالأمان ، وأمر بإقامة الشعائر الإسلامية ، وأكرم العلماء والتجار والأعيان ، ثم انتقل إلى الرملة ، أخذ ما فيها من بقسماط وأرز وشعير وقرب ، أكثر من ألفين قربة عظام كبار .كان جهزها الجزار للذهاب بها إلى مصر ثم توجه إلى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ثم أخذوها وأخذوا ما فيها من ذخائر الجزار ، ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه ، ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه ، فدوّر فيهم السيف من شدة غيظه وقوة سلطانه ، وقتل منهم نحو أربعة آلاف ويزيدون ، بعد ماهدم سورها وأكرم من كان فيها من أهل مصر وأطعمهم وكساهم وجهزهم فى المراكب لمصر ، وخفرهم[1] بعسكره خوفاً من العربان ، وأجزل عطاياهم ، وكان فى يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار ، هلكوا جميعاً، وبعضهم ما نجّاه إلا الفرار . ثم توجه من يافا إلى جبل نابلس ، فكسر من كان فيها من العساكر بمكان يقال له قاقوم وحرق خمسة بلاد من بلادهم ، وما قدر كان ، ثم خَرَّب[2] سور عكا وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة لم يبق فيها

(١) فى الأصل غفرهم .
(٢) فى الأصل أخرب .

حجر على حجر ، حتى أنه يقال كان هناك مدينة ، وقد كان بنى حصونها(١) وشيد بنياها فى نحو عشرين سنة ، وظلم فى بناها عباد الله ، وهكذا عاقبة بنيان الظالمين ، ولما توجه إليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة ، « فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَة » ؟ نزل عليهم كصاعقة من السماء ثم توجه راجعاً إلى مصر المحروسة لأجل شيئين: الأول أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر والوعد عند الحر دين، والسبب الثانى أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغزو والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان ، فلما حضر سكنت الفتنة ، وزالت الأشرار والفجرة من الرعية ، وحبه لمصر وأقليمها شيء عجيب ، ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها وزرعها بفكره وتدبيره المصيب ، ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة ، ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام وجملة مدافع وبيارق أغتنمها فى الحروب من الأعداء والأخصام ، فالويل كل الويل لمن عاداه ، والخير كل الخير لمن والاه ، فسلموا ياعباد الله وارضوا بتقدير الله ، وأمتثلوا لأحكام الله ، ولا تسعوا فى سفك دمائكم وهتك عيالكم ، ولا تَسَبَّبُوا فى نهب أموالكم ، ولا تسمعوا كلام الغز الهاربين الكاذبين ، ولا تقولوا إن فى الفتنة إعلاء لكلمة الدين ، حاشا الله لم يكن فيها إلا الخذلان وقتل الأنفس وذل أمة النبى عليه السلام ، والغز والعربان يطمعوكم ويغروكم(٢) لأجل أن يضروكم فينهبوكم ، وإذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس ، ولما حضر الصارى عسكر لمصر أخبر أهل الديوان من خاص وعام ، أنه يحب دين الإسلام ، ويعظم النبى

---

(١) فى الأصل حصادها ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) هكذا فى الأصل والصحيح يطمعونكم ويغرونكم .

عليه السلام ، ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان ، وأمر بإقامة شعائر المساجد الإسلامية، وأجرى خيرات الأوقاف السلطانية ، وأعطى عوايد الأوجقلية ، وسعى فى حصول أقوات الرعية ، فانظروا هذه الألطاف والمزية ببركة نبينا أشرف البرية ، وعرفنا أن مراده يبنى لنا مسجداً عظيما بمصر لا نظير له فى الأقطار ، وأنه يدخل فى دين النبى المختار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

وفى ثانى عشرينه أرسل كبير الفرنسيس جماعة من العسكر وقبضوا على مُلازاده ابن قاضى العسكر ، ونهبوا بعضا من ثيابه وكتبه وطلعوا به إلى القلعة ، وحبسوه فانزعج عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديداً ، وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان وحضر إليهم ورقة من الفرنسيس قرئت عليهم مضمونها أن صارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله ، وأنه وجه إليكم أن تقترعوا وتختاروا لكم شيخاً من العلماء يكون من أهلها[1] ومولود بها يتقلد القضاء ويقضى[2] بالأحكام الشرعية ، كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء للعلماء ، فأجاب الحاضرون بقولهم إننا جميعاً نتشفع ونترجى عنده فى العفو عن ابن القاضى فإنه إنسان غريب ، ومن أولاد الناس الصدور ، وإن كان والده وافق كتخدا الباشا فى فعله ، فولده مقيم تحت أمانكم والمرجو إطلاقه . وعوده إلى مكانه ، فإن والدته وجَدَّته وعياله فى وجد وحزن عظيم عليه ، وصارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة ، وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك وزاد فى القول بأن قال وأيضاً إنكم تقولون دائما أن الفرنساوية أحباب العثمنلية وهذا ابن القاضى من طرف العثمنلى فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم ، وخصوصاً

---

(١) فى الأصل من أهل .

(٢) فى الأصل ويقبض وهو تحريف .

عند العامة ، فأجاب الوكيل بعد ماترجم له الترجمان بقوله لابأس بالشفاعة ولكن بعد تنفيذ أمر صارى عسكر فى إختيار قاض خلافه ، وإلا تكونون مخالفين ويلحقكم الضرر بالمخالفة ، فامتثلوا وعملوا القرعة فطلعت [1] الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى ، ثم كتبوا عرضحالا بصورة المجلس والشفاعة وكتب عليه الحاضرون ، وذهب به الوكيل إلى كبيرهم وعرّفه بما حصل فتغير خاطره على الشيخ السادات ، وأمر باحضاره فى عصريتها فلما حضر لامه وعاتبه فتكلم بينهما الشيخ المهدى ووكيل الديوان الفرنساوى حتى سكن غيظه ، وأمره بالإنصراف إلى منزله بعد أن عُوّق حصةً من الليل ، فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية فى منزل دوجا قائمقام ، وركبوا صحبته إلى بيت صارىعسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشى ، فألبسه فروة مثمنة ، وركبوا إلى بيت القاضى بين القصرين ، وأوعدهم بالإفراج عن ابن القاضى بعد أربعة وعشرين ساعة ، وقد كان عياله انتقلوا إلى دار السيد أحمد المحروقى التاجر .

ولما كان فى ثانى يوم أفرجوا عنه ونزل إلى عياله وصحبته أرباب الديوان والأغا ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ويبطل القيل والقال ، وفيه كتبوا أوراقاً وبصموا منها نسخاً ولصقوها بالأسواق ، ونصّها جواب إلى محفل الديوان من حضرة صارى عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية محب أهل الملة المحمدية خطابا إلى السادات العلماء: أنه وصل لنا مكتوبكم من شأن القاضى ، نخبركم أن القاضى لم أعزله ، وإنما هو هرب من إقليم مصر وترك أهله وأولاده ، وخان محبتنا من المعروف والإحسان الذى عملناه معه ، وكنت استحسنت أن ابنه يكون

---

(١) فى الأصل فطلعت وهو تحريف .



الشيخ محمد المهـــدى

عوضاً عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ، ويحكم بداله ولم يكن إبنه قاضياً متولياً للأحكام على الدوام ، لأنه صغير السن ليس هو أهلاً للقضاء فعلمتم أن محل حكم الشريعة خالى الآن من قاضى[1] شرعى ، واعلموا أنى لا أحب مصر خالية من حاكم شرعى يحكم بين المؤمنين، فاستحسنت أنهم يجتمعوا[2] علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضياً شرعياً من علماء مصر وعقلائهم، لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين ، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتوه[3] جميعا أن يكون لابساً من عندى وجالساً من عندى[4] وجالساً فى المحكمة وهكذا كان فعل الخلفاء فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين ، وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى بالمحبة والإكرام لما حضر بى[5] وقابلنى ، ولم أزل لهذا الوقت أكرمه، ولم أحب أن يضره أحد حكم أمانتنا له ، ولما رفعناه إلى القلعة لم نريد[6] ضرره رفعناه مكرماً مثل ما يكون فى بيته بالراحة والإكرام ، وسبب مارفعناه إلى القلعة لسكون الفتن والإصلاح بين الناس . وبعد لبس القاضى الجديد وجلوسه فى محل الحكم مرادى أطلق ابن القاضى ، وأنزله من القلعة وأرد له كل تعلقاته ، وأطلق سبيله هو وعياله يتوجه حيث أرادوا باختيارهم ، لأنه فى أمانى وتحت حمايتى ، وأعرف أن أبوه[7] ما كان يكرهنى، ولكنه ذهب عقله وفسد رأيه ، وأنتم يا أهل

---

(١) هكذا فى الأصل والصحيح خال الآن من قاض .

(٢) هكذا فى الأصل والصحيح أن يجتمع علماء .

(٣) هكذا فى الأصل والصواب اخترتموه .

(٤) أى من قبله فهو الذى اعتمد تعيينه .

(٥) لعلها لما حضر لى .

(٦) الصحيح لم نرد .

(٧) الصحيح أن أباه .

الديوان تهدون الناس إلى الصواب والنور من جنابكم لأهل العقول ، وعرفوا أهل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثمنلى من أقاليم مصر . وبطلت أحكامها منها، وأخبروهم أن حكم العثمنلى أشد تعب[1] من حكم الملوك[2] وأكثر ظلماً والعاقل يعرف أن علماء مصر لهم عقل وتدبير وكفاية وأهلية الأحكام الشرعية، يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم فى سائر الأقاليم ، وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنافقين الخائفين أخرج من حقهم ، لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة لأجل ما أعاقبهم ، فإن سيفنا طويل ليس فيه ضعف ، ومرادى [أن][3] تعرفوا أهل مصر أن قصدى بكل قلب حصول الخير والسعادة لهم مثل ما هو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها ، كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلايق أجمعين بإذن رب العالمين والسلام ، انتهى .

قال صاحبنا المشار[4] إليه ، قول اللعين وعرفوا أهل مصر أنه انقضت دولة العثمنلى من مصر هذا من أطماع النفس فى ضروب فى مجال الآمال وتشبثها بأذيال الأمانى التى ضربت دون الوصول إليها أعناق الرجال، واسترسال لخبائث نفوسهم فى مراتع الغواية والضلال ، وفساد فكر عن طرق الرشد عقيم بمعارضة ظُلْمة الوهم وفساد الخيال ، لقد تبجح هذا اللعين الكافر وتفوه بما لا يصل إليه سائر الملوك الأول منهم والآخر ، ولقد كانت هذه اللفظة عليه وبالاً وخيبة أوجبت له من أقبح الشر وبالاً فإنه من حين دخول مصر . لم يتفوه بأمثالها ، ولا تمنيه نفسه بأن يكون

---

(١) الصحيح أشد تعباً .

(٢) لعلها المماليك .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) هو الشيخ حسن العطار .

حسن أبناء مصر ورجالها ، فلما انفسحت له المدة ، وخفت عنه الشدة ، وعدم المعارض ، وصار جواد فساده بأرض مصر راكضاً[1] ، أظهر العداوة للدولة العلية ، أبقاها الله بعد كتمانها ، وإظهار أنه ممن يحب تلك الدولة ويكون من أتباعها وأعوانها ، ثم لما طال أمده وأبى عليه طول الاكتتام عداوته وحسده ، استدرجته أماني نفسه ، فقال ما دونه حلوله برمسه . ومن خزيه ونكاله وتبين ضلاله ومحاله ، أنه بعد أن قال ما قيل . لم يلبث بمصر إلا قليلا[2] وذهب إلى حيث ألقت ، وقد كانت على جيشه وجنوده كلمة العذاب حقت ، فخلت منهم بعد ذلك الديار ، وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار .

وفى تلك الليلة قتلوا شخصين أحدهما على جاويش رئيس الريالة الذى كان بالاسكندرية عند حضور الفرنسيس ، والقبطان الثانى آخر ، فلم يزالا بمصر محبسونهما أياماً ثم يطلقونهما ، فحبسوهما آخرا فلم يطلقوهما[3] وقتلوهما رحمهما الله . وفى صبح ذلك اليوم قتلوا شخصين أيضاً من الأتراك بالرميلة . وفيه أفرجوا عن زوجات حسن بيك الجداوى .

وفى ثالث عشرينه جمعوا الأوجقلية وكتبوا أسماءهم . وفى سادس عشرينه قبضوا على ثلاثة أنفارا ، أحدهما يسمى حسن كاشف من أتباع أيوب بيك الكبير ، والآخر يسمى أبو كلس ، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلى يسمى حسين بيك المملوك الدالى إبراهيم ، فسجنوهم بالقلعة فتشفع الشيخ السادات فى حسين التاجر ، فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسى .

---

(١) فى الأصل راكس .

(٢) وفى الأصل إلا قليل .

(٣) فى الأصل فلم يطلقونهما .

شهر صفر الخير ١٢١٤ استهل بيوم الجمعة ، فيه أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا الباشا وكان محبوساً بالجيزة ، ثم نقل إلى القلعة مع كتخدا قريبه ؛ فأطلقوه وبقي الآخر . وفي يوم الأحد ثالثه حضر السيد عمر أفندي[1] نقيب الأشراف سابقاً من دمياط لمصر وكان مقيماً هناك من بعد وقعة يافا ، ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا إلى البحر ، وفيهم عثمان أفندي العباسي وحسن أفندي كاتب الشهر وأخوه قاسم أفندي وأحمد أفندي عرفة ويوسف أفندي وقاسم المصلي وغيرهم ، فمنهم من عوق بالسكر نتيلة ومنهم من حضر من البرخفية ، فخرج بعض الأعيان لملاقاة السيد عمر ، وركبوا معه بعد أن مكث هنيهة بزاوية على بيك التي بساحل بولاق حتى وصل لداره[2] وتوجه في صبح ثاني يوم مع المهدي ، وقابل كبير الفرنسيس فبش له، ووعده بخير ورد إليه بعض تعلقاته ، واستمر مقيماً بداره والناس تغدو وتروح إليه على العادة وفي رابعه حضر أيضاً حسن كتخدا الجربان بأمان ، وكان بصحبته عثمان بيك الشرقاوي ، وفيه أشيع أن مراد بيك ذهب إلى ناحية البحيرة فراراً من الفرنسيس الذين بالصعيد ، وفي خامسة قتلوا عبد الله أغا أمير يافا ، وكان أُخذ أسيراً وحبس ثم قتل ، وفيه قتل أيضاً يوسف جربجي أبو كلس ورفيقه حسن كاشف ، وفيه أحضروا أربعة عشر مملوكاً أسرى وأصعدوهم إلى القلعة ، قيل إنهم كانوا لاحقين بمراد بيك بالبحيرة فآووا إلى قبة يستظلون بها وتركوا خيولهم مع السياس ، فنزلت عليهم طائفة من العرب ، فأخذت الخيول ، فمروا مشاة فدل

---

(١) هو السيد عمر مكرم صاحب المواقف الوطنية المعروفة .

(٢) في الأصل حتى وصل إلى وصل لداره فصححنا العبارة .



مراد بك

الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم[1] ، وقيل إنهم آووا إلى بلدة وطلبوا منهم غرامة وصالحوهم ، فلم يرضوا بدون ما طلبوا ، فأوعدوهم [2] بالدفع من الغد ، وكانوا أكثر من ذلك ، وفيهم كاشف من جماعة الطنبرجي ، فذهب الفلاحون إلى الفرنسيس وأعلموهم بمكانهم فحضروا إليهم[3] ليلاً وقتلوا من قتلوه وأسروا الباقي ، وأما الكاشف فيسمى عثمان كاشف التجأ إلى كبير الفرنسيس فحماه ، وأخذه عنده ، وأحضروا الأسرى إلى مصر وعليهم ثياب زرق وزعابيط ، وعلى رءوسهم طواقي من لباد وغيرها وأصعدوهم إلى القلعة ، فلما كان ثاني ليلة قتلوا منهم عشرة . وفي تاسعة أحضروا أيضاً ستة أشخاص من المماليك وأصعدوهم إلى القلعة ، وفي ذلك اليوم قتلوا أيضاً منهم نحو العشرة ، واستمروا في كل يوم يقتلون أناساً من الأسرى والمحابيس .

وفي يوم الأحد عاشره ركب عصريته كبير الفرنسيس وعدى إلى الجيزة وتبعته العساكر ، ولم يعلم سبب ذلك ، ولما عدى إلى الجيزة ضرب العسكر نجع البطران ودهشور بسبب نزول مراد بيك عندهم .

وفيه ظهر أن مراد بيك رجع ثانياً إلى الصعيد وشاع الخبر أيضاً أن عثمان بيك الشرقاوي وسليمان أغا الوالي وآخرين[4] مروا من خلف الجبل ، وذهبوا إلى ناحية الشرق ، فخرج إليهم جماعة من العسكر وبرطلمين وبنى الحمار النصراني

(١) الصحيح أمسكوهم .
(٢) الصحيح وعدوهم فوعد بالخير وأوعد بالشر .
(٣) في الأصل فحضروهم إليهم .
(٤) في الأصل وآخرون .

الرومى . الذى كان فى أول أمره مستولياً على خمارات مصر[١] ، ثم صار عسكرياً وطائفة من نصارى الأروام ومعهم عدة من المسلمين المنضمة إلى برطلمين ونصارى الأروام المنضمة إلى يني ، فأدركوهم قريبا من بلبيس ، وأتوهم من خلاف الطريق المسلوكة ، فدهموهم على حين غفلة ، وكان عثمان بيك يغتسل ، فلما أحسوا بهم بادروا الفرار ، وركبوا الخيل وركب عثمان بيك بقميص واحد على جسده ، وطاقية على رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملتهم وقدور الطعام على النار ، ولم يمت منهم إلا مملوكين ، وأسروا منهم إثنين ، ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتبة من إبراهيم بيك يدعوهم إلى الحضور إليه بالشام .

وفى ليلة الإثنين حادى عشره ، وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة بعض[٢] الناس من الاسكندرية وأبو قير ، وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عساكر عثمانية إلى أبى قير[٣] فتبين أن حركة الفرنسيس وتعديتهم إلى البر الغربى بسبب ذلك ، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهرى ،وأصبحوا فى ثانى يوم عدى الكثير من العسكر أيضاً واهتم حنا بينو المتولى على بحر بولاق بجمع المراكب وشحنها بالبقسماط والعدس والرز والقومانية وداخَلَ الفرنسيس من ذلك وهمٌّ عظيم ، ولما عدى كبيرهم إلى بر الجيزة أقام يوم الإثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر ، وبعث بالمقدمة وركب هو فى يوم الثلاثاء ثانى عشره ، وأرسل مكتوباً إلى أرباب الديوان بالسلام عليهم والوصية بالحفظ وضبط البلد والرعية ، كما فعلوا فى غيبته السابقة .

---

(١) فى الأصل كان فى أول أمر مستوليا خمارات مصر ، وقد صححنا العبارة حتى يفهم معناها .

(٢) لعلها لبعض .

(٣) الأصل أبو قير .

وفى سادس عشره ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل إلى قلعة أبى قير صحبة السيد مصطفى باشا فضربوا على القلعة وقتلوا من كان فيها من الفرنسيس ، وعثمان خجا هو الذى كان متوليا[1] أمارة رشيد من طرف صالح بيك وحج معه ورجع صحبته إلى الشام ، فلما توفى صالح بيك سافر إلى الديار الرومية وحضر صحبته السيد مصطفى باشا المذكور ، فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط فى الناس ، وأظهروا البشرى وتجاهروا بلعن النصارى ، واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة مع بعض نصارى الشوام ، فقال المسلم للنصرانى : إن شاء الله تعالى بعد أربعة أيام نشتفى منكم وكلام من هذا المعنى ، فذهب النصرانى إلى الفرنسيس مع عصبة من جنسهم وأخبروهم بالقصة ، وزادوا وحرفوا وعرفوهم أن قصد المسلمين إثارة فتنة ، فأرسل قائمقام إلى الشيخ المهدى وتكلم معه فى شأن ذلك ، وحاججه وأصبحوا فاجتمعوا بالديوان فقام المهدى خطيبا ، وتكلم كثيراً ، ونفى الريبة وكذب أقوال الأخصام ، وتشدد فى تبرئة المسلمين مما[2] نسب إليهم ، وبالغ فى الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى ، وكان هذا المقام من مقاماته المحمودة ، ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم .

وفيه حضرت مكاتبه من الفرنسيس المتوجهين للمحاربة مع عسكر السلطان بجهة أبى قير وصورتها: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نخبركم محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير ، عليهم سلام الله ورحمته وبركاته ، بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق إليكم ، نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب ، أننا وضعنا جماعات من

(١) فى الأصل متولى .
(٢) فى الأصل عما .

عسكرنا بجبل الطرانة ، وبعد ذلك سرنا إلى إقليم البحيرة لأجل مزيد رد راحة الرعايا المساكين ، وأقاصص[1] أعدائنا المحاربين وقد وصلنا بالسلامة إلى الرحمانية، وعفونا عفواً عمومياً عن كامل أهل البحيرة حتى صار أهل الإقليم فى راحة تامة ونعمة عامة ، وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركباً صغاراً وكباراً حتى ظهروا بثغر اسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنبة[2] وكلل المدافع النازلة عليهم، فرحلوا عنها وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير[3] وابتدوا ينزلون فى البر ، وأنا الآن تاركهم وقصدى أنهم يتكاملون الجميع فى البر وأنزل عليهم وأقتل من لا يطيع وأخلى بالحياة الطايعين وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر . والسبب فى مجىء هذه العمارة إلى هذا الطرف العشم بالاجتماع على المماليك والعربان لأجل نهب البلاد وخراب الإقليم المصرى وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسقوا[4] الإفرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان موحداً لله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله ، يكرهون الإسلام ولا يحترمون القرآن ، وهم نظرا لكفرهم فى معتقدهم يجعلون الآلهة ثلاثة وأن ثالث تلك الثلاثة تعالى الله عن الشريك ، ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لا تعطى القوة ، وأن كثرة الآلهة لا تنفع ، لأنه باطل ، بل إن الله الواحد هو الذى يعطى النصرة لمن يوحده ، هو الرحمن الرحيم المساعد المعين للقوى العادلين الموحدين ، الماحق رأى الفاسدين المشركين ، وقد سبق فى علمه

---

(١) لعلها وتقاصص إما من القصاص وهو توقيع العقوبة على المذنب ، وإما من قَصَّ الأثر أن تتبعهم وتقتفى آثارهم .

(٢) أى إطلاق القنابل عليهم .

(٣) فى الأصل : وتوجهوا يرسو بناحية أبو قير وهو خطأ لغة .

(٤) أى الروس نسبة إلى مدينة موسكو .

القديم ، وقضائه العظيم أنه أعطانى هذا الإقليم العظيم ، وقدّر وحكم بحضورى لمصر لأجل تغيير الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم، وبرهان قدرته العظيمة ووحدانيته المستقيمة ، أنه لو يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوة مثل قوتنا لأنهم ما قدروا يعملوا[1] الذي عملناه ونحن المعتقدين وحدانية الله ونعرف أنه العزيز القادر القوى القاهر المدبر الكائنات والمحيط علمه بالأرضين والسموات ، والقايم بأمر المخلوقات هذا ماف الآيات والكتب المنزلات ، ونخبركم بالمسلمين، إن كانوا بصحبتهم يكونون من المغضوب عليهم لمخالفتهم لوصية النبى عليه الصلاة والسلام ، بسبب اتفاقهم مع الخارجين الكفرة اللئام ، لأن أعداء الإسلام لا ينصرون الإسلام ، ويا ويل من كانت نصرته بأعداء الله ، وحاشا الله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيداً أو يكون مسلماً ساقهم التقدير للهلاك والتدبير مع السفالة والرزالة ، وكيف لمسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ، ويسمع فى حق الواحد الأحد الفرد الصمد من الكفار كل يوم تحريف واحتقار[2] ولا شك أن هذا المسلم فى هذا الحال أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال ، نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الإقاليم والبلاد ، لأن البلد الذى يحصل فيها الشر يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص ، أنصحوهم يحفظوا[3] أنفسهم من الهلاك ، خوفا عليهم أن يعمل فيهم مثل مافعلنا فى أهل دمنهور وغيرها من بلاد الشرور ، بسبب سلوكهم المسالك القبيحه ، فاصطفاهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تحريراً

(١) هكذا فى الأصل والصحيحة أن يعملوا .

(٢) الصحيح تحريفاً واحتقاراً .

(٣) الصحيح أن يحفظوا .

فى الرحمانية يوم الأحد ١٥ صفر(١) سنة ١٢١٤ وبصموا من ذلك نسخاً ولصقوها بالأسواق وفرقوا منها على الأعيان انتهى .

وفى ثامن عشره وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار، كلها على نسق واحد بأن المسلمين ملكوا اسكندرية فى ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر، وفرح الناس وهنا(٣) بعضهم بعضاً ثم ظهر عدم صحة ذلك، ولعل ذلك من المكايد.

وفى ليلة الثلاثاء عشرينه أشيع أن الفرنسيس انتصروا على المسلمين وأخذوا قلعة أبى قير، وأخذ السيد مصطفى باشا أسيراً وعثمان خجا وعدة من المسلمين، وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبه بذلك من أكابرهم، ولما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وأبراج التلول، وجامع الظاهر وبصحن الأزبكية، فانزعج الناس ونزل بهم من الغم والكتابة ما لا يزيد عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وفى ليلتها أعنى ليلة الأربعاء عملوا حراقة بالأزبكية وصواريخ ونفوط .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه وصلت عدة مراكب وبها أسارى وعسكر مجرح(٤) وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحال التى وقعت، لم أقف على صورتها.

شهر ربيع الأول استهل بيوم السبت فى ثانيه وصلت مراكب من بحرى وفيها مجروحين من الفرنسيس،وفيه قبضوا على مصطفى البشتيلى من أهل بولاق

(١) الصحيح أن يحتفظوا .
(٢) أثبتناه بأخطائه كما كتبه الفرنسيون .
(٣) فى الأصل وهنوا بعضهم وهو خطأ لغة .
(٤) هكذا فى الأصل والصواب جرحى .

وحبسوه ببيت قايمقام ، والسبب فى ذلك أن جماعة من جيرانه وَشَوْا به بأن فى داخل الحاصل الذى فى وكالته عدة قدر مملوءة بالبارود ، فكبسوا على الحاصل فوجدوا به ذلك كما أخبر الواشى ، فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ، ثم نقلوه إلى القلعة .

وفى سادسه حضر أيضاً جملة من العسكر وكثر لغط الناس كعادتهم فى روايات الأخبار. وفى ليلة الأحد تاسعه حضر كبير الفرنسيس ودخل إلى داره بالأزبكية وحضر بصحبته عدة ناس من أسارى المسلمين ، وشاع الخبر بحضوره، فذهب كثير من الناس إلى الأزبكية أيضاً ليتحققوا الخبر على جليته ، فشاهدوا الأسارى وهم فوق بوسط البركة ليراهم الناس ، فكفكف الناس دموعهم وكظموا غيظهم وطووا قلوبهم حرقة الأسا[1] ومرارة الأسف ، وأظهروا التجلد للعدو ، وقد طار من القلب الراحة والهـــدوء .

وتجـــلدى للشامتين أريهم إنى لريب الدهر لا أتضعضع

ثم إنهم صرفوا الأسارى بعد الحصة من النهار ، فأرسلوا بعضهم إلى جامع الظاهر خارج الحسينية ، واصعدوا باقيتهم إلى القلعة ، وأما السيد مصطفى باشا فإنهم لم يقدموا به لمصر بل أرسلوه إلى الجيزة مكرماً ، وأبقوا عثمان خجا بالاسكندرية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فيوم علينا ويوم لنـــا ويوم نساء ويوم نسر[2]

وما زالت الأيام تأخذ وتعطى ، والسهام تصيب وتخطى ، ولما استقر كبير

---

(١) لعلها طووا قلوبهم على حرقة الأسى .

(٢) فى الأصل : ويوم يسر .

الفرنسيس بمنزله ذهب السلام عليه المشايخ والأعيان وسلموا عليه، فلما استقربهم الجلوس، قال لهم على لسان الترجمان إن صارى عسكر يقول لكم إنه لما سافر إلى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه، وأما فى هذه المرة فليست كذلك لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لايرجعون بل يموتون عن آخرهم، فكنتم فرحانين ومستبشرين، وكنتم تعارضون الآغاق أحكامه، وأن المهدى والصاوى ما هم (بونو) يعنى ماهم طيبين ونحو ذلك، وسبب كلام هذا الحكاية المتقدمة التى حبسوا بسببها مشايخ الحارات فكان الأغا الخبيث يريد أن يقتل فى كل يوم ناسا بأدنى سبب، فكان المهدى والصاوى يعارضانه، ويتكلمان معه بالديوان، ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة، فيرسل إلى كبير الفرنسيس فيطالعه بالأخبار ويشكوهما[1] فلما حضر عاتبهم فى شأن ذلك فلاطفوه حتى انجلى خاطره وأخذ يحدثهم على ما وقع مع العساكر بأبى قير والنصر عليهم وغير ذلك.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره عمل المولد النبوى بالأزبكية ودعا الشيخ البكرى كبير الفرنسيس مع جماعة من أعيانهم وتعشوا عنده وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وصواريخ ونادوا فى اليوم بفتح الأسواق والدكاكين ليلا، وإسراج قناديل وإصطناع زينة، وورد الخبر بأن الفرنسيس أحضروا عثمان شيحا وقتلوه من الإسكندرية إلى رشيد فدخلوا به البلد، وهو مكشوف الرأس حافى القدمين، وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم، ثم قطعوا رأسه تحت داره، ثم رفعوا الرأس وعلقوه من شباك داره يراها من يمر بالسوق، رحمه الله.

وفى ثالث عشره أشيع بسفر كبير الفرنسيس بونابارته إلى جهة بحرى، ولم

---

(١) فى الأصل ويشكونهما.

يعلم أى جهة يريد ، وسئل بعض أكابرهم فأخبر أن صارى عسكر المنوفيه دعاه لضيافة بمنوف حين كان مسافراً جهة أبى قير ، فأوعده[1] بالعود إليه بعد وصوله لمصر ، وراج ذلك على الناس وظنوا صدقهم .

ولما كان يوم الأحد سادس عشره خرج مسافراً من آخر الليل ، وخفى أمره عن الناس وانقطع أثره .

وفى يوم الخميس رابع عشريته الموافق لتاسع مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك ، فنودى بوفائه على العادة ، وخرج النصارى البلدية من القبط والشوام والأروام ، وتأهبوا للخلاعة والقصف والتفرج واللهو ، وذهبوا تلك الليلة إلى بولاق ومصر والعتبة والروضة وأكثروا المراكب ونزلوا فيها وصحبتهم الآلات والمغانى ، وخرجوا فى تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمة وسلكوا مسالك الأمراء سابقا من النزول فى المراكب الكثيرة المقاديف وصحبتهم نساؤهم وقحابهم وشرابهم وخمورهم ، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين ، وبعضهم تسلح وتزيا بزى نساء مصر على سبيل الاستهزاء وتشبه بهم وحاكى ألفاظهم وغير ذلك ، وأجرى الفرنسيس المراكب المزينة ، وعليها البيارق ، وفيها أنواع الطبول والمزامير فى البحر ، وقد وقع فى تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى ما لا يكيف ولا يوصف ، وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك متسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم ، بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه ، وما يخطر بباله ، وإن لم يكن من أمثاله :

---

(١) الصحيح وعده .

إذا كان رب الدار بالدف ضاربا فشيمةُ أهل الدار كلهم الرقص .

وأكثر الفرنسيس فى تلك الليلة وصباحها من رمى المدافع والصواريخ من المراكب والسواحل وباتوا يضربون أنواع الطبول والزمامير ، وفى الصباح ركب دوجا قايمقام وصحبته أكابر أهل مصر وحضر إلى قصر السد ، وجلسوا به واصطفت العساكر بين الروضة وبرمصر العتيقة بأسلحتهم وطبولهم ، وبعضهم فى المراكب لضرب المدافع المتتالية إلى أن أنكسر السد وجرى الماء فى الخليج فانصرفوا ، وفى خامس عشرينه طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرساً ، وفى سادس عشرينه كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق مضمونها : أن الناس يذهبون إلى بولاق يوم التاسع والعشرين ليحضروا سوق الخيل ويشتروا ما يحبون من الخيل[1] وفيه لصقوا أوراقاً أيضاً مضمونها بأن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه[2] ومن لم يغلق ما عليه بعد مضى عشرين يوماً عوقب بما يليق به ، ونادوا بموجب ذلك فى الأسوق ، وفى سابع عشرينه . كتبوا أوراقاً أيضا: مضمونها أنقضاء سنة مؤجرات أقلام المكوس ، وأن من أراد استئجار شىء من ذلك فليحضر بالديوان ويأخذ ما يريده بالمزاد ، وفيه افرج عن الأنفار الذين قدم بهم الفرنسيس[3] من غزة وحبسوا بالقلعة على مصالحة خمسة وسبعين كيساً دفعوا بعضها وضمنهم أهل وكالة الصابون فى البعض الباقى ، فأنزلوهم من القلعة على هذا الأتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه .

---

(١) فى الأصل بصيغة المفرد مع أن الضمير يعود على الناس فكانت هكذا : أن الناس يذهبوا ليحضر سوق الخيل ويشترى ما أحب .

(٢) أى بتسديده .

(٣) فى الأصل من الأنفار التى قدم بها الفرنسيس وهو خطأ لغة .



جنرال کلیبر

وفى ثامن عشرينه تشفع أرباب الديوان من[1] أهل يافا المسجونين بالقلعة فوقع الاتفاق على الإفراج عنهم بمصالحة مائة كيس ، فاجتمع الرؤساء والتجار وتراودا وتشاوروا[2] فى مجلس خاص بينهم ، فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها فى كل عشرين يوماً خمسة وعشرون كيساً ، فدفع التجار خمسة وعشرين كيساً ، وأفرج عنهم من القلعة ، وأجل الباقى على شرح المذكور .

وفيه ورد من بونابارته صارى عسكر كتاب من الإسكندرية خطابا لأهل مصر وسكانها ، فأحضر قائمقام دوجا الرؤساء المصرية وقرأ عليهم الكتاب مضمونه : أنه سافر يوم الجمعة حادى عشرين الشهر المذكور إلى بلاد الفرنساوية لأجل راحة أهل مصر ، وتسليك البحر ، فيغيب نحو ثلاثة أشهر ، ويقدم مع عساكره ، فإنه بلغه خروج عمارتهم ليصفى له ملك مصر ، ويقطع دابر المفسدين وأن المولَّى على أهل مصر وعلى الفرنسيس كلهم كليبر صارى عسكر دمياط ، فوقع الناس فى لغط وهرج وتحيروا فى كيفية سفره مع وجود مراكب الإنكليز على الثغر ، وذهبوا كل مذهب . فلما كان يوم السبت تاسع عشرينه قدم كليبر صبيحة ذلك اليوم ، فضربوا لقدومه المدافع من جميع الجهات وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم ، وذهب إلى بيت بونابارته الذى كان ساكنا به بالأزبكية وسكن مكانه .

وفى ذلك اليوم قدمت طائفة من العسكر من جهة الشرقية وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد ضربوها ونهبوها ، ومعهم نحو سبعين من الرجال والصغار وبعض

---

(١) هكذا بالأصل والصحيح تشفع لأهل يافا .

(٢) فى الأصل واشتوروا .

النساء وهم موثوقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة ، وفيه ذهب أكابر البلد من مشايخ وأعيان لمقابلة كبير الفرنسيس الجديد والسلام عليه ، فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ، وأوعدوا[1] إلى الغد ، فانصرفوا وحضروا ثانى يوم ، فاجتمعوا به فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل اللعين الأول ، فإنه كان عنده مداهنة وطلاقه .

شهر ربيع الثانى سنة ١٢١٤ فى أوائله ابتدوا بعمل مولد سيدنا الحسين ، وقهروا الناس وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة الأربعاء ثانى عشره ، وفيه طلب كبير الفرنسيس من النصارى القبطة مائة وخمسين ألف ريال فرانسه فى مقابلة بواقى سنة ألف ومائتين واثنى عشر[2] وشرعوا فى تحصيلها .

وفى يوم الجمعه سادسه ركب صارى عسكر الجديد من الأزبكية ومشى من وسط المدينة فى موكب حافل حتى صعد إلى القلعة ، وكان أمامه نحو خمسمائة قواس وبأيديهم النبابيت ، وهم يأمرون الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروره ، وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الإفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة والوالى والأغا وبرطلمين بمواكبهم . وكذلك القلقات والأوجقلية وكل من كان مولى من جهتهم ومنضماً إليهم ، ما عدا رؤساء الديوان من الفقهاء فلم يطلبوهم لحضور ذلك الموكب . ولما صعد إلى القلعة ضربوا له عدة مدافع ، وتفرج على القلعة ، ثم نزل بذلك الموكب إلى داره .

---

(١) الصحيح ووعدوا .

(٢) الصحيح واثنى عشرة

وفى يوم السبت سابعه ركب أغاة الأنكشارية فى أبهة عظيمة وجبروت ، وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس وأمامه المناوى يقول : حكم مارسم صارى عسكر خطابا للأغا أن جميع الدعاوى والقضايا لا تعمل إلا ببيت الآغا وكل من تعدى من الرعايا أو وقع منه قلة أدب يسفك دمه .

وفيه ركب صارى عسكر الفرنسيس فى موكب دون الأول وذهب الى بيت الشيخ الشرقاوى ، ثم رجع إلى داره وفى يوم الأحد ثامنه عمل صارى عسكر الفرنسيس وليمة فى بيته ودعا الأعيان والتجار والمشايخ وتعشوا عنده وانصرفوا الى دورهم .

وفى يوم الثلاثاء عاشره كان آخر مولد الحسين ، وحضر كبير الفرنسيس مع أعيانهم إلى بيت الشيخ السادات بعد العصر فى موكب عظيم وأمامه الآغا والوالى والمحتسب وعدة كثيرة من عسكرهم وبيدهم[١] السيوف المسلولة فتعشوا هناك وركبوا بعد الغروب وشاهدوا وقود القناديل .

وفى سادس عشره نودى بنشر الحوايج وكتبوا بذلك أوراقا ولصقوها بالأسواق ، وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر وأخذ دراهم على ذلك ، وزاد عليهم فى هذا العام عسكرى فرنساوى يطوف مع المقيدين بذلك وهم جماعة من طرف مشايخ الحارات نساء ورجالا .

وفى عشرينه نودى بعمل مولد السيدعلى البكرى[٢] المدفون بجامع الشرايبى

---

(١) هكذا فى الأصل والصواب بأيديهم .

(٢) فى الأصل بعمل مولد النبى السيد على البكرى وكلمة (النبى) زائدة من تحريف الناسخ فحذفناها .

بالأزبكية بالقرب من الرويعى وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة فى تلك الجهات وأذنوا لهم بالذهاب والمجىء ليلاً ونهاراً ، ولا حرج عليهم فى ذلك ، والسيد على البكرى كان رجلا من البُلْه ، وكان يمشى بالأسواق عريانا مكشوف الرأس والسوأتين غالباً ، وله أخ صاحب دهاء ومكر لا يلتئم به ، واستمر على ذلك مدة سنين ، ثم بدا لأخيه أمر فيه لما رأى من ميل الناس لأخيه ومحبتهم له ، واعتقادهم فيه ، كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله ، فحجر عليه ومنعه من الخروج من البيت وألبسه ثيابا ، وأظهر للناس أنه أذن له بذلك وأنه تولى القطبانية ، ونحو ذلك ، فأقبلت عليه النساء والرجال على زيارته والتبرك به وسماع ألفاظه .

وأخذ أخوه المذكور يرغبهم فى ذلك ، ويحكى لهم عن كراماته ، وأنه يطلع على المغيبات وينطق بما فى النفوس ويعلم خطرات القلوب ، فانهمكوا على الترداد إليه وقلد بعضهم بعضا ، وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والإمدادات الواسعة من كل شىء ، وخصوصاً من نساء الأمراء ، فاجتمع عند أخيه أشياء كثيرة من هذه الأمور ، وراج حاله ، واتسعت أمواله ونفقت سلعته ، وسمن أخوه من كثرة الأكل والفراغ والراحة وعدم المشى حتى صار مثل البو العظيم ، فلم يزل على ذلك إلى أن مات ، فدفنه أخوه فى هذا المسجد ، وعمل عليه مقصورة ومقاماً ، وواظب عنده بالمقرئين وأرباب الأشاير والمنشدين والمداح بذكر كراماته مكاشفاته ، ويتواجدون ويتصارخون(١) ويمرغون وجوههم على شبابيكه وأعتابه .

وقالوا سكرنا بحب الاله   وما أسكر القوم إلاّ القصع

فهرعت لزيارة قبره النساء والرجال بالنذور وأنواع المأكولات وشموع

---

(١) فى الأصل ويتواجدوا ، ويتصارخوا .

الوقود ، وصار ذلك المسجد مجمعا وموعدا ، فلما حضر الفرنسيس إلى مصر تشاغل عنه الناس ، وأهمل شأنه[١] في جملة المهملات ، وترك مع جملة المتروكات ، فلما فتح أمس الموالد ورخص الفرنسيس ذلك الناس لما رأوا فيها من الخروج عن الشرائع وإتباع الشهوات واجتماع النساء والتلاهي وفعل المحرمات ، أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد .

شهر جمادي الأولى استهل بيوم السبت فيه إهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد ، وهو عند الاعتدال الخريفي وإنتقال الشمس لبرج الميزان ، فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل ، وشددوا في ذلك وعملوا عزايم وولايم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين ، ولم يعملوه على هيئة العام الماضي من الاجتماع بالأزبكية عند الصاري المنتصب والكيفية المذكورة ، لأن ذلك الصاري سقط وامتلأت البركة بالماء ، فلما كان يوم الأحد نبهوا على الكبراء والأعيان بالبكور إلى بيت كبير الفرنسيس ، فاجتمع الجميع في صبح يوم الإثنين ، فركب صاري عسكر معهم في موكب كبير وذهبوا إلى القصر العيني ، فمكثوا هناك حصة ، وعرضت عليهم العساكر جميعاً على إختلاف أنواعها من خيالة ورجالة وهم بأسلحتهم وزينتهم ، ولعبوا لعبهم في ميدان الحرب ، وخلع كبيرهم على الشيخ الشرقاوي والقاضي وأغاة الانكشارية كل واحد فروسمور ، ثم رجعوا إلى منازلهم ، ثم نودي في الأسواق كلها بوقود أربع قناديل على كل دكان في تلك الليلة ، ومن لم يفعل ذلك عوقب ، ثم عملوا حراقة بالأزبكية بمدافع وصواريخ وشوط ولعبوا في المراكب طول ليلتهم .

---

(١) في الأصل بشأنه .

وفى سابعه بعد الصليب نقص ماء النيل وكان من أول زيادته قاصراً عن العادة ، وزيادته شحيحة ، فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة ، وازدحموا فى الرقع والسواحل ، وطلب باعة القمح الزيادة فى السعر ، فجمع الفرنسيس كل من له مداخلة فى تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم : هذه الغلة الموجودة الآن إنما هى زراعة العام الماضى ، وأما هذا النيل فلا تخرج زراعته إلا فى العام المقبل ، فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر ، وقد كاد يقع البلاء العظيم لولا ألطاف الله خفت ، ونعمه العميمة الشاملة حصلت .

وفيه أرسلوا جملة عساكر من الفرنسيس إلى مراد بيك بناحية الفيوم لحضروا[1] وأخذوا حلة عثمان بيك الطنبرجى ووقعت بينهم وبين مراد بيك أمور لم يتحقق تفصيلها ، ثم ترددت بينه وبين كبير الفرنسيس بالصعيد الرسل والمراسلات ووقعت المدنة والمهاداة وأصطلح معهم على شروط لم تعرف ، وانكف كل فريق عن الآخر ، وفى هذا الشهر كثرت الإشاعة باجتماع عساكر سلطانية جهة الشام ، فكثر إهتمام الفرنسيس بإخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس .

شهر رجب ١٢١٤ استهل بيوم الجمعة فيه كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول حضرة الوزير الأعظم والصدر المشار إليه الأفخم يوسف باشا إلى الديار الشامية وصحبته حضرة نصوح باشا وعثمان أغا كتخدا حضرة الدولة العلية وحسن أغا نزلة أمين ومصطفى أفندى الدفتردار وباقى رجال الدولة ، واستمر الأمر على الإنتظار وترجى حصول الفرج آناء الليل وأطراف النهار ، فلما كان فى منتصفه

---

(١) الصواب لحضروا إليه .

وصلت الأخبار بوصولهم إلى غزة والعريش فحاصروا قلعة العريش ، وقاتلوا من بها من عسكر الفرنسيس حتى ملكوها فى تاسع عشره ، وأخذوا الباقى بعد القتل أسرى واحتووا على ما[(١)] كان فيها مما أعده الفرنسيس من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب ، وصعد مصطفى باشا الذى باشر أخذ القلعة بالحرب مع جملة من العسكر وبعض من غز مصر ، وضربت النوبة ، وحصل الفرح العظيم بمبدأ هذا الفتح ، فاتفق لقضاء المقدور أن وقعت نار على البارود المخزون بالقلعة وكان شيئاً كثيراً فانهدمت ومات معظم من فيها ومصطفى باشا أيضاً ومات من كان خارجاً عنها وبقربها من الحجارة المتطايرة بسبب البارود ، ولما تحقق الفرنساوى أخذ العريش ، وأن العساكر زاحفة إلى جهة الصالحية ، وتهيأ كبير الفرنسيس للسفر وخرج بعساكره وجنوده حتى وصل إلى الصالحية ، وقد كان قبل أخذ المسلمين قلعة العريش أرسل الفرنساوية إلى سنيت[(٢)] كبير الأنكليز ليتوسط معهم فى أمر الصلح . وورد فرمان من حضرة الصدر الأعظم قبل وصوله لجهة العريش خطابا إلى جمهور الفرنساوية باستدعاء رجلين من عقلائهم ورؤسائهم لينعقد الصلح بين الفريقين على ما يشترطونه[(٣)] فوجهوا من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب ودزه صارى عسكر الصعيد ، فنزلوا فى البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم ، وبعث كليبر رسلا من طرفه لاستفسار الأخبار .

واستهل شهر شعبان فورد الخبر بقدومهما فى أثنين وعشرين فيه إلى الصالحية ، فأرسلوا لها الخيول وما يحتاجون إليه ، وحضروا إلى مصر ، وشاع أمر الصلح ، وحضر من طرف الصدر الأعظم رئيس الكتاب ودفتر دار أفندى

---

(١) فى الأصل من وهو خطأ فمن للعاقل وما لغير العاقل .

(٢) لعلها سدنى (سدنى سميث) .

(٣) فى الأصل يشترطوه .

لتقرير الصلح ، وجنح كل من الفريقين إلى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء ، وأظهر الفرنسيس بمكرهم الانخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على أثنين وعشرين شرطاً رسمت فى طومار كبير ، وورد الخبر بذلك إلى مصر وفرح الناس فرحاً شديداً ، وأرسل كبير الفرنسيس مكاتبة بصورة الواقعة إلى دوجا قائمقام ، فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك ، ولما ورد ذلك القرطاس المتضمن لعقد الصلح والشروط وعربوه وبصموه فى طومار كبير ، رسموا فيه نسخاً كثيرة فرقت على الأعيان ولصقت بالأسواق ، وصورته بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد من غير ترجمة الأسطر التى باللغة الفرنساوية وهذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر : ما بين حضرة الجنرال دزه متفرقة وحضرة بسليك مدير الحدود العام نواب سرى العسكر العام كليبر المفوضين بكامل السلطان وجناب سامى المقام مصطفى رشيد أفندى دفتر دار ومصطفى داسيشه أفندى رئيس الكتاب الوكلاء المفوضين بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامى المقام ، أن الجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضح ما فى نفسه من وفور الشوق لحقن الدماء ويرى نهاية الخصام المضر الذى قد حصل مابين المشيخة الفرنساوى والباب الأعلى فقد أرتضى أن يسلم بخلو الأقليم المصرى بحسب هذه الشروط الآتية ذكرها ، بأمل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك إلى الصلح العام فى بلاد الغرب قاطبة .

الشرط الأول : أن الجيش الفرنساوى يلزمه أن ينتحى بالأسلحة والعزال والأمتعة إلى اسكندرية ورشيد وأبى قير ، لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب إلى فرانسا إن كان ذلك فى مراكبهم الخاص (١) بهم أم فى تلك التى يقتضى الباب الأعلى أن يقدمها لهم بقدر الكفاية ، ولأجل تجهيز المراكب المذكورة باقرب

(١) هكذا فى الأصل وفيه خطأ كثير تركناه كما هو ، والصحيح هنا الخاصة بهم .

نوال ، فقد وقع الاتفاق أن من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه إلى قلعة اسكندرية نائب من قبل الباب الأعلى وصحبته خمسون نفراً .

الشرط الثانى : فلا بد عن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالإقليم المصرى ، وذلك من عهد إمضاء شروط الاتفاق هذه ، وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة من ذى قبل[1] أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب الأعلى تحضر جاهزة فالمهلة المذكورة تقتضى مطاولتها إلى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال ، ومن الواضح أنه لا بد عن أطراف[2] الوسائط الممكنة من قبل الفريقين لكيلا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس إن كان ذلك الجيش أم لأهل البلاد إذ كانت المهلة قد حصل بها لأجل راحتهم[3] .

الشرط الثالث: فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى بتدبيره بيد الوكلاء القائمين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وسرى العسكر كليبر ، وإذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل فى هذا الصدد فينتخب من قبل حضرة سيدنى سميث رجل لينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسية البحرية السالكون[4] عليها ببلاد الإنكليز .

الشرط الرابع : قطيا والصالحية لا بد عن خلوها من الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم ، وأعظم ما يكون فى عاشر يوم من إمضاء شروط الاتفاق هذه ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشرة يوم ، وأما دمياط

---

(٢) هكذا فى الأصل ولعل العبارة : وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة (انتهت) من قبل أن المراكب ... الخ .

(٣) لعله يريد إطراق أى طرق الوسائل .

(٤) هكذا وردت العبارة فى الأصل ولعلها إذ كانت المهلة التى قد حصل ... الخ .

(١) هكذا فى الأصل ويريد التى يسلكونها ، أو التى جرى عليها العرف .

وبلبيس من بعد عشرين يوم ، وأما السويس فيكون خلوه سبعة أيام قبل مدينه مصر ، وأما المحلات الكائنة فى الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى اليوم العاشر ، والدلتا أى الإقاليم البحرية يكون خلوها خمسة عشر يوماً من بعد خلو مصر ، والجهة الغربية وما يتعلق بها تستمر بيد الفرنساوية إلى حد خلو مصر ، ولكن من حيث أنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية إلى أن يكون انحدار العساكر من جهات الصعيد فالجهة الغربية وتعلقاتها كما ذكر لمسكن[1] أنه لا يتيسر خلوها إلا من بعد انقضاء وقت المهلة المعين إذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد ، والمحلات التى تترك من الجيش تسلم إلى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

الشرط الخامس : ثم أن مدينة مصر إن أمكن ذلك يكون خلوها بعد أربعين يوأ كثر ما يكون بمدة خمسة وأربعين يوماً من وقت إمضاء الشروط المذكورة .

الشرط السادس : إنه لقد وقع الاتفاق صريحا على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناه فى أن الجيش الفرنساوى الموجود فى جهة[2] الغربية من بحر النيل عندما يقصد التنحى بكامل ما له من السلاح والعزال لنحو معسكرهم لا تصير عليه مشقة ، ولا أحد يشوش عليه ، إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم أم بأمتعته أو بكرامته ، وذلك إما من أهالى البلاد وإما من جهة العسكر السلطانى العثملى .

الشرط السابع : وحفظاً لإتمام الشرط المذكور أعلاه وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة فلا بد عن استعمال الوسائط فى أن عسكر الإسلام يكون دائماً متباعداً عن العسكر الفرنساوى .

---

(١) هكذا فى الأصل ولعلها لا يمكن أنه يتيسر الخ .
(٢) هكذا فى الأصل والصواب فى الجهة .

الشرط الثامن : فمن بعد تقرير وإمضاء هذه الشروط فـكل من كان من الإسلام أم من باقى الطوايف من رعايا الباب الأعلى بدون تمييز الأشخاص أولئك الواقع عليها الضبط أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرانسا أو تحت أمر الفرنساوية بمصر يعطى لهم الإطلاق والعتق ، وبمثل ذلك فـكل الفرنساوية المسجونين فى كامل البلدان والأساكل من مملـكة العثملى ، وكذلك كامل الأشخاص من ايتما[1] طائفة كانت أولئك الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لا بد عن انعتاقهم .

الشرط التاسع : فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها فيـكون الشروع به حالا من بعد خلو مصر ، والتدبير فى ذلك يـكون بيد الوكلاء فى إسلامبول القامين بوجه خاص من الفريقين لهذا المقصد .

الشرط العاشر : فلا يحصل تشويش لأحد من سكان الأقليم المصرى من أى ملة كانت وذلك لا فى أشخاصهم ولا فى أموالهم ، نظرا إلى ما يمـكن أن يـكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية من إقامتهم بأرض مصر .

الشرط الحادى عشر : ولا بد أن يعطى للجيش الفرنساوي إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبـل المملـكتين المرتبطين معه أعنى بها مملـكة انـكليتره[2] ومملـكة موسكية[3] فرمانات الأذن وأوراق المحافظة بالطريق

---

(١) هكذا والصحيح من أى .

(٢) انكلترا .

(٣) الروس (المكوف) .

ويعمل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان إلى بلاد فرنسا .

الشرط الثانى عشر : وعند نزول الجيش المذكور الكائن بمصر الآن فالباب الأعلى وباقى الممالك المتحدة معه يساعدون بأجمعهم أنهم من وقت ينزلون بالمراكب إلى حين وصولهم إلى أراضى فرانسا لا يحصل عليهم شيء قط مما يكدرهم ، وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كليبر سرى العسكر العام يساعد من قبله وصحبته الجيش الفرنساوى الكائن بمصر بأنه لا يصدر منهم ما يؤول إلى المعاداة على الإطلاق مادامت المدة المزبوره[1] وذلك لاضد العمارة ولاضد بلدة من بلدان الباب الأعلى وباقى الممالك المرتبطة معه ، وكذلك أن السفن التى يسافر بها الجيش المشار إليه ليس لها أن ترى فى حد من الحدود إلا بتلك التى تختص بأراضى فرانسا ما لم يكن ذلك فى حادث ما ضرورى .

الشرط الثالث عشر : ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه بما يلاحظ خلو الإقليم المصرى فالجهات الواقع بينهم[2] هذا الاشتراط قد اتفقوا على أنه إذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ، ودخل بميناء اسكندرية فلازم عن سفره حالا ، وذلك من بعد أن يكون قد تحوج[3] بالماء والزاد اللازم ، ويرجع إلى فرانسا ، وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة ، وإذا صادف الأمر أن مركبا من هذه المراكب يحتاج إلى الترقيع فهذه لا غير يباح لها بالإقامة إلى

---

(١) أى المكتوبة .

(٢) الصحيح بينها .

(٣) يريد أخذ حاجته .

أن ينتهى إصلاحها المذكور ، فى الحال، ومن ثم تتوجه إلى بلاد فرانسا نظير التى قد تقدم القول عليها عند أول ريح يوافقها .

الشرط الرابع عشر : وقد يستطيع حضرة الجنرال كليبر سرى العسكر العام أن يرسل خبراً إلى أرباب الأحكام الفرنساوية فى الحال ومن لم يصحب[1] هذا الخبر لابد أن يعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضى ، ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر إلى أصحاب الحكم بفرانسا .

الشرط الخامس عشر : وإذ قد اتضح أن الجيش الفرنساوى يحتاج إلى المعاش اليومى مادامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الإقليم المصرى ، وكذلك لمعاش الثلاثة أشهر الأخرى التى يكون مبتدؤها من نزولهم بالمراكب ، فقد وقع الاتفاق على أنه يقدم لهم مقدار مايلزمهم من القمح واللحم والرز والشعير والتبن ، وذلك بموجب القائمة التى تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنساوى إن كان ذلك مما يخص إقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم ، والذى يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شونه ، وذلك من بعد إمضاء هذه الشروط فينخصم مما قد ألزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر : ثم إن الجيش الفرنساوى من إبتداء وقوع إمضاء هذه الشروط المذكورة ليس له أن يفرد على البلاد فردة من الفرايد قطعا بالإقليم المصرى ، لا بل وبالعكس ، فإنه يخلى للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره مما يمكن توجيه قبضه ، وذلك إلى حين سفرهم ، ويمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم ، ونظير ذلك

(١) لعلها ومن يصحب بدون لم حتى يستقيم المعنى .

شون الغلال الواردة لهم من تحت المال أو خيراً(١) مخازن الخرج ، فهذه كلها لا بد عن الفحص عنها وتسعيرها من أناس وكلاء موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ، ومن أمير البحر الانكليزى وبرفقة الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كليبر سرى العسكر ، وهذه الأمتعة لا بد عن قبولها من وكلاء الباب الأعلى المتقدم ذكرهم ، بموجب ماوقع عليه السعر إلى حد قدره مبلغ ثلاثة آلاف كيس ، التى تقتضى الجيش الفرنساوى المذكور لسهولة إنتقاله عاجلا ، ونزوله بالمراكب .

وإذا كانت الأسعار فى هذه الأمتعة المذكورة لتوازع المبلغ المرقوم أعلاه ، فالخلس والنقص فى ذاك لا بد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى على جهة السلفة ، تلك التى يلتزم بوفائها أرباب الديوان والفرنساوية بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كليبر سرى العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور .

الشرط السابع عشر : ثم إنه إذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر فلا بد أن يقبض ، وذاك من بعد تقرير الشروط المذكورة القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتى ذكره ، أعنى فمن بعد مضى خمسة عشر يوماً خسمائة كيس ، وفى غلاقة الثلاثين يوم خسمائة كيس أخرى ، وبتمام الأربعين يوم ثلثمائة كيس أخرى ، وعند كمال الخمسين يوم ثلثمائة كيس شرحه ، وفى الستين يوم ثلثمائة كيس أيضاً ، وعند تمام الثمانين يوم ثلثمائة كيس أخرى ، وعند غلاق التسعين يوم(٢) خسمائة كيس أخرى ، وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل

---

(١) لعلها وأخيراً .

(٢) تركنا أخطاء العبارة كما هى ، والصحيح طبعاً فى كلها (يوماً) على التمييز .

كيس خمسمائة غرش عثملى ، ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلاء المعينين حلفه الثانية من قبل الباب الأعلى ، ولكى يسهل إجراء العمل بما وقع الاعتماد عليه ، فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضاء على النسختين من الفريقين ، يوجه حالا الوكلاء إلى مدينة مصر وفى بقية البلاد المستمر بها الجيش .

الشرط الثامن عشر : ثم إن فرد المال الذى يكون قد قبضته الفرنساوية المجتمعة بالحولة والموجودة فى المين(١) بالإقليم المصرى مباح به مادامت الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة ، وذلك من دمياط ورشيد حتى إلى الاسكندرية ، ومن اسكندرية حتى إلى دمياط .

الشرط التاسع عشر . فمن حيث للضمان الكلى فى جهة البلاد الغربية يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوباء الطاعونى عن أنه يتصل هناك ، فلا يباح ولا لشخص من المرضى، أو من أولئك الذين مشكوك بهم رائحة من هذا الداء الطاعونى ، أن ينزل بالمراكب ، بل أن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى، أينما كانت تلك التى بسببها، لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق ، يستمرون بمارستان المرضى ، حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن ، ويعالجونهم(٢) الأطباء من الفرنساوية ، أولئك الذين يحاربونهم بالقرب منهم ، إلى أن يتم شفاؤهم يسمح لهم بالرحيل ، الشىء الذى لا بد عن اقتضاء الاستعجال به بأسرع ما يمكن ، ويحصل لهم ويبدأ نحوهم ما ذكر فى الشرطين العشرين والحادى والعشرين من هذا الاتفاق نظير ما يجرى على باقى الجيش .

---

(١) أى الموانى .

(٢) هكذا والصحيح يعالجهم .

الشرط العشرون : ثم إن أمير الجيش الفرنساوي يبذل جهده في إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب بأن لا يسمحوا لهم بالنزول بمينة خلاف المين التي يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة بأوفر السهولة ، من حيث أنها من مجرى العادة ، ولا بد منها .

الشرط الحادي والعشرون : فكلما أمكن حدوثه من المشاكل التي تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها في هذه الشروط ، فلابد عن تجازها بوجه الاستحباب ما بين الوكلاء المعينين لهذا القصد من قبل جناب الوزير الأعظم عالى الشأن وحضرة الجنرال كليبرسرى عسكر العام بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلو .

الشرط الثاني والعشرون : وهذه الشروط لا تعد صحيحة إلا من بعد إقرار الفريقين وتبديل[1] النسخ ، وذلك بمدة ثمانية أيام ، ومن بعد حصول هذا الإقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما .

صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بجد العريش في شهر بليوز سنة ثمانية من إقامة المشيخة الفرنساوية وفي ٢٤ شهر كانون ثاني غربي من سنة ١٨٠٠ الواقع في ٢٨ شهر شعبان هلالية سنة ١٢١٤ هجرية الممضيين الجنرالية متفرقة دزه البلدي بوسليك . المفوضين بكامل سلطان الجنرال كليبر وجناب سامي مقام مصطفى رشيد أفندي دفتر دار ومصطفى راسيشه أفندي رئيس الكتاب المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن ، منقولة عن النسخة الأصلية المواقفة لتلك الموجهة بالفرنساوي إلى الوكلاء العثماني بدلا من التي قد وجهوها بالتقة

---

(١) يريد وتبادل .

التركية ممضى دزه وبوسليك تقرير الجنرال سرى العسكر العام ، محرر فى آخر النسخة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم ، إننى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سرى العسكر العام أمير الجيوش الفرنساوى بالإقليم المصرى أثبت وأقرر شروط الإتفاق المذكور أعلاه ، للحصول على إجرائه بالعمل بالنوع والصورة إذا كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين شرط المشروحة إلى الآن هى موافقة على التدقيق للترجمة باللغة الفرنساوية الممضى عليها من الوكلاء أصحاب ولاية الوزير الأعظم والمقررة من جناب عالى الشأن ، الترجمة التى لابد عن الاعتماد بإجرائها كل مرة إن كان بسبب أم لآخر يمكن حصول بعض الإختلافات ، ومن ثم فقلد بعض المشا كل صح وجرى بمحل المعسكر العام بالصالحية فى ٨ شهر بلويوز سنة ٨ من المشيخة، ممضى كليبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة داماس صاحب ختام فى الجيش الفرنساوى ، ممضى داماس ، انتهى بحروفه وما فيه من خطأ أو تحريف فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية .

شهر رمضان المعظم ١٢١٤ استهل بيوم الأحد فى ثانيه حضر كبير الفرنسيس إلى جهة العادلية وصحبته أغا من رجال الدولة العلية يسمى محمد أغا . فأرسل كبير الفرنسيس إلى حسن أغا المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله فى بيته ويكرمه إكراماً زائداً، فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الأغا إلى مصر فى موكب ، فازدحم الناس على مشاهدته وحصل فيهم ضجة عظيمة ، وارتفعت أصواتهم ، وعلا ضجيجهم ، عند قدومه وزاد فرحهم وسرورهم . وهنا[١] بعضهم بعضاً برؤية رجال الدولة العلية ، ولم يزل سائراً حتى وصل إلى بيت المحتسب بسويقة اللالا فنزل هناك

---

(١) فى الأصل وهنوا بعضهم .

وحضر(١) الناس للسلام عليه بالمشاعل(٢) والقوانيس تلك الليلة ، ولما أصبح النهار عمل ديوانا وجمع العلماء والأوجقلية وأعيان المسلمين وكبار النصارى من القبط والشوام وأبرز لهم فرماناً من حضرة الصدر الأعظم قرىء عليهم بالمجلس ، دل مضمونه على تصرف محمد أغا المذكور على أمر الدواوين والكمارك وجميع الذخاير اللازمة النفقة للشراء بمعونة حسن أغا المحتسب وحفظ ذلك بالمخازن ، وأبرز فرماناً آخر بإقامة حضرة السيد مصطفى باشا قائمقام ووكيلا عن حضرة الصدر الأعظم إلى حين حضوره ، وأن السيد أحمد المحروقى كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس السلفة المعينة لترحيل الفرنساوية ، وحضر السيد مصطفى باشا من الجيزة وسكن ببيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين ، واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع القدر المذكور على التجار وجمعه فى أيام قليلة . وقد كان كل من توجه عليه مقدار من ذلك أعطاه عن طيب قلب وانشراح خاطر ، لعلمهم أن ذلك معونة لترحيل الفرنسيس وخلو أرض مصر منهم ، وإذا توجه على واحد منهم الطلب أظهر الفرح والسرور وبادر فى تحصيل المطلوب منه ، وهو يقول هذه سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة ، كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم ، وهم يحقدون ذلك أهل مصر(٣) ويضمرون فى نفوسهم . وأما الرعايا من أهل مصر فإنهم نظروا الفرنسيس بعين الذلة والاحتقار ، وأنزلوهم عن درجة الاعتبار ، وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ، ولم يمسكوا لأنفسهم صبراً حتى ينقضى أمر عدوهم ويرتحل عنهم ، على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس

---

(١) فى الأصل وحضروا الناس .

(٢) فى الأصل لى المشاعل .

(٣) هكذا فى الأصل والصواب : وهم يحقدون ذلك على أهل مصر .

وأوجبت ماحصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس ، وقد قيل : قاتل بجد وإلا فدع ، وقال الشعبي من جملة كلامه: وصادفنا فتنة لم نسكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء .

ومن أمثال العامة أصبر على الجار السوء ، فإما أن يرحل وإما أن يموت ، وفى بعض الآثار إنا لنبش فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم .

وأخذ الفرنسيس فى أهبة الرحيل ، وشرعوا فى بيع أمتعتهم ، وما فضل عن سلاحهم ودوابهم ، وسلموا غالب الثغور والقلاع ما عدا قلعة مصر والأبراج التى بنوها المحيطة بها ، وورد الخبر بوصول حضرة الصدر الأعظم إلى بلبيس وصحبته الأمراء المصرية ، وأرسلوا إلى مراديبك وأكدوا على حضوره، فاستأذن الفرنسيس سراً ، فأذن له بالمقابلة وسفيره المتولى شاق الطرفين عثمان بيك البرديسى ، فحضر المذكور وقابل حضرة المشار إليه بصحبته إبراهيم بيك وأخلع عليهما ، ورجع مراد بيك فأقام بجهة العادلية ، وحضر حسن أغا نزله أمين ودخل مصر وحضر[1] أيضاً غالب الفارين عند حلوله مصر الفرنسيس[2] من الأعيان والأوجقلية والأفندية والكتبة وأخلى[3] الفرنساوية قلاع مصر ونزلوا منها ، وأهمل شأنها اتكالاً على تمام أمر الصلح وعدم خيانة الفرنسيس، وأرسل ابراهيم بيك إلى السيد أحمد المحروقى بطلب كساوى وثياب وسراويل للماليك وخاصة نفسه ، فأرسل إليه مطلوبه ، وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام وهيأت نساء الأمراء

---

(١) فى الأصل وحضروا أيضا غالب الفارين .

(٢) فى العبارة اضطراب وتقديم وتأخير والصواب عند حلول الفرنسيس مصر .

(٣) فى الأصل وأخلوا الفرنساوية .

والأجناد ترتيباتهم وعاداتهم ونظامهم ولازمت الفراشون الغدو والرواح إلى عرضى أسيادهم وهم راكبون البغال والرهوانات ، وفى حجورهم بقج القماش والثياب المزركشة بالذهب والفضة ، وكذلك الخدم يحملون طبالى الأطبخة والأطعمة المغطاة بالثياب الملونة ، وهم يغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن النصارى البلديه والفرنسيس بمرأى منهم ومسمع إلى غير ذلك مما يحرك الحفيظة ويوغر صدر العدو ، فلما استقر ركاب حضرة المشار إليه بمدينة بلبيس ، وقد كان إذن العسكر والمجاهدين والمتطوعين عند تمام عقد الصلح بالرجوع إلى بلادهم ، وهو إذ ذاك بالعريش ، وترك الأثقال والمدافع والجبخانة ولم يصحب معه إلا اللوازم التى لاغنى عنها ، وحضر إلى بلبيس فى الثانى والعشرين من شهر رمضان ، واستأذن العلماء والتجار والأعيان المصرية السيد مصطفى باشا فى التوجه لأجل السلام ، فاستأذن ثم أذن لهم ، فذهبوا أيضاً إلى كليبر كبير الفرنسيس واستأذنوه فأذن لهم أيضاً ، فذهبوا عند ذلك للسلام ، فوصلوا لنصوح باشا والى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه ، ثم استأذن لهم حضرة المشار إليه فأذن لهم ، فلما وصلوا إليه واستقر بهم الجلوس استفسر عن أسمائهم وكذلك التجار وأكابر النصارى ثم خلع عليهم خلعا سنية ورجعوا المدينة بعد أن سلموا على أكابر الدولة بالعرضى وعلى ابراهيم بيك وباقى الأمراء المصرية ، ودخلوا المدينة وعليهم تلك الخلع وصحبهم قاضى عسكر ، ووصل نصوح باشا والأمراء إلى جهة الخانكة ثم إلى المطرية .

وفيه حضر درويش باشا والى الصعيد إلى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر ، فمكث أياماً ثم توجه إلى قبلى وصحبته نحو مائة من النفر ، وكذلك توجه طائفة من العساكر الإسلامية للسويس ودمياط والمنصورة وانبث العسكر فى البلاد ودخلت مصر شيئاً فشيئاً .

واستهل شهر شوال ، وفى سابعه وقعت حادثة وهو أن جماعة من العساكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية ، وقتل بينهم شخص فرنساوى ، ووقع فى الناس زعجة وكرشة وأغلقوا الحوانيت ، وتترس العسكر العثمانى بالمتاريس ونصبها بخط الجمالية وما والاها ، واجتمعوا هناك فوقعت المناوشة فى الحرب ، وقتل من الفرنسيس أشخاص ، وباتوا ليلتهم مزمعين على الحرب ثانى يوم ، فتوسطت كبراء العساكر فى الصلح وأزالوا المتاريس وانكف كل فريق عن صاحبه ، ثم بحث السيد مصطفى باشا عن أثار الفتنة وهم ستة أنفار فقتلهم ، وطيب خاطر الفرنسيس وأمر بخروج العساكر العثمانية من مصر إلى حيث العرضى ، وإذا دخلوا المدينة فلا يدخلونها[1] بسلاح مطلقاً ووكلوا جماعة من الفرنسيس بذلك خارج البلد ، وفى منتصفه توجه جماعة من كبار الفرنسيس إلى الإسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قائمقام ودزه صارى عسكر الصعيد وبوسليك رئيس الكتاب ومدبر الحدود ، ونزل جماعة منهم إلى البحر يريدون السفر إلى بلادهم ، فيقال إنه تعرض لهم الإنكليز ومنعوهم ، فأرسلوا إلى كبيرهم بمصر وعرفوه الحال ، فأرسل بذلك إلى حضرة الوزير فسوّفه ، فكان ذلك من أسباب نقض الصلح ، وانتقل عرضى همايون من بلبيس إلى جهة سطح الخانكة قريباً من مصر ، وتقدم أمامه عرضى نصوح باشا والأمراء المصرية وجملة من العساكر العثمانية ، فنصبوا وطاقهم بالبلد المسماة بالمطرية ، وكان ذلك آخر أيام المهلة ، وطلب الفرنسيس أجلة[2] ثمانية أيام أخرى ، فأجيبوا إلى ذلك ، فجعلوها ظرفاً لجمع عساكرهم وطوايفهم من البلاد القبلية والبحرية ، ونصبوا

---

(١) فى الأصل فلا يدخلوها وهو خطأ .

(٢) يريد مهلة ، ولم يسمع مثل هذا المصدر .

وطاقهم بساحل البحر متصلا بأطراف مصر ، وردوا ذخايرهم إلى القلاع كما كانت ، واجتهدوا فى ترجيع آلات الحرب بعد أن كان سافر معظمها والبارود على الجمال والعربات ليلاً ونهاراً ، والناس يتعجبون من ذلك ، ومصطفى باشا قايمقام والعساكر العثمانية يشاهدون ذلك فلا يقولون شيئاً ، والبعض يقول إنهم أمروا برد ذلك إلى القلاع ، فلما قضوا أشغالهم من أمر القلاع وتحصينها ، وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم ، واستوثقوا من ذلك خرجوا بأجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر ، وانتشروا فى تلك النواحى ، ولم يبق[1] بداخل المدينة منهم إلا من كان بالقلاع وجملة ببيت الألفى وبعض بيوت الأزبكية ، وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل .

وفى العشرين منه طلبوا مصطفى باشا وحسن أغا نزله أمين ، فلما حضرا إليهم أرسلوها[2] للجيزة فلما كان اليوم الثالث والعشرين من شوال ركب كبير الفرنسيس كليبر قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير ، فمنهم من توجه إلى عرضى هايون ، ومنهم من مال على مَنْ بجهة المطرية ، فدهموهم على حين غفلة من غير أن يكون للمسلمين استعداد القتال ، لأنهم كانوا مطمئنين لم يخطر ببالهم خيانة الخايفين ، وغالب عساكرهم بالمدينة والقرى لتسهيل الكلف واللوازم ، فضربوا عليهم بالبنادق والمدافع ، فركب القوم وناوشوهم القتال ، ثم تركوا خيامهم ووطاقهم ومدافعهم ، فتركه العسكر الفرنساوى على ماهو عليه ، غير أنه سدّ قالية المدافع بالمسامير ، والتحق ذلك الطابور بالطوابير الزاحفة لجهة عرضى هايون ، فلما

(١) فى الأصل ولم يبقى وهو خطأ نحوى .

(٢) فى الأصل إليهما أرسلوها .

أبلغ حضرة المشار إليه ذلك ، وسمع ضرب المدافع ، وتحقق الخيانة أمر بالرحيل والرجوع إلى جهة الصالحية حرصاً على هيبة الدولة ، وحُرمة السلطنة ، ولئلا ينسب إليه نقض الصلح والخيانة ، ومقابلتهم من جنس فعلهم ، ولقلة تعبية العساكر والاستعداد للحرب ، ولكون أكثر العسكر قد كان رجع لبلاده ، لما تقرر أمر الصلح ، ومهمات آلات الحرب تركت بالعريش ، اتكالا على ذلك ، وكثير من العساكر أيضاً كان مفرقاً فى القرى والبلاد ، لأغراض ولوازم ، فكان الانتقال بالعرضى من حسن السياسة والتدبير ، وقد قال أرباب الحروب العارفون بها إن أمير الجيوش ينبغى أن يكون كالتاجر الكيس إن رأى ربحاً تقدم وحارب ، وإن رأى غير ذلك وفرّ نفسه وجيشه ورجع لإعمال حيلة فهو الحرب ، وهذا كله مندرج تحت الحرب خدعة ، وأما عرضى المطرية من نصوح باشا ومن كان معه فإنهم تنحوا عن جهة الفرنسيس وانحازوا الجهة ، فلما لحق الطابور الذى ناوشهم القتال ببقية الطوابير كما تقدم ، قصد نصوح باشا ومن بصحبته جهة مصر وتركوا عسكر الفرنسيس وراءهم ، وأما أهل مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال ، ولم يدركوا حقيقة الحال ، فهاجوا ورمحوا الى أطارف البلد ، وقتلوا أشخاصاً من الفرنساوية صادفوهم خارجين البلد ليذهبوا إلى أصحابهم ، وذهبت شرذمة من عامة أهل مصر فانتهبت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره حيث كان عرضى الفرنسيس ، وخرج السيد عمر أفندى نقيب الأشراف والسيد أحمد المحروق وانضم إليهما غزخان الخليلى والمغاربة الذين بمصر ، وكذلك حسين أغاشنن أخو أيوب بيك الصغير ، وتبعهم كثير من عامة أهل مصر ، وتجمعوا على التلول خارج باب النصر ، وبأيدى الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل

معه السلاح ، وكذلك تحزب طوايف كثيرة من العامة ومشوا بأذقة المدينة ، وخرج كثير إلى أطراف البلد ، وقامت الناس كلهم على ساق وقدم ، فلما تضحى النهار حضر بعض الأجناد من المصريين [1] فدخلوا مصر وفيهم بعض مجاريح فصار الناس يسألونهم ، فلم يخبروهم بشيء لجهلهم أيضا حقيقة الحال ، ثم لم يزل الحال كذلك إلى أن دخل وقت العصر ، فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلد ولهم صياح وجلبة وخلفهم ابراهيم بيك ، ثم أخرى وخلفهم سليمان أغا ثم أخرى كذلك وخلفهم عثمان كتخدا الدولة ، ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من العساكر السلطانية وصحبتهم السيد عمر نقيب الأشراف والسيد أحمد المحروقى وحسن بيك الجداوى وعثمان بيك المرادى وعثمان بيك الأشقر وعثمان بيك الشرقاوى وعثمان أغا الخزندار وابراهيم كتخدا مراد بيك السنارى وصحبتهم مماليكهم وأتباعهم ، فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ، ومروا على الجمالية حتى وصلو إلى وكالة ذى الفقار فقال نصوح باشا: قاتلوا النصارى وجاهدوا فيهم، فلما سمعت العامة منه هذا القول هاجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه [2] من نصارى القبط والشوام وغيرهم ،وذهبت طائفة إلى حارات النصارى وبيوتهم التى بناحية بين السورين وباب الشعرية وجهة الموسكى فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه [3] من الرجال أو النساء أو الصبيان وينهبون ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم فتحزبت أيضا النصارى واحترسوا ، وجمع كل منهم ما قدر عليه من العسكر الفرنساوى والأروام وقد كانوا قبل ذلك محترسين ، وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون،لظنهم وقوع

---

(١) فى الأصل المصريون وهو خطأ نحوى .

(٢) وفى الأصل يصادفوه

(٣) يعنى جماعة أخرى .

هذا الأمر فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمى بالبندق والقرابين من طيقان الدور على المتجمعين بالأذقة من العامة والعسكر ، والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون الدور ، وبات نصوح باشا و كتخدا الدولة وابراهيم بيك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوايف من العساكر بخط الجمالية .

فلما أصبح الصباح أرسلوا إلى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الفالية ، فعالجوها حتى فتحوها وركبوها[١] بالأزبكية وضربوا بها[٢] على بيت الألفى وكان به جملة من عساكر الفرنساوية فضربوا أيضاً بالمدافع والبنادق واستمر الحرب بين الفريقين إلى آخر النهار فسكن الحرب . وفى هذا اليوم شرع العسكر السلطانى وأهل مصر فى صنع متاريس بالأطراف كلها وبجهة الأزبكية ، وشرعوا فى بناء بعض جهات السور ، واجتهدوا فى تحصين البلد بقدر الطاقة ، وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس ، فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ووالوا الضرب بالخصوص على خطة الجمالية لكون معظم رؤساء العساكر الإسلامية بها ، وأكثر العسكر فيها ، وفى هذه الليلة أجمع رأى كبير العسكر على الخروج من البلد ، لعدم آلات الحرب والبارود وعزة[٣] الأقوات ، وأن القلاع بيد الفرنساوية ومصر لا يمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها ، وليس لها سور محيط بها ، وغالب قوت أهلها يجلب كل يوم من قراها ، فلما أحس كبير العسكر بأن الحال يطول فى الحرب ، أجمعوا على الخروج بالليل ، وتسامع الناس بذلك .

---

(١) فى الأصل ركوبم .
(٢) فى الأصل ضربوا بهم .
(٣) أى قلة الأقوات .

فتجهز المعظم للخروج أيضا وغُصّ خُطٌ (١) الجمالية وما والاها من الأخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة، ووقع للناس فى هذه الليلة من الكروب والمشقة والإنزعاج والخوف مالا يوصف، وتسامع أهل خان الخليلى من الأوجقلية وبعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك، فجاء والجماليه وأكثروا التشنيع على من يريد الخروج، وعضدهم طايفة عساكر الإنكشارية، وعدوا إلى خيول الأمراء فحبسوها ببيت القاضى وبقية الوكايل وأغلقوا باب النصر وبات فى تلك الليلة معظم الناس على مصاطب الحوانيت وبعض الأعيان فى بيوت أصحابهم بالجمالية وفى أزقة الحارات أيضاً، وكل متهيىء للخروج. وأصبح يوم السبت فتهيأ كبير العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ماعدا الضعيف [الذى] (٢) لا قوة له على الحركة، وتهيأ كل للحرب، وذهب معظم الأمراء المصرية مع نصوح باشا، والأكثر مع العساكر العثمانية إلى جهة الأزبكية، لأن معظم الفرنسيس بها، فحبس من ذكرنا فى البيوت التى ليس فيها عسكر، والبعض وراء المتاريس، وأخذوا مدافع زيادة على الثلاثة المتقدمة، وجدت فى بعض بيوت مصر. واستمر عثمان كتخدا بوكالة زين الفقار بالجمالية. وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى أخذه وذهب به للجمالية حيث عثمان كتخدا ويأخذ منه بخشيشا، فالبعض من المأسورين يحبس حتى يظهر أمره، وربما قتل البعض لريبة أو شبهة، وكذلك كل من قطع رأساً من رؤوس الفرنساوية يذهب بها إما لنصوح باشا بالأزبكية وإما لعثمان كتخدا بالجمالية، فيأخذ فى مقابلة ذلك جملة من الدراهم والدنانير، ثم بعد أيام أغلق باب النصر وباب البرقية وباب القرافة وسائر الأبواب التى فى أطراف البلد،

---

(١) فى الأصل وغصة حطية.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

وزاد الناس فى اصطناع المتاريس وفى الاحتراس ، وجلس عثمان بيك الأشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدابغ ، وعثمان بيك طبل عند متاريس الحجر ، ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان ، ومحمد كاشف أيوب وجماعة أيوب بيك الكبير والصغير عند الناصرية ، ومصطفى بيك الكبير بقناطر السباع ، وسليمان كاشف المحمودى عند سوق السلاح ، وأولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب النصر مع طائفة من إنكشارية باب الحديد وباب القرافة، وانكشارية خان الخليلى والجمالية عند باب البرقية ، وبالجملة كل من كان فى حارة من أطراف البلد انضم إلى العسكر الذى بجهته بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتارس والأسوار . وبعض عساكر من العثمانية وما انضم إليهم من أهل مصر المتسلحين مكث بالجمالية ، إذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمد بطائفة من هؤلاء ، وصار جميع أهل مصر إما بأزقة مصر ليلا ونهاراً ، وهو من لا يمكنه القتال ، وإما بالأطراف ووراء المتاريس وهو من عنده إقدام وتمكن من الحروب ، ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائن ، وأنشأ عثمان كتخدا الدولة معمل بارود ببيت قائد إغا بخط الخرنفش ، وأحضر الفندقلية والعربجية والحدادين والسباكين لإنشاء مدافع وبنبا وتصاليح بعض مدافع وجدت بمصر فى بيوت بعض الأمراء وعمل عجل للمدافع وكلل وغير ذلك من المهمات الحربية ، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى من جهة المشهد الحسينى، واهتم فى ذلك اهتماماً زائداً (١) وأعطى أجرة وافرة وفرق فى ذلك المهم أموالا واسعة، وترك الملاذ والرفاهية الملايمة لجنابه ، واجتهد فى حرب الكفار ونصرة الأبرار، ورأت الناس منه حلماً واسعاً، وصدراً رحباً ويداً بالعطاء مبسوطة ، ووجهاً

---

(١) فى الأصل اهتمام زائد .

طلقاً ، يعظم الكبير والصغير،وكل من طلب منه شيئاً أعطاه من بارود وسلاح ومال وغير ذلك ، فجزاه الله خيراً. وتترس حسن بيك الجداوى بناحية الرويعى ، وربما فارق المتراس فى بعض الليالى لوقوع زحف من المعسكر الفرنساوى على بعض الجهات ، فيذهب هو ومن معه لنصرة من بتلك الجهة ، ورأى الناس من إقدامه على الحرب وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ليلا ونهاراً ما ينبىء عن فضيلة نفس وقوة قلب وسمو همة ، وقل إن وقع حرب (١) فى جهة من الجهات إلا وهو مدبر راحتها ورئيس كانها . وحضر محمد بيك الألفى فى ثانى يوم وتترس بجهة الأزبكية حيث إبراهيم بيك ونصوح باشا ، وبذل الهمة وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وإقدام ، وحضر أيضا رجل مغربى يقال إنه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقا ، والتف عليه جماعة من المغاربة البلدية وجماعة من أهل الحرمين فمن كان قدم من مكة والمدينة وماوالاهما من الشيخ الجيلانى الذى تقدم ذكره ، وفعل ذلك الرجل المغربى أموراتنكر عليه ، لكنه كان فى بعض الأوقات يجتهد فى الحرب، إلا أنه ليس فى رتبة الجداوى ولا غيره من العساكر العثمانية،وغالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله يكون صدوره عنه . واتهم الشيخ البكرى بأنه يكاتب الفرنسيس ويرسل لهم الأطعمة ، فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ونهبوا داره،وسحبوه مع أولادة وحريمه وأحضروه إلى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوف، وحصلت له إهانة بالغة ، وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

فلما رأى عثمان كتخدا ذلك هاله هذا الأمر واغتم له غما شديدا ، ووعده

---

(١) الحرب مؤنثة فيجب أن يؤنث الفعل معها .



الشيخ خليل البكرى

بجمعهم وطيب خاطره ، إذ فى هذه الحالة لا يمكن تدارك ما فرط ، وأخذ أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه إلى داره ، وأكرمهم وكساهم وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة ، وباشر السيد أحمد المحروقى وباقى التجار ومساتير الناس الكلف والنفقات والمأكل والمشارب لما فى ذلك من المعونة للمجاهدين ، وكذلك جميع أهل مصر ، كل إنسان سمح بنفسه وبجميع مايملكه عن طيب قلب وانشراح صدر ، وأعان الناس بعضهم بعضاً ، وفعل كل إنسان ما فى وسعه وطاقته من المعونة ، وأما الفرنسيس فإنهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الألفى وما والاه من البيوت الخاصة بهم وبيوت القبطة المجاورين لهم ، واستمر الناس بعد دخول العساكر(١) الإسلامية مصر أياماً قليلة وهم يدخلون ويخرجون فى المدينة ، والأبواب مفتحة وأهل الأرياف القريبة تأتى بالميرى (٢) وما يحتاجه أهل مصر يبيعونه ثم يذهبون إلى بلادهم ، ولم يعلم أحد من أهل مصر ولا غيرهم حقيقة حال الفرنسيس المتوجه مع كبيرهم للحرب واختلفت الروايات والأخبار ، وأما حرضى هاون فإنه ارتحل كما ذكر ، ورجع إلى جهة الصالحية وبلبيس جملة من عسكر السلطان ، وأما عثمان بيك حسن وسليم بيك أبو دياب ومن معهما فإنهما تقاتلا مع الفرنسيس ثم رجعا إلى بلبيس لقلة ما معهم من العسكر ، وقدمت الفرنسيس على بلبيس فحاصروا من بها من العسكر المتخلف ، ولم يكن العسكر المتخلف بها كثيراً ولا مستعداً بالآت الحربية ، فحارب على قدر طاقته ، ثم نزل على أمان الفرنسيس ، فأخذ سلاحه وتركه ذهب(٣) إلى حيث ماشاء ، ثم لما لحق

---

(١) فى الأصل عساكر الاسلامية .

(٢) لعلها الميرة .

(٣) الأصح تركه يذهب .

عثمان بيك ومن معه إلى الأورض فأخذوا معهم عدة من العسكر ورجعوا بريدوقه ملاقاة الفرنسيس ، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين على بعد من محط البحر جهة الفرنسيس، فانفرد كبير الفرنسيس عند مقاربته القرين وصحبته نحو أربعين من الخيالة ، فخرج عليهم طائفة من القرين بالتبابيت لكونهم رأوه فى قلة من عسكره ، وعلمهم بعسكر المسلمين فتضاربوا معه وأصيب كبير الفرنسيس بنبوته وقع على سرج فرسه فكسره ووقع ترجمانه إلى الأرض وأحس المسلمون بذلك ، وأقبلوا عليه وحاربوه واستصرخ الفرنسيس عساكرهم ، فلحقوا بهم واستمر القتال زمناً طويلا بين الفريقين ثم انكف الفريقان وجاس كل فريق بمكانه ، فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط العسكر الفرنساوى بعساكر المسلمين ، فأصبح المسلمون وقد رأوا إحاطة العسكر بهم من كل جانب ، فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدائرة بالحرب ، وسلم من سلم وعطب من عطب ، أما مراد بيك فإنه بمجرد ما عاين هجوم الفرنسيس على الباشا والأمراء بالمطرية ، وكان هو بناحية الجبل ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من سفح الجبل ، وذهب إلى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل ويتجدد من الأمور ، وأقام مطمئناً آمناً على نفسه ، هذا حاصل خبر الشرقيين ».

ولما تحقق الباشا والأمراء الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوا بينهم[1] وأشاعوا خلافه ، لئلا تنحل عزائم الناس عن القتال وتضعف نفوسهم عن ملاقاة العدو ، وأرسلوا الجملة من المكاتبات للمرضى فى طلب النجدة والمعونة وجدوا فيما هم فيه ، فتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربى والتركى بالجد فى الجهاد

(١) أى رحيلهم .

والمتاريس على البحر وملاقاة البدو ورجعت(1) طائفة من عسكر الفرنسيس من مرضى كبيرهم نجدة للعسكر الذي بمصر ، فتقوت بهم نفوس أصحابهم ، ووقفت منهم طائفة خارج باب النصر والحسينية ، ونهبوا زاوية الشيخ الدمرداش وما حواليها كقبة الغوري والمنيل وحضر جماعة من عسكر الأرناؤوط نحو ثلاثمائة، كانوا ببعض القرى لجلب الذخيرة والكلف فعارضهم عسكر الفرنسيس الواقف على التلول الخارجية(2) ووقعت محاربة يسيرة ودخلت الأرناؤط مصر على حمية ، ففرح الناس على قدومهم وضجت العامة لحضورهم ، وتسألوا فأخبروا أنهم حاضرون غداً ، وسيأتي جماعة بعدهم ، وأما بولاق فإنها قامت على قدم وساق ، وتهور في ذلك وتشدد الحاج مصطفى البشتيلي ، وهيج العامة فأخذوا الأسلحة والعصي والنبابيت وذهبوا إلى وطاق الفرنسيس الذي تركوه بساحل البحر وعنده جماعة منهم للحرس ، فقتل من أدركه أهل بولاق منهم ، وفر من فر ونهبوا ما فيه من الخيام والمتاع وغيره ، ورجعوا إلى البلد وهجموا مخازن الغلال والودايع التي للفرنسيس وأخذوا ما أحبوا منها ، وعملوا كرانك حوالي البلد ومتاريس واستعدوا للحرب والجهاد ، واستطالوا على من كان ساكنا ببولاق من نصارى القبط والشوام فأوقعوا بهم بعض نهب وربما قتل منهم أشخاص ، وأما كبير الفرنسيس فإنه لما تحقق عود الفرضى وبلغته الأخبار عما حصل بمصر من دخول نصوح باشا والأمراء إليها وقيام الرعية كر راجعاً حتى وصل إلى داره بالأزبكية وأحاطت عساكره بجميع مصر وبولاق ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج ، وذلك بعد ثمانية أيام من ابتداء الحركة ، وقطعوا الجالب عن

---

(1) وفي الأصل ورجع طائفة.

(2) في الأصل التلول الخارج .

البلدين وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم ، فكانت النصارى من القبطة والشوام يهربون بحريمهم وأولادهم ويتسلقون من الحيطان والأسوار ويذهبون إما إلى الجيزة أو مصر العتيقة أو لمرضى الفرنساوى ، وعند ذلك اشتدت الحرب وعظم الكرب ، وأكثروا من الرمى المتتابع بالبنادق والمدافع . وواصلوا مع النيران البنبات من أعالى التلول والقلاع خصوصاً البنبات الكبار على الدوام والاستمرار آناء الليل وأطراف النهار فى الغدو والبكور والأسحار . وعدمت الأقوات وغلت أسعار المبيعات . وعزت المأكولات . وفقدت الحبوب والغلال . وارتفع وجود الخبز فى الأسواق . وامتنع الطوافون به على الأطباق ، وصارت العسكر يخطفون ما يجدونه بأيدى الناس من المأكل والمشارب ، وغلا سعر الماء المأخوذ من الأسبلة والآبار ، وأما البحر فلا يكاد يصل إليه أحد ، وتكفل التجار ومساتير الناس والأعيان بكلاف العساكر المقيمة بالمتاريس المجاورة لهم ، وأما أكابر القبطة مثل جرجس الجوهرى وفلتيوس وملطى فإنهم طلبوا الأمان من المسلمين لكونهم انحصروا بدورهم ، وهم بوسطهم ، فأرسلوا لهم الأمان وحضروا فقابلوا الباشا والكتخدا ، وأما يعقوب اللعين فإنه حاصر فى داره بالدرب الواسع جهة الرويعى ، واستعد إستعداداً شديداً بالسلاح والعسكر المحاربين ، فكانت معظم حرب الجداوى معه ، هذا والمناورة فى كل وقت بالتركى والعربى على القائم بالجهاد والمحافظة على المتاريس ، ونقل عن مصطفى أغا مستحفظان بأن عنده فى داره جماعة من الفرنسيس فهجمت العساكر على داره بضرب الحجر ، فوجدوا الفرنسيس فقتلوا بعضهم وهرب البعض على حمية ، فقبضوا على ذلك الأغا الخبيث وأحضروه بين يدى عثمان أغا كتخدا الدولة ، ثم تسلمه الانكشارية وخنقوه ليلا بالوكالة التى عند باب النصر ، ورموا جيفته خارج باب النصر ، وولوا مكانه شاهين كاشف

الساكن بالخرنفش ، فاجتهد واهتم وشدد على الناس وكرر المناورة ، ومنعهم من المبيت بدورهم ، ومن وجده داخل داره شتمه وضربه ، فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق حتى الأمراء والأعيان . وهلكت البهائم من الجوع لعدم وجود التبن والشعير والفول والدريس بحيث صار ينادى على الحمار والبغل المعد والذى قيمته ثلاثون ريالا وأكثر بمائة ونصف فضة ، ولا يوجد له مشتر ، وفى كل يوم يتضاعف الحال وتعظم الأهوال ، وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب وترامى الفريقان بالمدافع والنيران حتى احترق ما بينهم من الدور ، وهدمت تلك المبانى والقصور ، التى كانت مطلة على البركة ، واحترقت جميع البيوت ، من عند باب الهوارق بقرب جامع عثمان كتخدا إلى رصيف الخشاب ، إلى خطة الساكن إلى حد بيت كبير الفرنسيس ، وصارت كلها خرابا ، وكذلك خطة الرويعى بالسباطين الكبار ، وما فى ضمن ذلك من البيوت إلى حد حارة النصارى ، وصارت كلها تلالا وخرائب كأنها لم تكن مغنى صبابات ولا معاهد أنس ولذات .

وفيها يقول صديقنا العلامة[1] المنوه بذكره ونظمه ونثره . وكنت كثيراً ما أجول بالزوارق فيها ، وأسرح طرفى فى محاسن مبانيها وبنيها ، فأرى ما يدخل على النفس السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور ، وطالما مضت لى بها أيام وليالى هن فى عقد الدهر من يتيم اللآلى ، وأنا أنظر إلى انطباع صورة البدر فى وجناتها ، وفيضان لجين نوره على ساحاتها وساحاتها ، والنسيم بأذيال أمواجها لعاب ، وقد سل على الجسور من اضطراب الأمواج كل قرضاب ، وقام

(١) المرحوم الشيخ حسن العطار .

على منابر أدواحها من الحمائم كل خطيب فصيح ، عند معترك الندامى على إراقة دم العنقود ليصطلحوا على الوجه المليح .

وقال العنقود :

بالأزبكية طابت لى مسرات ولذلى من بديع الأنس أوقات
حيث المياه بها والفلك سابحة كأنها الزهر تحويها السموات
وقد أدير بها دور مشـــيدة كأنها لبدور الحسن هالات(١)
مدت عليها الروابى خضر سندسها وغردت فى نواحيها حمامات
وللماء حين سرى رطبُ النسيم به وحلّ فيه من الأرواح زهرات
كسابغات دروع فوقها نقط من فضة واحمرار الورد طعنات
مراتع لظباء الترك ســـاحتها وللأسود بها فيهن غيضات
وللنـــديم بها عيش تجدده أيدى الزمان ولا تخشى جنايات
يروح منها صريع النقل حين رأى على محاسنها دارت زجاجات(٢)
وللرفاق بهـــا جمع ومفترق لما غدت وهى للندمان حانات

قلت قد جنت عليها أيدى الزمان ، وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها واقفرت مساكنها ، وهكذا عقبى سوء ماعملوا ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

وأرسلوا إلى مراد بيك بالحضور ، أو يرسل الأمراء والأجناد الذين بصحبته ليساعدوا إخوانهم ، فلم يجب إلى ذلك ، واعتذر أنه محافظ على الجهة التى هو

---

(١) فى الأصل :

وقد أدار بها دور مشيدة كوانها البدور الحسن هالات

(٢) فى الأصل : على محاسنها دارت الزجاجات .

قبياء وأنه أرسل هجانًا إلى جهة الشرق من مدة عشرة أيام ، يستكشف خبر عرضى هابون ، ومنتظر عوده ، وأظهر هذا الجواب مع البرديسى وصحبته عثمان الأشقر ، ثم وجع الأشقر ولا يعلم ماداريينهما ، واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب ، وشدة البلاء والكرب ، ووقوع البنب على الدور والمساكن ، من القلاع ، والهدم والحرق وصراخ النساء من البيوت ، والصغار من الخوف والجزع والهلع من القحط وفقد المأكل والمشارب ، وغلق الحوانيت والطوابين والمخابز ، ووقوف حال الناس من البيع والشراء وتفليس الناس، وعدم ما ينفقونه إن وجدوا شيئًا ، واستمروا في ضرب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ليلاً ونهاراً حتى كان الناس لا يتهنون[1] بنوم ولا راحة ، ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن ، يجد فيه الشخص راحة ، ومقامهم دائمًا بالأزقة والأسواق ، وكأنما على رؤوس الجميع الطير ، وأما النساء والصبيان فإقامتهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية ، وصارت مؤونة غالب الناس الأرز ، ويطبخون الرز بالعسل وباللبن ويبيعون ذلك فى طشوت وأوانى بالأسواق .

وطلب الكتخدا دراهم سلفة ، دفع منها شيخ السادات عشرة أكياس ، ودفع الشيخ مصطفى الصاوى جملة ، ووزع على بعض الناس باقى المبلغ المطلوب .

وفى ساعة تهجم الفرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون من بها من المقاتلين ، ويملكون[2] منهم بعض المتاريس ، فتصيح المناداه وتتسامع الناس ، ويصرخون على بعضهم البعض ، ويقولون عليكم بالجهة الفلانية ، الحقوا

---

(١) فى الأصل : لايتهنوا .

(٢) فى الأصل ويملكوا .

إخوانكم، فينفرون إلى تلك الجهة والمتراس حتى تنكشف عنه الفرنساوية،
وينتقلوا إلى غيرها، فيفعلون كذلك.

هذا والأغا والوالى يكرزان[1] المناداة وكذلك بعض أولاد العلماء كسيدى
محمد نجل الشيخ الجوهرى وسيدى محمد نجل الشيخ الأمير والسيد عمر نقيب
الأشراف وبعض شوربجية الانكشارية أيضاً، ينادون بالتركى كل هؤلاء يمرون
بجهات المدينة ليلاً ونهاراً ويحرضون الناس على الجهاد، وجرى على الناس
ما لا يسطر فى كتاب، ولم يكن لأحد فى حساب، ولا يمكن الوقوف على كلياته
فضلاً على جزئياته، منها عدم النوم ليلاً ونهاراً، وعدم الطمأنينة وغلو الأقوات
وفقد الكثير منها خصوصاً الأدهان، وتوقع الهلاك كل لحظة، والتكليف
بما لا يطاق، ومغالبة الجهلاء على العقلاء، وتطاول السفهاء على الرؤساء، ولغط
الحرافيش، وتهور العامة وغير ذلك مما لا يمكن حصره، ولم يزل الحال على هذا
المنوال إلى نحو عشرة أيام، وكل هذا والرسل من قبل كبير الفرنسيس، وهم
عثمان بيك البرديسى تارة ومصطفى كاشف رستم أخرى، والاثنان من أتباع مراد
بيك يترددون فى شأن الصلح وخروج العساكر العثمانية من مصر، والتهديد بحرقها
وهدمها إذا لم يتم هذا الغرض، ثم نصب الفرنج فى وسط البركة فسطاطاً لطيفاً
وأقاموا عليه علماً وأبطلوا الحرب تلك الليلة، وأرسلوا رسولاً من قبلهم إلى الباشا
والكتخدا والأمراء يطلبون المشايخ الذين كانوا مرتبين بالديوان ويتكلمون
معهم فى شأن هذا الأمر، فأرسلوا الشيخ الشرقاوى والشيخ محمد المهدى والشيخ
سليمان الفيومى والشيخ موسى السرسى، فوصلوا إلى داماس من صوارى عساكر

---

(١) فى الأصل يكرروف.



الشيخ سليمان الفيومى

الفرنسيس ، وكان بالخيمة المنصوبة ، فجلسوا وخاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله أن كبير الفرنسيس قد أمن أهل مصر أمانا شافيا ، وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من الأمراء المصرية يتوجهون بعساكرهم إلى أو رضى حضرة الوزير، وعلى الفرنساوية القيام بما يحتاجون إليه من الذخيرة والمؤونة ، ومن أراد الإقامة بمصر من المماليك والأجناد الداخلة معهم فليقم ، ومن أراد الخروج فليخرج ، والجرحى من العثمانية يجردون من سلاحهم ويتخلفون ويعالجهم أطباء الفرنساوية حتى يشفوا ، ومن أقام منهم بعد البرء فليقم ، وإن شاء فليلحق بهم ، وعلى مصر الأمان، فإنهم رعيتهم وأمثال ذلك من الكلام والشروط ،التى عددوها،فلما كان من الغد وشاع أمر الصلح ورجعت المشايخ بهذا الكلام ، وسمعه الناس ، قامت عليهم وشتموهم وسبوهم وأسمعوهم قبيح الكلام ، وصاروا يقولون : هؤلاء المشايخ ارتدوا ، وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين ، وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس ، وأكثر السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول ، ولشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ونادى من عند نفسه بأن الصلح منقوض، ووافق ذلك أغراض العامة لعدم إدراكهم لعواقب الأمور ، فالتفوا عليه وتعضد كل بالآخر ، ولأن غرضه هو فى دوام الفتنة ، فإن بها يتوصل لما يريده من النهب والسلب ، والتصور بصورة الإمارة بإجتماع الأوزاع عليه ، وتكلف الناس له بالأكل والمشرب ، هو ومن انضم إليه واشتطاطه فى الأكل مع فقد الناس لأدون ما يوكل حتى إنه كان إذا نزل جهة من جهات المدينة لإظهار أنه يريد المعونة أو الحرس فيقدمون له بالطعام فيقول لا آكل إلا الفراخ ، ويظهر أنه صائم ، فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته فى هذه الشدة بطلب أفخر المأكولات وما هو مفقود ، ثم هو مع ذلك لايغنى شيئا بل إذا

هجم العدو [على][1] تلك الجهة التى هو فيها فارقها ، وانتقل لغيرها ، وهكذا كان ديدنه وسبحه .

ثم هو ليس ممن له فى مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك بل كما قيل لا ناقتى فيها ولا جملى ، فإذا قدر والعياذ بالله أن العدو دخل البلد غيره وتخلص مع حزبه من بعض الجهات والتحق بالريف وتخلص، وحينئذ يكون كأحاد الناس ويرجع لحالته الأولى وتبطل الهيئة الإجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فخًّا منصوبًا ونحْرَقَ بها على سخاف العقول ، وأخفاء الأحلام ، وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجلة، ولو أن نيته محضة لخصوص الجهاد ، لكان شواهد حلانيته أظهر من نار على علم ، أو اقتحم كغيره ممن شاهدناه من المخلصين فى الجهاد، حوق بيع قوسهم فى مرضاة رب العباد لظى الميجاء ولم يتعنت على الفقراء ، ولم يجعل همته فى السلب مصروفه وحالة سلوكه عند الناس ليست معروفة .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وبالجملة فكان هذا الرجل سببًا فى تهدم أغلب منازل الأزبكية ، ومن جملة ما رميت به مصر من البلاء ، وكان مما نادى به حين أشيع أمر الصلح ، وتكلم به الأشياخ : الصلح منقوض ، وعليكم بالجهاد ، ومن تأخر ضرب عنقه ، وهذا منه أفتيات فى حق السلطنة ، وفضول ، ودخول فيما لا يعنى ، حيث كان فى البلد مثل نصوح باشا ومثل الهمام الأعظم والرئيس الأفخم عثمان كتخدا وغير هذين من الأمراء المصرية ؛ فما قدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحًا أو يبرمه ، وأى شىء يكون هو حتى ينادى أو يترأس بدون أن ينصبه أحد لذلك ، لكنها الفتن

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

يستنسر فيها البُغَاثُ سيما عند هيجان العامة وثورات الرعاع والغوغاء إذا كان ذلك مما يوافق أغراضهم :

وذنبُ جــرّه سفهاء قوم وحَلّ بغـــير جانيه العذاب

على أن المشايخ لم يأمروا بشيء ، ولم يذكروا صلحاً ولا غيره ، إنما بلغوا صورة المجلس الذى طلبوا الأجله لحضرة الكتخدا ، فبمجرد ذلك قامت العامة هذا المقام وفعلوا مع المشايخ مافعلوا ، وصاروا يقولون لولا أن الملاعين تَبَيَّن لهم العجز والغلبة ما طلبوا المصالحة ، وأخذوا فى ضرب البنادق والثوران فى الأزقة والضجيج ، فأرسل الفرنسيس رسلاً يسألون عن رد الجواب الذى توجه به المشايخ فأرسل الباشا والكتخدا يقولون لهم : إن العساكر لم يرضوا بذلك ، وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح ، فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة ، ويقولون فى ضمنها[1] وقد عجبنا من قولكم إن العساكر لم يرضوا بالصلح.

وكيف يكون الأمير أميراً على جيش لا ينفذ أمره فيهم ، ونحو ذلك ، وأرسلوا أيضاً راشتو[2] إلى أهل بولاق بمثل ذلك ، فلم يرضوا ، فكرروا عليهم ذلك أربع مرار ، وفى الخامسة أرسلوا رجلا من كبير الفرنساوية خيالاً ، وبيده ورقة وهو يقول : أمان ! أمان ! سوا ! سوا ! ، فأنزلوه من على فرسه وقتلوه ، واستمروا على كرنكتهم وتترسهم وتصميمهم على الحرب .

وحضر الألفى إلى عثمان كتخدا برأى ابتكره ، وهو أن يرفعوا على علالات الغارات أعلاماً ، ويسرجون فى المنارات قناديل ليلاً ، ليرى ذلك العسكر

---

(١) فى الأصل : ضمنتا .

(٢) لعلها : رسولا .

القادم ، فيعلمون بذلك أن البلد بيد المسلمين ، وكذلك صنع أهل بولاق واستمر الحرب بين الفريقين إلى يوم الخميس ثانى عشرينه ، الموافق لعاشر برموده القبطى ، وسادس نيسان الرومى ، فاتفق أنه وقع غيم ومطر ورعد واشتد ذلك بعد المغرب ، وتوحلت السكك وحلاً كثيراً ، وسالت المياه فى الجهات فاشتغل الناس بتجفيف الأرض وكسح الوحل والمياه ، فهجمت الفرنسيس[1] بعد المغرب على أطراف البلد وجاء المعظم منهم جهة باب النصر والعطوف والحسينية والوقت إذ ذاك مظلم والغيم مطبق والمطر متكاثر، فهرعت الناس المقاتلة لتلك الجهات ، ولَبَّخَتْ الأمراء والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم فى الطين والوحل ، وانزعج الناس من هذه الكبسة مالم ينزعجوا فى غيرها .

وقد أعد الفرنسيس للحريق فتايل مغموسة بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملونة على أعناقهم معمولة بالنفط والأرواح المصنوعة المقطرة التى تشتعل ويقوى لهبها بالماء وأوصلوا الضرب بالبنادق والبنبات ، وبذل المسلمون فى هذه الليلة جهدهم وطاقتهم ، وقاتلوا بشدة همة وقوة عزيمة وتحول الأغا وأكثر المقاتلة إلى الجهة التى زحف معظمهم عليها ، وهاجت العامة ، وصرخت النساء والصبيان ، ولاقى الناس فى تلك الليلة شدة عظيمة ، وأما بولاق فإنهم كبسوا عليها فى وقت الفجر من ناحية البحر ، ومن ناحية بوابة « أبى العلا »[2] بالمدافع وآلات الحرب وحصر[3] أهل البلد وأشعلوا الحريق فى معظم الجهات العامرة ، ووالَوْا ضرب المدافع المنجّرة معهم فى طوابيرهم . وتحصن جمع من المسلمين وتترسوا بجامع أبى العلا

(١) فى الأصل : فهجمت الناس الفرنسيس .

(٢) فى الأصل : بوابة أبو العلا .

(٣) فى الأصل وحضروا أهل البلد .

وقاتلوا من داخله وعلى منارته حتى قتلوا عن آخرهم، وغاية الأمر ملكوا بولاق، وفعلوا بأهلها ما تشيب من سماعه النواصى، وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة، واحترقت الأبنية والدور خصوصاً البيوت المطلة على النيل والرباع، وكذلك الأطارف، وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة، فنجوا بأنفسهم ثم بعد أن ملكوا البلد أحاطوا بها، ومنعوا من يخرج عنها، واستولوا على الخانات والوكايل وما بها من الحواصل والطباق. وأخذوا جميع ما فيها من الودايع التى للناس والمتاجر، وأخذوا ما فى البيوت والحوانيت، وأخذوا بعض نساء ماستورات (١) واستولوا على جميع ما فى البلد من غلال وسكر وكتان وقطن وأبازير وأرز وأدهان وأصناف عطرية ومالا تسعه السطور، ومالا يحيط به كتاب ولا منشور، والذى وجدوه منسكفا فى داره ولم يقاتل ولم يجدوا عنده سلاحاً نهبوا متاعه وعروه من ثيابه، ومضوا وتركوه حياً. وأصبح من بقى من ضعفاء أهل بولاق وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء لا يملكون ما يسترعوراتهم، وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه. واختفى الحاج مصطفى البشتيلى فدلوا عليه وكذلك باقى رؤساء أهل بولاق، فحبسوا البشتيلى بالتكية وباقيهم عند الفرنسيس ببيت الألفى، وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول.

وفى اليوم الثالث أطلقوهم وسلموهم البشتيلى، وأمروا عصبته بقتله فطافوا به بولاق ثم قتلوه بالنبابيت، ورتبوا من أهل بولاق تسعة أشخاص ممن بقى من أعيانها فى ديوان وألزموهم بقبض مائة ألف ريال فرنساوى من أهل بولاق بعد الذى وقع لهم.

وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم ذكره من الحرب والكرب

---

(١) فى الأصل ماستورات، ولعلها مستورات أو مأسورات.

والحرق والنهب والسلب إلى سادس عشرينه ، حتى ضاق خناق الناس من استمرار الإنزعاج والحريق والسهر وعدم الراحة لحظة من ليل أو نهار مع ماهم فيه من عدم القوت حتى هلكت الناس ، وخصوصاً الفقراء والدواب وإيذاء العسكر للرعية . وأخذهم ما يجدونه معهم ، والحال كل وقت فى ازدياد وأمراء المسلمين فى ضعف لعدم الميرة والمدد، والأعداء كل يوم يزحفون إلى قدام والمسلمون يتأخرون إلى وراءه، فدخل الفرنسيس من باب الحديد وناحية كوم الريش وقنطرة الحاجب وتلك النواحى وهم يحرقون بالفتايل والنيران على الشرح المتقدم ، ويملكون المتاريس إلى أن تجاوزوا باب العدوى ، ومن ناحية باب الحديد وخطة المقس إلى قرب باب الشعرية ، وكان شاهين أغا مترساً بكوم الريش فأصابته جراحة فقام من مكانه ورجع القهقرى ، فعند قيامه من متاريسه ورجوعه إلى خلف وقعت الهزيمة وداست الناس بعضهم بعضاً . هذا والبرديسى والأشقر ومصطفى كاشف رستم يسعون فى الصلح إلى أن تمموه على الموادعة وترك القتال . وأن الفرنسيس يمهلون العساكر والأمراء ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ويذهبوا من[1] حيث أتوا ، وجعلوا مجرى الخليج حداً بين الفريقين لا يتعدى أحد من الفريقين بر الخليج الآخر . وبطل الحرب وخمدت النار ، وأخذ العسكر والأمراء فى أهبة الرحيل وقضاء أشغالهم ، وكان مما شرط فى الصلح تزويد الفرنساوية لهم وأعطاؤهم جمالا[2] وغير ذلك، فوفى كبير الفرنسيس بذلك ، وكتبوا بعقد الصلح ورقة شرطوا فيها أنهـــم يتركون عند الفرنسيس البرديسى والأشقر رهينة ، وأن يذهب داماس بعساكر خلف العساكر العثمانية لحد الصالحية ، ومن أراد

---

(١) فى الأصل ويذهبوف حيث

(٢) فى الأصل جمال .

الخروج من أهل مصر فليخرج خلا عثمان بيك الأشقر ، فإنه إذا رجع الثلاثة أنفار من الفرنسيس يذهب هو مع البرديسى إلى مراد بيك بالصعيد ، إلى آخر المضمون ، وأرسلوا الثلاثة المذكورين إلى خطة الجمالية ومعهم الألفى ماشيا (١) هو ومماليكه وأجناده وبأيديهم البندق والثلاثة الفرنسيس مشاة مع الألفى والمماليك محدقة بهم من جميع الجوانب، مخافة من ثوران العامة عليهم فيقتلوا واحدا منهم أو يهينوه فيختل أمر الصلح ويتسع الفساد ، وخبولهم تقاد بين أيديهم ، فلما وصلوا الجمالية ثارت العامة وصاحوا وصرخوا وقالوا : الصلح منقوض ، ولا يكون إلا القتال ، وأرادوا الفتك بالأنفار الثلاثة الرهاين ، فأصعدهم محمد بيك الألفى بجامع الجمالى ، وأوقف حراساً على بابه من مماليكه ، وبيدهم السلاح حتى بردت نار العامة وبطل صياحهم ، فذهبوا بهم لبعض البيوت بالجمالية ، واستمروا كذلك حتى سافروا مع عثمان كتخدا ، وكذلك ثارت العامة فى هذا الوقت بعثمان كتخدا فأغلق دونهم باب خان ذى الفقار الذى كان جالساً به ، وزجرهم العسكر وطردوهم ، وركب المغربى فذهب إلى الحسينية لإظهار أنه يريد محاربة الفرنسيس، وأنه ينقض الصلح فحضر بعض عقلاء أهل الحسينية إلى عثمان كتخدا يأخذون منه إذناً فى موافقة المغربى أو منعه ، فلم يأذن لهم ، وأمرهم بمنعه ، وركب المحروق ومر بسوق الخشب وأمامه شخص ينادى بلزوم المتاريس ، وأنه لا صلح فمنعه نزله أمين ، وفتح باب الخان وخرج منه عسكر بأيديهم العصى فطردوا العامة ففروا ، وسكن الحال.

واستهل شهر ذى الحجه بيوم الجمعة، فيه خرج العثمانية وعسكرهم وإبراهيم بيك وأمراؤه والألفى والسيد عمر النقيب والسيد أحمد المحروق وكثير من أهل مصر

---

(١) فى الأصل : ومعهم الألفى ماشى .

را كبين وماشين، وكذلك حسن بيك الجداوى وأما عثمان بيك حسن فإنه استمر بأوروضى همايون فكانت مدة الحروب والمحاصرة بما فيها من ثلاثة أيام المهدنة سبعة وثلاثين يوماً ، وقع بها من الحروب والكروب والإنزعاج والشتات والهجاج وخراب الدور وعظيم الأمور وقتل الرجال ونهب وسلب الأموال وتسلط الأشرار وهتك الأحرار ، وخصوصاً ما أوقع الفرنساوية بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه، وضرب فى هذه الواقعة معظم عماير مصر وعدة جهات من أخطاط مصر الجليلة ، وخصوصاً بركة الأزبكية ذات المحاسن البهية ، وأما بركة الرطلى وما حولها من الدور والمتنزهات والبساتين فإنها صارت كلها تلالاً وخرائب وكيمان أتربة ، وقد كانت هذه البركة من أجل متنزهات مصر قديماً وحديثاً ، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبرج والجسر ، وكانت تعرف أيضاً ببركة الطوابين وبركة الحاجب نسبة للأمير بكتمر الحاجب من أمراء الناصر محمد بن قلاوون ، لأنه هو الذى احتفرها وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى، وبنى القنطرة المنسوبة إليه ، وعمّر عليها الدور والمناظر، وبنى على الجسر الفاصل بينهما وبين الخليج دوراً بهية ، وكان هذا الجسر من أجَلّ المتنزهات ، وقد خُرِّبت منازله فى القرن العاشر فى واقعة السلطان سليم خان مع الغورى ، وصار محله بستاناً عظيماً ، قطع أشجاره ونخيله الفرنسيس . وفيه يقول بعضهم من قصيدة :

أصابت الجسر عين الدهر فانقصفا ولاح بدر التصابى فيه منخسفا
وأعين البحر قد فاضت مسكرة تبكى على زمن قد كان فيه صفا

ومنها :

أيا رعى الله وقتا مر حين حلا بطيب عيش لنا فى الجسر قد سلفا

وكان القاضى ابن الجيمان عليها دور جليلة ومسجده المعروف به إلى الآن بشاطئها ومسجد الحريشى ، وعرفت ببركة الرطلى لأنه كان فى شرقها زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى يزن بها البياعون[1] يقال له الشيخ على الرطلى فنسبت إليه ، وفيها يقول بعضهم .

فى أرض طبَّالتنــــا بركة   مدهشة العقــــل والعين
ترجح فى ميزان عقــــلى على   كل بحار الأرض بالرطل

وقوله فى أرض طبالتنا بركة يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة ، والطبالة امرأة مغنية مشهورة فى آخر دولة الإخشيد ، فلما حضر المعز لدين الله معدالفاطمى إلى مصر ، وكان يدّعى الإمامة والخلافة دون بنى العباس ، فخرجت إليه بجوقتها ومشت أمامه تزفه بالدفوف وتقول :

يابنى العبــــاس ردوا   ملك الأمرَ معــــدُّ
ملككم ملك معــــاد   والعــــوارى تسترد

فأعجبه ذلك وأراد أن يُنْعِمَ عليها ، فتمنت عليه أن يقطعها هذه الأرض فأقطعها إياها ، فعرفت بها ، وبهذه البركة بقعة يطلع بها البشنين ، وهو الينوفر يقوم على ساق ، تمتد ذلك الساق إلى أعلى على قدر عمق الماء ونواره أصفر ، وهو على هيئة الورد المفتح ، ويحيط بالورق الأصفر ، ورق أخضر ، وفى داخل الورق الأصفر عروق بيض ، يدور نواره مع الشمس حيث دارت وفيه يقول بعضهم .

---

(١) فى الأصل البياعين .

وبركة تزهــــو بلينوفر شبهته طيبه نشر الحبيب
مفتح الأحـــــداق فى نومه حتى إذا الشمس دنت للتغريب[1]
أطبق جفنيه على خـــــده وغاص فى البركة خوف الرقيب

ومما خرب أيضاً حارة اللقس من قبيل سوق الخشب إلى باب الحديد وجميع ما فى ضمن ذلك من الحارات والدور ، وكذلك خطة المدوى والطنبلى والطرطوشى. صارت كلها خرايب متهدمة محترقة تسكب عند مشاهدتها العبرات وتتقطع النفس من الحسرات .

ودخل الفرنسيس إلى المدينة يمشون ، وإلى الناس بعين الحقد ينظرون ، واستولوا على ما كان صنعه وأعده[2] العساكر العثمانية من المدافع والقنابر والبارود والكلل وآلات الحرب جميعه ، وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا إلى كبير الفرنسيس ، فلما وصلوا إلى داره وجلسوا ساعة ، أبرز إليهم ورقة مكتوب فيها : النصرة لله يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس ، وبناء على ذلك صارى عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر، وعلى أهل بر مصر، ولو كانوا خالطوا العثمانى فى الحروب ،وأنهم يشتغلون[3] بمعايشهم وصنايعهم ثم نبه عليهم بحضورهم إلى قبة النصر بكرة تاريخه ، ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية بالأمان والاطمئنان ، فلما أصبح ذلك اليوم خرجت المشايخ والأوجاقلية والقلقات

(١) لعلها للمغيب .
(٢) وفى الأصل : صنعوه وأعدوه العساكر .
(٣) وفى الأصل يشتغلوا .

والنصارى القبط والشوام وغيرهم ، ودخل الموكب من باب النصر وقدامهم جماعة من القواسة يأمرون الناس بالقيام ، وبعض فرنساوية راكبين خيل بأيديهم سيوف مسلولة ينهرون الناس ويأمرونهم بالقيام ، ومن تباطأ فى القيام أهانوه ، فاستمرت الناس وقوفا من ابتداء سير الموكب إلى انتهائه ، ثم تلا الطائفة الآمرة الناس بالوقوف جمع كثير من المجانة الفرنساوية بأيديهم سيوف مسلولة ، وكلهم لابسون جوخاً أحمر وعلى رءوسهم طراطير من الفراوى على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم ، ثم تتالى بعد هؤلاء طوايف العساكر ببوقاتهم وطبولهم وزمورهم وإختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من خيالة ورجّالة إلى أن قدم كبير الفرنسيس وخلف ظهره عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الأشقر ووراءهم طوايف من خيالة الفرنسيس ، ولما انقضى أمر الموكب ، نادوا بزينة البلد ثلاثة أيام ، آخرها الثلاثاء مع السهر ووقود القناديل ، ثم دعاهم فى يوم الأربعاء ومدّ لهم سماطاً عظيماً ، فيه أصناف المأكولات على طريقة أهل مصر .

وبعد انقضاء الوليمة والطعام خاطبهم على لسان الترجمان : أن صارى عسكر يقول لكم إنكم تأتون إليه بعد غد يوم الجمعة ويعمل معكم تدبيراً ويدبر لكم الديوان ، لأجل تنظيم البلد ، وصلاح حالكم وحال الرعية ، وَلَبَّسُوا فى ذلك اليوم محمد أغا الطنانى أغاة مستحفظان ، ولبسوا البكرى فروة وأعطوه بيت البارودى عوضاً عن بيته بالأزبكية ، ثم انفض المجلس وقاموا من عنده مستبشرين مفترين بالصورة الظاهرة ، وركب الأغا ونادى فى البلد بالأمن والأمان .

فلما كان يوم الخميس سابعه ذهب كبير الفرنسيس وعظماؤهم وعساكرهم إلى

جزيرة الذهب باستدعاء مراد بيك لهم ، وموعد بينه وبينهم ، فصنع لهم أطعمة ومد لهم سماطاً عظيما ، وانبسط معهم وافتخر إفتخاراً زايداً وأهدى لهم الهدايا ، وقدم لهم التقادم العظيمة ، وأعطاهم ما كان جمعه درويش باشا من الصعيد ، وأرسله لمن بمصر من العساكر العثمانية من الميرة والأغنام وغيرها .

وكان قد حجزه مراد بيك عنده وهو متيم بطرا ، وكان شيئا كثيراً فيه من الأغنام نحو أربعة آلاف ، وفى ذلك اليوم ولوه إمارة الصعيد من جرجا إلى إسنا ، فلما كان فى صبحها يوم الجمعة بكروا فى الذهاب إلى بيت كبير الفرنسيس ، ولما جلسوا بالديوان الخارج أهملوا حصة طويلة لم يُؤْذَنْ لهم ، ولم يُخاطبوا ، ثم طلبوا إلى المجلس الداخل ، وأهملوا كذلك حصة ، مثل الأولى ، ثم خرج عليهم كبير الفرنسيس وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم ، فوُضع له كرسى بوسط المجلس ، ووقف الترجمان وأصحابه حوله واصطفت الأوجاقلية الحكام ناحية ، وأعيان النصارى والتجار ناحية ، وحضر عثمان بيك الأشقر وعثمان بيك البرديسى ، فأخرج صارى عسكر ورقة من كمه وتكلم بما فيها ، وترجم عنه الترجمان فقال ، للحاضرين :

إن صارى عسكر يقول لكم إنه عفى عنكم مع إستحقاقكم العقوبة ، وإنما يطلب منكم عشرة آلاف ألف ريال أفرنجى ، وذلك مقدار ألفى ألف فرانسى؛ منها على شيخ السادات مائة وخمسون ألفا ، والشيخ محمد بن الجوهرى خمسون ألفا ، وأخوه السيد عبد الفتاح مثلها ، والشيخ مصطفى الصاوى مثلها ، والشيخ العنانى خمسة عشر ألفا ومئتان وخمسون ألفا ، فتقطعها عنكم من المبلغ نظير نهب

الفارين مع العثمانى مثل السيدين(١) عمر المحروق وحسين أغا شنن ، وتدبروا رأيكم فى الباقى توزعوه على أهل البلد ، وقام من فوره ودخل مع أصحابه إلى مكانه ، وأغلق بينه وبينهم الباب ، ووقف عسكر على الباب الذى فيه الجماعة يمنعون من يخرج من الجالسين ، فبهت الجماعة وأصفرت وجوههم ، وتحيرت أفكارهم ونظر بعضهم إلى بعض ، وترامو على يعقوب القبطى وأنظاره ، فدخل على كبير الفرنسيس وخرج يقول . إنه قال يبقى منكم خمسة عشر شخصاً رهينة حتى يتخلق المطلوب ، فقالوا : وكيف نعمل ؟ ومن يقدر على هذا المقدار العظيم ؟ وإذا كنا محبوسين من يسعى فى ذلك ؟ ولم يزالوا فى هذه الحيرة والتداخل على القبطة إلى قبيل العصر ، حتى بال أكثرهم على ثيابه ، وبعضهم شرشر من الشبابيك المطلة على البركة ، والشيخ محمد المهدي يتشاور مع يعقوب ومن له التكلم فى تدبير ذلك وتوزيعه وترتيبه ، وعملوا بذلك قوايم ، وشرعوا فى تحرير دفاتر حتى ضاق الوقت ، فاستأذنوا الجماعة ، فأذنوا لهم بالذهاب وركب شيخ السادات فألزموه عشرة من العسكر يبنادقهم ، وذهبوا معه إلى داره ، وأما الشيخ الصاوى والسيد عبد الفتاح الجوهرى فحبسوهما ببيت قايمقام ، والشيخ العنانى لم يحضر تلك الجمعية ، بل هرب من قبل ، وكان داره قد احترق مدة الحرب بسوق الخشب ، ولما لم يجدوه أضافوا غرامته على باقى الغرامات ، وانفض المجلس على ذلك ، وركب كبير الفرنسيس من يومه وعدى إلى الجيزة وأقام بقصر مراد بيك ، وفوض أمر ذلك ليعقوب القبطى يفعل فى المسلمين مايشاء ، وأقام بمصر قايمقام ،

---

(١) فى الأصل مثل السيد عمر المحروق ولعل الصواب ماذكرناه .

والخزندار لمرجع الأمور والمشورة والتدبير وقبض الأموال ، وشرعوا فى توزيع الغرائم وتقسيمها على عموم الناس وخاصتهم من الملتزمين والتجار والمتسببين وجماعة الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين ، والدلالين والقبانية حتى قضاة المحاكم وأهل الجمالية وسائر الأخطاط بما تحوى من الوكايل والعطارين والزياتين والجزارين والمزينين والحدادين وجميع الصنايع والحرف ، حتى الحواة والمغزلكين والساخرين والقرداتية والأمور السافلة ، كل طائفة من هذه الطوائف ألزمت بمال له صورة مثل ثلاثين ألف ريال فرنساوى إلى ثلاثمائة فما فوق ، وأما شيخ السادات فإنه لما توجه إلى داره وصحبته العسكر جلس العسكر عند بابه ، فلما مضت حصة من الليل حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضاً فأركبوه وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه فى مكان ، فأرسل إلى عثمان بيك البرديسى فتكلم فى شأنه ، فقال كبير الفرنسيس : أما القتل فلا نقتله ، وأما المال لابد من دفعه ، ثم قبضوا على مقدمه وفراشه وحبسوهما أيضاً ، ثم أنزلوه إلى بيت قايمقام فحبس به يومين ، ثم أصعدوه إلى القلعة ثانياً وسجنوه فى حاصل مظلم ينام فيه من غير فراش ، فطلب زين الفقار كتخدا فطلع إليه هو وبرطلمين فتوسطا فى إنزاله لداره ؛ ليقضى أشغاله ويسعى فى تحصيل المطلوب فأنزلوه ، فجمع ما أمكنه من النقد وما وجده من المصاغ والفراء والملابس فقوموه بأبخس الأثمان ، فبلغ المدفوع نقدية ومقومات إحدى وعشرين ألف فرانسي ، كل هذا والمحافظون عليه من العسكر ملازمون له لا يفارقونه ولا يتركونه[1] يدخل إلى حريمه ، وكان حريمه اختفوا بمكان ، فلما فرغوا فى تقويم الأعيان وقبض الدراهم ، جاسوا خلال الديار يفتشون ويحفرون

---

(١) فى الأصل : يتركوه .

الأرض حتى فتحوا الكنفات ، فلم يجدوا شيئاً ، ثم نقلوه إلى بيت قايمقام وشددوا عليه بالحبس والضرب وطلبوا حريمه وابنه فلم يجدوهما ، فأحضروا ابن السندوبى تابعه وقرروه وهددوه فعرفهم بمكانهما ، فأحضروهما وحبسوا ابنه عند أغاة الانكشارية ، وحبسوا حريمه معه لترى وتشاهد ما هو فيه من الضيق والإهانة فتقربا بالدراهم ، ثم إن الشيخ الشرقاوى والمهدى والفيومى وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها إلى مكان آخر فنقلوها إلى بيت الفيومى ، وبقى الشيخ على حاله ، وأخذوا يقررون أتباعه على ما يعلمونه ، وتغيب أكثر اتباعه واختفى ، وقد وقعت المراجعة والشفاعه فى غرامة الشيخ الصاوى والشيخ عبد الفتاح الجوهرى ونهوها ، وتقرر على كل منهما خمسة عشر ألف فرنساوى ، وردوا الباقى على الفردة العامة .

وأما الشيخ محمد ابن الشيخ الجوهرى فإنه اختفى فلم يجدوه ، فنهبوا داره ودار نسيبه وصهره المعروف بالشويخ ، ثم أنه توسل سراً بالست نفيسة زوجة مراد بيك ، فأرسلت إلى مرار بيك وهو بالقرب من الفشن ، فأرسل من طرفه كاشفاً وتشفع فيه ، فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضاً على الفردة العامة ، وكان هذا شأنهم كلما وقعت المرافعة[1] فى شيء ردوه على الباقى ولا ينقصون مما قرروه فى الأصل شيئاً ، ثم إن يعقوب اللعين عمل ديوانا لخاصة نفسه ، ورتبه ببيت البارودى ، وأحضر المباشرين ومشايخ الحرف والأخطاط ، وكتب القوايم ، وقرر على الأماكن والعقارات والأوقاف أجرة سنة ، وألزم كل كبير فى خطة بتحصيل ما تقرر على جهته ، وأعطوهم عسكراً من الفرنسيس يستعينون بهم ،

(١) يقصد بالمرافعة رفع الغرامة .

فى التحصيل ، وعمل كل كبير فى جهة له ديواناً ، واجتمع عنده كتبة مختصة به قبطة ومسلمون وأعوان وبعض من عسكر الفرنسيس ، فطلبوا من النـاس ضعف ما قرره يعقوب ليكتسبوه لأنفسهم وبثوا أعوانهم من القواسه وعسكر الفرنسيس فى طلب الناس وحبسهم وضربهم وعقابهم ، والمرجع فى ذلك كله إلى الديوان الكبير ، وهو ديوان يعقوب فدُهى الناس بهذه الداهية ، التى لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها ، ومضى عيد النحر ولم يشعر به أحد . ونزل بهم من البلاء ، والذل ما لا يوصف ، فإن الواحد من الناس غنياً كان أو فقيراً لابد وأن يكون من ذوى الصنايع أو الحرف فيلزمه شقص[1] ما ، وزع عليه فى حرفته أو حرفَتَيْه وأجرة داره أيضاً وحانوته سنة معجلة ، فكان يأتى على الشخص الواحد غرامتان أو ثلاث أو أكثر ، إذ يتجر الإنسان فى بضايع متعددة ، وكل نوع من أنواع المتاجر ألزم أهله بغرامة ، وفرغت الناس من الدراهم ، واحتاج كل واحد إلى الاقتراض ، فلم يجد من يدفع له على سبيل الإقتراض ، لإشتغال كل إنسان بغرامته ومصيبته ، فاضطروا لبيع المتاع ، فلم يجدوا من يشتريه أيضاً ، وإذا أعطوهم ذلك فلا يقبلوه ، فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه .

ثم وقع الترجى فى قبول المصاغ والحلى وأوانى الذهب والفضة ، فإذا أحضر الإنسان قوّم بأبخس الأثمان ، وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبس فلا يوجد من يأخذها[2] ، وأمروا بجمع البغال ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقاً سوى

---

(١) الشقص بالكسر السهم والنصيب .

(٢) فى لأصل من يأخذه .

خمسة أنفار وهم الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وأحمد بن محمود محرم ، والنصارى لا حرج عليهم .

وفى كل وقت وحين يشتد الطلب وينبث المعينون من القواسة والعساكر فى طلب الناس وهجم الدور وسحب الأشخاص بالكره والعنف حتى النساء من أكابر وأصاغر فيأتون بهم على أسوأ حال ؛ ويهينونهم[1] ويحبسونهم ويضربونهم ، والذى لم يجدوه كان فاراً أو مخبأ يقبضون على ابنه أو زوجته أو قريبه أو ينهبون داره ، فإن لم يجدوا شيئاً ردوا غرامته على أبناء جنسه ، وأهل حرفته ، إن كانت الغرامة من قبل الحرفة ، فإن كانت من قبل الحانوت أو المنزل ، ردوها على جيرانه ، وتطاولت النصارى البلدية على المسلمين بالسب والضرب والاستهزاء والسخرية ، ونالوا منهم أغراضهم ، وطعنوا فى دين الإسلام ، وصرحوا بانقضائه ، وإذا ضربوا مسلماً وتألم واستغاث يقولون له : وأين محمدكم الذى تزعمون أنه يشفع لكم ؟ . وأمثال هذا الكلام الذى يقشعر القلب من سماعه ، هذا والكتبة والمهندسون والبناءون يطوفون ويحررون أجر الأماكن والعقارات ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها ، وخرجت الناس من المدينة وهربوا إلى القرى والأرياف ، وكان ممن خرج من مصر صاحبنا المشار إليه[2] ، فتوجه لجهة الصعيد ، وأقام بأسيوط حتى لم يبق بمصر أحد من الفرنسيس ، رجع فكانت[3] مدة غيبته نحو ثمانية عشر شهراً ، وكان كثيراً ما يراسلنى بالمكاتبة ويبالغ فى ذكر تشوقه إلى مصر .

(١) فى الأصل يهينوهم .
(٢) هو الشيخ حسن العطار .
(٣) فى الأصل فكان .

ومن جملة رسائله وقد أرسلت له كتاباً ، فأجاب بقوله : قد وصل إلى أعزك الله كتابك الذى برد بوروده لهيب الحشا ، وأودع من البلاغة مانطق بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشا ، فهو كالبرد الموشى ، والروض الذى هو بلآلىء الزهور مغشىء جاء مفصحاً عن بلاغة وبراعة ، مبنىء عن قريحة لدى تحرير المقول وتحبيره منقادة مطواعة ، ففى كل سطر منه شطر من المنى ، وفى كل لفظ منه عقد من الدر فلله هو من كتاب جمع محاسن الخطاب ، حرك عندى ما كان كامناً فى الفؤاد ، وأضرم فى الحشا نار الهوى كورى الزناد ، وطالما قد كنت متشوقا لأخبار ، ومتشوقاً لاستعلام أحوال وأثار ، فجاء كتابك ياسيدى شافياً عليل التذكر ، مبرداً غليل التشوق والتفكر ، سرت حمياً ألفاظه فى فؤاد المشوق ، ووقعت عنده موقع لقاء العاشق المعشوق ، فلله من كتاب أخبر عن محاسن الأحبة . وقال له القلب حين مازجه وحبّه ، إيه أحاديث نعمان وساكنه . وهات حديثاً عن نجد وقاطنه . تلك شؤون طال بها العهد . وانجر عليها ذيل الحوادث وامتد . وما كنت أوثر أن يمتد بى الزمان . حتى أرى الأسفار تتلاعب بى كالكرة فى ميدان البلدان . حصل لى القهر بخروجى من القاهرة ، واغبر أحضر أيامى الزاهرة . ولقد ألجأتنى خطوب الاغتراب ، واضطرتنى شؤون السفر الذى هو قطعة من العذاب ، إلى التقلب فى قوالب الاكتساب والتلبس بجلابيس الانتساب ، وأخفى معالم المجىء والذهاب :

فطورا شيخُ زاوية وفقر ‏ ‏ ‏ وأخرى كاتب فى بيت والى
أسلك الوفاق مع الرفاق ‏ ‏ ‏ ولا أركب المشاق بجلب الشقاق

طوراً يمان إذ لاقيت ذا يمن ۞ وإن رأيت معديا فعدنانى

وبهذا وأشباهه تم الدست ، وبَتّتْ حبل الحيلة أمنا من السبت ، بأخذى بالتخلق بأخلاق من عاصرنا من أبناء الدهر ، الذين حلبوا أشطره ، ومارسوا أخضر العيش وأغبره ، حتى انطبعت فى مرآة عقولهم حقايق الأشياء ، ولاحت لهم أكنتها بغير خفاء ، وغير خاف أن الماء يمازج اللبن والراح ، وكما يكون به الحتف يكون به الارتياح :

لئن كنت فى بعض المواضع عالماً ۞ فَلَلجهل فى بعض المواضع أحوج

وقد كنت من الشوق الذى جلبه كتابك أطير إليك بلا جناح ، وأركب متن اليم بائيا[1] بالهلك أو بالنجاح ، وكان من أقوى أسباب القدوم مشاهدة طلعتكم المزرية بأزهار النجوم ، ولقاء أحباب ينفتح بهم باب المسرة ، ونفوح عبير الرياض ، التى بعدنا صارت مغبرة ، فحين عزمت على السفر وهممت ، وأخذت فى الاستعداد وتأهبت ، حدثت عوايق فى الطريق وموانع ، ولا وَزَر مما قضى الله شافع ، بسبب النكر نتيجات التى هى من البلاء والآفات ، أقيمت كالشجا فى فم البر البحر ، بداعيه أمر الطاعون التى يتلى علينا من حديثه سورة الانشقاق والفجْر ، وحلوله بالقاهرة وضواحيها ، وانتشاره فى أرجائها ونواحيها ، وكل هذا هين بالنسبة للمتوقع التى كادت الأفئدة من أصغره السابق تتقطع ، وبه كان فراق الوطن ، ونوى عن الأهل والسكن ، فحينئذ تحققت أن لا خلاص من هذه

---

(١) النقل باء يبوء بمعنى رجع ولم تسمع هذه الصيغة .

البلاد ولات حين مناص ، إذ لا يلدغ مسلم من عقرب مرتين ، ولا يسكر العاقل على نفسه بالندامة كرتين ، فراجعت نفسي عما عزمت عليه من السفر ، وأشفقت عليها من ورود موارد الخطل والخطر ، وخاطبت ما هجس فى البال من السفر والارتحال الذى قواه مطالعة كتابك وأيقظه من وقدته سحر خطابك .

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

ثم أطال فى أغراض أخرى ، وجال فى أساليب الكلام وفنونه .

ثم رجع أكثر الناس الفارين لضيق القرى ، وعدم ما يتعيشون به فيها ، واختلاف الأرياف وانزعاجها بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار ، والقتل فيما بينهم ، وتعدى القوى على الضعيف ، واستمرت أسواق المدينة مقفرة ، والطرق معفرة ، والحوانيت مقفولة والعقول مخبولة ، والوكائل مغلوقة[1] ، والنفوس مطبوقة[2] ، والفرامات هاطلة ، والأرزاق عاطلة[3] ، والمطالب والمصائب عميمة ، والمكوسات مقصودة ، والشفاعات مردودة .

وإذا أراد الإنسان أن يفر إلى أبعد مكان ، وينجو بنفسه ويرضى بغير أبناء جنسه ، لا يجد طريقا للذهاب ، وخصوصاً من أشرار الأعراب ، الذين ، هم أقبح الأجناس ، وأعظم بلاء محيط بالناس ، وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد .

---

(١) الصحيح مغلقة .

(٢) الصحيح مطبقة .

(٣) الصحيح معطلة .

وفى عشرينه انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى إلى بيت القيسرلى بالميدان ، ووقع التشديد فى الطلب والانتقام بأدنى سبب ، وانقضى هذا وماجرى فيه من الحوادث العظام بإقليم مصر والشام والروم والبيت الحرام ، فمنها وهو أعظمها تعطيل الثغور ومنع المسافرين براً وبحراً ، ووقوف الإنكليز بثغر الإسكندرية ودمياط يمنعون الصادر والوارد ، وتخطوا بمراكبهم أيضاً إلى بحر القُلْزم ، ومنها انقطاع الحج فى هذا العام أيضاً ، ومنها وقوف العرب وقطاع الطريق بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والدقهلية وسائر النواحى ، فمنعوا السبل ولو بالخفارة ، وقطعوا طريق السفار ونهبوا المارين من أبناء السبيل والتجار ، وتسلطوا على القرى والفلاحين وأهل البلاد بالعرى والخطف للمتاع والمواشى من البقر والغنم والجمال والحمير وإفساد المزارع ورعيها ، حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج بمواشيهم إلى المزارع للرعى والسقى لترصد العرب لذلك ، ووثب أهل القرى على بعضهم وتلبسوا بأنواع الشرور ، واستعان بعضهم على بعض بالعرب فداخلوهم وتطاولوا عليهم وضربوا عليهم الضرائب ، وتقوى القوى على الضعيف وطمعت العرب فى أهل البلاد وطالبوهم بالثارات والعوايد القديمة الكذابة ، وآن وقت حصاد الزروع ، فاضطروا لمصالحتهم، ولما انقضتْ حروب الفرنسيس نزل عسكرهم إلى البلاد واحتجوا على الفلاحين بمصادقتهم للعرب ، فنهبوهم وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة ، فإذا انتقلوا عنهم رجعت العرب على إثرهم فلا يمكن أهل البلاد منعهم، وهكذا استمر الحال ، ومنها أن النيل قصر مدة فى هذه السنة ، فشرقت البلاد وارتحل أهل البحيرة إلى المنوفية

والغربية فانسحبت أرجل عربان البحيرة معهم ، وبقى لهم كما قال العامة فى المثل بالحى تحيّل ، ومنها أنه لما حضرت عساكر العثمانية وشاع أمر الصلح وخضوع الفرنساوية ، نزل طائفة من الفرنسيس إلى المنوفية ، وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم ، فلما مروا بالمحلة الكبيرة ، تعصب أهلها واجتمعوا على قاضيها وخرجوا لحربهم ، فأمكن الفرنسيس لهم وضربوهم بالمدافع والبنادق ، فمات من أهل البلد نيف وستمائة إنسان ، وفيهم القاضى وغيره ، ولم ينج منهم إلا من فر ، وكذلك أهل طندتا عند حضور الفرنسيس إليهم صادف أنه وصل إليهم رجل من الجزارين المنتسبين للعثمانية من جهة الشرق بقصد زيارة سيدى أحمد البدوى وهو راكب على فرس وحوله نحو خمسة أنفار ، وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة يقضون أشغالهم ، فصاحت السوقية والبياعه عند رؤية ذلك الرجل بقولهم : نصر الله الإسلام وهاجوا وماجوا وزغرطت النساء والصبيان ، وسخروا بالفرنسيس وتراموا على رؤسهم وضربوهم وجرجروهم وطردوهم ، فانسحبوا من عندهم فغابوا ثلاثة أيام ، ورجعوا إليهم بجمع من عسكرهم ومعهم آلات الحرب والمدافع فاحتاطوا بالبلدة وضربوا عليها مدفعاً ، ثم هجموا على البلد ودخلوها ، وبأيديهم السيوف مسلولة ويقدمهم طبلهم ، وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم أولاد الخادم ، وهم ملتزمون البلدة وأكابرها ومتهمون بكثرة المال ، وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم بإيعاز(١) النصارى القبط وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسى بحجة مسالمتهم للعرب ، فلما وصلوا إلى دورهم طلبوهم وأخذوهم خارج البلد وقيدوهم ، وأقاموا نحو خمسة أيام يأخذون كل يوم من

(١) فى الأصل بأمر .

البلد كلفة وقدرها من الدراهم ستمائة ريال ، ومن الأغنام والجواميس والأقوات شيء كثير ، ثم ارتحلوا ، وأخذوا المذكورين صحبتهم إلى منوف ، وحبسوهم أياماً ، ثم نقلوهم إلى الجيزة فى مدة الحرب بمصر ، فلما انقضت تلك الأيام ومشت عساكرهم فى البلاد ، نزلت طائفة إلى طانطة وبصحبتهم الجماعة المذكورون وفردوا عليهم إحدى وخمسين ألف ريال فرانسى ، وعلى أهل البلد مائة ألف ، وأقاموا حول البلد محافظين عليهم ، وأطلقوا بعضهم وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم ، لأنه صاحب الأكثر فى الوظيفة والالتزام ، وطالبوه بالمال ، وفى كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب حتى على كفوف يديه ورجليه وربطونه بالشمس فى قوة الحر والوقت صيف ، وهو رجل جسيم كبير الكرش فظهرت له نفاخات ، ثم أخذوا خليفة المقام وذهبوا به إلى منوف ثم ردوه وولوه وآسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد ، فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك ، واستمر الحال على ذلك إلى آخر العام ، حتى أخذوا الطلايع الذهب التى على المقام ، وكانت من ذهب خالص وزنها نحو خمسة آلاف مثقال .

وأما المحلة الكبرى ، فإنهم رجعوا عليها وجعلوا عليها نيفا ومائة ألف ريال فرانسة وأخذوا فى تحصيلها وتوزيعها على الناس ، وهجموا عليهم فى الدور(١) وتتبعوا الأغنياء من أهلها ، كل ذلك مع إستمرار طلب الكلف الشاقة فى كل يوم منها ومن طنطا والتعنت عليهم وتسلط طوائف الكشوفية التابعين لهم ، الذين هم أقبح فى الظلم من الفرنسيس بل ومن العرب ، فإنهم معظم البلاء أيضاً ، لأنهم

(١) فى الأصل «دور».

يعرفون دسايس البلاد وخفاياتها ، ويتتبعون أحوال أهلها ويتجسسون على عوراتهم ويُغْرون بهم. واستمروا على ذلك أيضاً .

ومنها أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية أرسل حضرة الوزير فرمانات إلى الثغور بالإطلاق الأساقيل وحضور المراكب والتجار بالبضايع والتجارات إلى الثغور المصرية ، فحضر عدة مراكب إلى ثغر الإسكندرية وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر . فلما قربوا من الثغر أقامت أهل المراكب البنديرات وضربوا مدافع الشنك فطمّنهم الفرنساوية وأظهروا لهم المسالمة وأقاموا لهم البنديرات العثمانية ، فدخلوا إلى المينة ورموا المراسى ووقعوا فى فخ الفرنسيس فاستولوا على الجميع ، وأخذوا مدافعهم وسلاحهم وحبسوا القباطين وأعيان التجار ، وأخذوا المراكبية والغليونجية والمتسببين ، وأكثرهم نصارى أروام ومجرجيه وهم عدة وافرة وأعطوهم سلاحاً ، وتزى البعض بزيهم وأضافوهم بعسكرهم وأرسلوا منهم طائفة لمصر فكانوا أقبح حالاً من الفرنسيس فى تسلطهم بالإيذاء على المسلمين ، ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضايع ويميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم ، وكان ذلك فى وسط شهر ذى القعدة .

ومنها أنه بعد نقض الصلح أرسل الفرنسيس عسكراً إلى مقسلم السويس الذى كان تولاها من طرف حضرة الوزير ، فتعصب معه أهل البندر وحاربوهم فتغلب الفرنسيس وقتلوا جماعة ونهبوا البندر وما فيه من أنواع المتجر بحواصل التجار وغير ذلك

ومنها أن مراد بيك عند توجهه للصعيد بعد انقضاء الصلح أخذ ما جمعه

درويش باشا من الصعيد من أغنام وخيول وميرة وكان شيئاً كثيراً ، فتسلمه منه وعدى درويش باشا لجهة الشرقية متوجهاً إلى الشام ، وأرسل مراد بيك ما تسلمه لكبير الفرنسيس بمصر .

ومنها أنه بعد انقضاء المحاربة ، واستيلاء الفرنسيس على المخازن والغلال التي كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية وبعض البلاد الغربية وغيرها والشعير والتبن ، طلب الفرنساوية مثل ذلك وفردوا على البلاد غلالاً وشعيراً وفولاً وتبناً وزادوا خيلاً وجمالاً فوقع على كل إقليم ألف فرس وألف جمل سوى ما يدفع مصالحة على قبولها نحو ثمنها وأزيد ، وكذلك التعنت في نقص الغلال وغربلتها وغير ذلك ، وكل ذلك بإرشاد النصارى القبطة لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة وتقاسموا الأقاليم والتزموا لهم بجمع الأموال ، ونزل كل كبير منهم إلى إقليم وأقام أبهة نفسه وتمثل في صورة أمير كبير ومعه عدة من العساكر الفرنساوية ، وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجاب ، وتقاد بين يديه الجنايب والبغال والرهونات والخيول المسومة والنواعة والمقدمون وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة ، ويرسل إلى ولايات الأقاليم من جهة المستوفين من القبط أيضاً بمنزلة الكشاف ومعهم العسكر من الفرنسيس والطوائف والجاويشية والصيارف والمقدمون على الشرح المار ، فينزلون على البلاد والقرى ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ويضربون لهم أجلاً بالساعات ، فإن مضت ولم يوفوهم المطلوب حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب والسبي ، وخصوصاً إذا فر مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم ، وإلا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع

والنكسارات على مفاصلهم وركبهم وسحبوهم معهم فى الحبال، وأذاقوهم العذاب والنكال، وخاف الباقون فصانعوهم واتباعهم بالبراطيل والرشوات وانضم إليهم الأسافل من القبط والأرازل من المنافقين، وتقربوا إليهم بما يستميلون به قلوبهم وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم، وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم وما يوجبه الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم.

ثم دخلت سنة (١٢١٥) خمسة عشر ومائتين وألف، كان إبتداء المحرم يوم الأحد فى خامسه أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس وهى المرة الثالثة، وفيه أشيع حضور مراكب وغلايين سلطانية إلى ثغر إسكندرية وسافر كبير الفرنسيس وصحبته عساكر فغاب أياماً ثم رجع ولم يظهر لهذا الخبر أثر، وفى حادى عشرينه أعادوا الشيخ أحمد العريشى إلى القضاء كما كان وعملوا له موكباً، وركب معه أعيان الفرنسيس وصوارى عساكرهم بطبولهم وزمورهم وبجانبه قايمقام عبد الله منوا الذى كان صارى عسكر برشيد، فلم يزالوا معه حتى وصل إلى المحكمة.

وفى ذلك اليوم وقعت نادرة غريبة وهو أن كليبر كبير الفرنسيس كان مع كبير المهندسين من الفرنسيس يسيران بدهليز البستان الذى فى داره فدخل عليه شخص وقصده، فأشار عليه بالرجوع، وقال له: مافيش وكررها، فلم يرجع وأوهمه أنه صاحب حاجة، وهو ملهوف، فلما دنا منه مد إليه يده اليسار، فمد إليه الآخر يده، فقبض عليها وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى ثلاث ضربات متوالية، فسقط إلى الأرض صارخاً، فصاح رفيقه، فذهب إليه وضربه أيضاً ضربات، وهرب، فسمع العسكر صرخة المهندس، فدخلوا مسرعين، فوجدوه

كبيرهم مطروحاً وبه بعض الرمق ، فانزعجوا وضربوا طبلهم وجردوا[1] من كل ناحية يفتشون على القاتل ، واجتمع العساكر ورؤساهم وهرعوا إلى الحصون والقلاع ، وظنوا أنها من فعل أهل مصر ، فاحتاطوا بالبلد وعمروا المدافع والبنبات وقالوا : لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم ، ووقعت دوجة عظيمة فى الناس وكرشة وشدة انزعاج ، وأكثرهم لا يدرى حقيقة الحال ، ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه مرمياً فى البستان المجاور لبيت صارى عسكر المعروف بغيط مصباح ، بجانب حيط متهدم ، فقبضوا عليه ، فوجدوه شامياً ، فأحضروه وسألوه عن إسمه وعمره وبلده ، فوجدوه حلبياً واسمه سليمان ، فسألوه عن محل مأواه ، فأخبرهم أنه يأوى ويبيت بالجامع الأزهر ، فسألوه عن معارفه ورفقائه وهل أخبر أحداً بفعله ، وهل شاركه أحد فى رأيه ؟ وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك ، وكم له بمصر ، وعن صنعته وملته ، فأخبرهم أنه على النبى صلى الله عليه وسلم[2] ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، وصنعته كاتب عربى ، وله فى مصر خمسة أشهر ، وأنه حضر إلى مصر سابقاً ، وسكن بها ثلاث سنوات ، فسألوه : هل يعرف الوزير الأعظم ، فأخبر أنه لا يعرفه ، ولم يزالوا يسألونه عن مسائل ويدققون معه ، وهو يخلط لهم ويغالطهم ، فلما علموا منه المغالطة ضربوه وعاقبوه ، حتى أقر لهم أنه حضر من غزة من نحو ثلاثين يوماً ، وحضر على هجين فى ستة أيام بقصـــد قتل صارى عسكر ، وأن الذى أرسله أغاة الإنكشارية ، وذلك بعد رجوع العثمانية من مصر إلى الشام ، فسألوه : هل سارّ أحداً من أهل مصر وأخبره عن حقيقة حاله وكشف له سره ، فأخبرهم

---

(١) لعلها جروا .
(٢) لعلها على دين النبى الخ .

أنه السيد محمد القدسى والسيد أحمد الوالى والشيخ عبد الله الغزى والسيد عبد القادر الغزى ، وأشاروا عليه أن يرجع عن هذا الفعل ، فإنه لا يمكنه ويموت ، وأن أمس تاريخه قال لهم : إن مراده يقضى غرضه فى غد ، ثم إنه ذهب إلى الجيزة واستخبر من نواتية القنجة التى لنصارى عسكر حتى علم بنزوله وتعديته إلى مصر ، فلم يزل يراصده ، حتى وصل إلى داره بالأزبكية وقضى غرضه ، ثم إنهم تركوا ما كانوا عليه من حرب البلد حتى تبينت لهم حقيقة الحال ، وأمروا بإحضار الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ أحمد العريشى وأعلموهم بذلك ، وعوقوهم إلى نصف الليل ، وألزموهم بإحضار الجماعة الذى ذكرهم ، فركبوا وصحبتهم الأغا وحضروا إلى الجامع الأزهر ، وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة ، ولم يجدوا الرابع ، فأخذهم الأغا وحبسهم ببيت قائمقام بالأزبكية ، ثم إنهم رتبوا صورة محاكمة من رؤسائهم ومدبريهم ، وعملوا صورة دعوى وشهود وتحاكموا فيما بينهم بعد إقامة الدعوى والفحص فحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين ، لكونهم لما سمعوا منه وأخبرهم ليلة أمس بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ، كان الواجب عليهم أن يخبروا الفرنسيس بذلك ، وكان من جملة من أخبر عنهم أنه عاشره واجتمع به مصطفى أفندى البرصلى الخطاط ، فأحضروه أيضاً وسألوه ونجاه الله منهم ، لكونه لم يخبره بقصده ، وأنه عاشره فى مدة إقامته السابقة بمصر ، وكان يتعلم منه تجويد الخط ، فحكموا ببراءته وأطلقوا سبيله ، وانقضت الحكومة وألفوا فى ذلك كتاباً فى حجم الثلاث كراريس ، ذكروا فيه صورة الواقعة وكيفيتها والفحص عن القاتل وإحضار الشهود وإقرارهم وترتيب الحكمة ومحاكمة القضاة وأسمائهم وتفصيل الدعوى ، وبصموا فى ذلك جملة نسخ باللغات الثلاث : العربية والتركية والفرنساوية ، ولما فرغوا من ذلك

اشتغلوا بأمر صارى عسكرهم المقتول ، فنقلوه إلى بيت حسن كاشف جركس ، الذى بالناصرية ، وصنعوا له صندوقاً من رصاص مُسَنَّم الغطا ، وربما أخرجوا حشوته وطلوه بالأدهان الماسكة لأجزائه ووضعوه فى ذلك الصندوق ، ولحموا عليه الغطاء بالرصاص مذوب[1] .

وكانت قتلته يوم السبت حادي وعشرينه وقضوا أشغالهم فى يومين ، ونادوا ليلة الثالث فى المدينة بالكنس والرش فى جهات عينها حكام الشرطة ، فلما أصبحوا وضعوا ذلك الصندوق فى عربة ، ووضعوا عليه برنيطته وسيفه والشيش الذى قتل به ، وهو مغموس بدمه ، وعملوا فى العربة أربعة[2] بيارق صغار فى أركانها معمولة بشعر ، وذهبوا إلى الأزبكية من طريق المدابغ ، واجتمع أكابرهم وعساكرهم ، وكذلك أحضروا أكابر المسلمين من المشايخ والوجاقلية والتجار وخرجوا بموكب مُشَهَّر[3] ركبانا ومشاة ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة ، والعسكر بأيديهم البنادق وهى منكسة إلى أسفل ، وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقة حرير سوداء ، ولبَّسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السوداء وعليها قصب مخيش ، ثم انجرت جنازته ، وضربوا لها شنك مدافع وبيارق ومروا بها من طريق الموسكى على باب الخرق إلى ضرب الجاميز إلى جهة الناصرية ، فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة التى بنوها هناك ، وضربوا عدة مدافع ، وكانوا أحضروا سليمان الحلبى القاتل والثلاثة أنفار المظلومين ، فخوزقوا فى ذلك الوقت الشهيد سليمان وضربوا رقاب الثلاثة ،

---

(١) الصحيح مذابا .
(٢) فى الأصل أربع بيارق صغار فى أركانها معمولة .
(٣) فى الأصل مشهرة ولعله يريد مشهور أو مشهر أو مشهود .

وحرقوا أبدانهم ، ورفعوا رؤسهم على خوازيق بجانبه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر العينى ، فرفعوا الصندوق الرصاص ووضعوه على علوة من التراب ، بوسط تخشيبة صنعوها ، وأعدوها لذلك ، وعملوا حولها درابزون وفوقه كساء أبيض ، وزرعوا حوله أعواد سرو ، ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ، ملازمين[1] ليلا ونهاراً يتناوبان[2] الملازمة على الدوام ، وانقضى أمره وذهب إلى لعنة الله .

وولوا عوضه قائمقام الذى يسمى عبد الله جاك منو ، وهو الذى كان متوليا[3] على رشيد عند أول قدومهم ، وكان أظهر أنه أسلم ، وتسمى بعبد الله ، وتزوج بامرأة مسلمة غصباً من أهلها ، وولوا قايمقام عوضه بليار ، فلما أصبح ثانى يوم حضر قائمقام والأغا إلى الأزهر ، ودخل إليه وشق فى جهاته وأروقته بحضرة المشايخ ، وفى ثانى يوم أيضاً حضر كبيرهم وقائمقام والأغا وطافوا به أيضاً ، وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السلاح ونحو ذلك ، ثم ذهبوا فشرع[4] المجاورون به فى نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم وإخلاء الأروقة ، ونقلوا الكتب الموقوفة به إلى أماكن خارجة عن الجامع ، وكتبوا أسماء المجاورين فى ورقة وأمروهم أن لا يبيت عندهم غريب ولا يأووا إليهم أفاقيا مطلقا وأخرجوا منه المجاورين من طائفة الترك ، ثم إن الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى توجهوا فى عصيرتها إلى عند كبير الفرنسيس منو ، واستأذنوه فى قفل الجامع وتسميره ،

---

(١) وفى الأصل ملازمان .

(٢) وفى الأصل يتناوبون .

(٣) وفى الأصل متولى .

(٤) وفى الأصل فشرعت .



الشيخ عبد الله الشرقاوي

فقال بعض القبطة الحاضرون للأشياخ هذا لا يصح ولا يتفق ، فحنق عليه الشيخ الشرقاوى وقال : اكفونا شر دسايسكم يا قبطة ، وقصد المشايخ من ذلك منع الريبة بالكلية ، فإن الأزهر لسعته لا يمكن الإحاطة[1] به ، فربما دس العدو من يبيت به واحتج بذلك على إنجاز غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقهاء ولا يمكن الاحتراس من ذلك ، فأذن كبير الفرنسيس بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطنا ، فلما أصبحوا أقفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات .

وفى غايته جمعوا الأوجاقلية وأمروهم بإحضارما عندهم من الأسلحة فأحضروا ما أحضروه فشددوا عليهم فى ذلك فقالوا لم يكن عندنا غير الذى أحضرناه ، فقالوا وأين الذى كنا نرى لمعانه عند متاريسكم ؟ فقالو : تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية ، وقد سافروابهم .

شهر صفر سنة ١٢١٥ استهل بيوم الثلاثاء ، فى أوائله سافر بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم إلى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم ، وبعضهم بعث حريمه وأقام هو ، فسافر الشيخ محمد الحريرى وأخذ معه حريم الشيخ السحيمى وصهره الشيخ المهدى ، فلما رآهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلةوأ كثروا المركب والجمال وغير ذلك ، فلما أشيع ذلك كتب الفرنسيس أوراقاً ونادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين ، ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوماًنهبت داره ، فرجع أكثر الناس ممن سافر وعزم على السفر إلاّ من أخذله ورقة بالإذن من مشاهير الناس ، أو احتج بعذر ، كأن يكون فى خدمة لهم ، أو قَبْضِ خَراجٍ من التزامه . وفيه قرروا فردة أخري وقدرها أربعة ملايين ، وقدر المليون مائة وستة

---

(١) فى الأصل الإحاطة من غير (به) .

وثمانون ألف فرانسه وكان الناس ماصدقوا قرب إتمام الفردة الأولى بعدما قاسوا من الشدايد مالا يوصف ومات أكثرهم فى المحبوس وتحت العقوبة ، وهرب الكثير منهم وخرجوا على وجوههم فى البلاد ، فدهوا بهذه الداهية العظيمة ، فقردوا على العقار والدور مائتى ألف فرانسه ، وعلى الملتزمين مائة وسعين ألفاً ، وعلى التجار مائتى ألف ، وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفاً ، واسقطوا فى نظير المنهوبات مائة ألف ، وقسموا البلد ثمانية أخطاط ، وجعلوا على كل خط خمسة وعشرين ألفاً ، ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحارات ، والأمير الساكن بتلك الخطة ، مثل المحتسب بجهة الحنفى وعمر شاه وسويقة السباعين وضرب الحجر ، ومثل زين الفقار كتخدا جملة المشهد الحسينى وخان الخليلى والنورية والصناديقية والأشرفية ، وحسن كاشف جهة الصليبية والخليفة ، وما فى ضمن كل من الجهات العطف والبيوت ، فشرعوا فى توزيع ذلك على الدور الساكنه ، وقسموها أعلى وأوسط وأدنى ، وجعلوا العالى ستين ريالا ، والأوسط أربعين ، والأدنى عشرين ، ويدفع المستأجر قدر مايدفع المالك ، والدار التى يجدونها[1] مغلقة وصاحبها غائب عنها يأخذون ماعليها من جيرانها .

وفى سادس عشرينه أفرجوا عن الشيخ السادات ، ونزل إلى بيته بعدان غلق الذى قرر عليه ، واستولوا على حصصه واقطاعه وقطعوا مرتباته وكذلك جهات حريمة والحصص الموقوفة على زاوية أجداده ، وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ، وأن لايركب بغير إذن منهم ، ويقتصد فى أموره ومعاشه ، ويقلل أتباعه .

---

(١) فى الاصل يجدوهامغلوقة ويأخذوا .

شهر ربيع الأول فيه نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها بأن من لم يحضر بعد اثنين وثلاثين يوماً من وقت المناداة نهبت داره وأحيط بموجوده وكان من المذنبين . واشتد الأمر بالناس وضاقت صدورهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ، ولاشفيع تقبل شفاعته ، أو متكلم تسمع كلمته ، واحتجب كبير الفرنسيس عن الناس وامتنع من مقابلة المسلمين ، وكذلك قادة عظمائهم ، وانحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أول ، واستوحشوا منهم ، ونزل بالرعية الذل والهوان وتطاولت عليهم الفرنسيس بالإهانة حتى صاروا يأمرونهم بالقيام إليهم عند مرورهم ، ثم شددوا فى ذلك حتى كان إذا مر بعض عظمائهم بالشارع ولم يقم اليه بعض الناس ، رجعت إليه الأعوان وقبضوا عليه وأصعدوه إلى الحبس بالقلعة ، وضربوه تأديباً وزجراً ، واستمر عدة أيام ثم يطلقونه[١] بشفاعة بعض الأعيان ، وفيه أنزلوا مصطفى باشا من الحبس وأهدوا إليه هدايا وأمتعة وأرسلوه إلى دمياط ، فأقام بها أياماً وتوفى لرحمة الله تعالى ، ولقد كان شجاعاً صارماً ورئيساً حازماً ، اعترف له أعداؤه بإقدامه فى وقعة أبى قير ، وكاد يبيدهم لولا مادهمه من تزايد مددهم الكثير ، ومع ذلك فلم يقع فى حبائلهم حتى أفنى الكثير من أبطالهم وحماتهم ، صبر فى ذلك اليوم على المجالدة والحرب وأدار راحات الهيجا بالطعن والضرب ، ولم يأل جهداً فى نكايتهم حتى أتاح له المقدور ما هو فى اللوح ، قبل أن يخلق ، مقدر مسطور ، فاستسلم للقضاء وقبل الحتم بالرضاء وتمثل بقول ما قال[٢] فى مثل هذه الحال .

ومن ظن ممن يلاقى الحروب   بأن لايصاب فقد ظن عجزا

---

(١) فى الاصل يطلقوه.
٢) وصحتها من قال .

شهر ربيع الثانى فيه اشتد أمر المطالبة بالمـال ، وعين لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله ، فظهر منه للناس مالا يوصف ، فـكان يدخل إلى دار [أى] [١] شخص كان لطلب المال وصحبته العساكر من الفرنسيس الفعالى[٢] وبأيديهم آلات الهدم فيأمرهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له للقرر وقت تاريخه من غير تأخير وخصوصاً ما فعله ببولاق ، فإنه كان يحبس الرجال مع النساء ويدخن عليهم بالقطن والمشاق [٣] وينوع عليهم العذاب ثم رجع إلى مصر يفعل ذلك .

وفيه أغلقوا جميع الوكايل ، والخانات على حين غفلة فى يوم واحـد ، وختموا على جميعهم[٤] ثم كانوا يفتحونهم[٥] وينهبون ما فيهم[٦] من جميع البضايع والأقمشة والعطري والدخان واللبن[٧] وغير ذلك خاناً بعد خان ، فإذا فتحوا حاصلاً من الحواصل قدموا[٨] مافيه بما أحبوا بأبخس الأثمان ، وحسبوا غرامته فإن بقى لهم شىء أخذوه من حاصل آخر جاره وإن زاد له شىء أحالوه على جاره كذلك ، وهكذا حتى أخلوا جميع الوكايل والخانات من سائر البضائع على الرجال والجمال والحمير والبغال وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على نهب أموالهم ، وإذا فتحوا حاصلاً ومخزناً دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) لعلها الفعالة أو الفعلة أى العمال .

(٣) المشاق : الثياب البالية — قاموس واحدها مشاقة بضم الميم .

(٤) الصحيح جميعها .

(٥) الصحيح يفتحونها .

(٦) الصحيح ما فيها .

(٧) لعله اللبان .

(٨) الصحيح قوموا .

مايجدونه من الودايع الخفيفة وصرر الدراهم والدنانير ويخفونها ، وصاحب الحال لا يقدر على الدنو منه[١] ولا يتكلم بل ربما هرب أو كان غائباً .

وفيه حرروا دفاتر العشور وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها أقلاماً مفردة يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر ، وجعلوا جامع أزبك الذى بالأزبكية سوقاً لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها ، وأقاموا على ذلك أياماً كثيرة يجتمعون لذلك فى كل يوم ، ويشترك الإثنان فأكثر فى القلم الواحد وفى أقلام متعددة . وفيه كثر الهدم فى الدور وخصوصاً فى دور الأمراء ، ومن فر من الناس ، وكثر الإهتمام بتعمير القلاع وتحصينها وإنشاء قلاع فى عدة جهات ، وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء وحواصل الجبخانات واستمر الحال على هذا[٢] النسق .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٥ والأمور من أنواع ما ذكر تتضاعف والظلمات تتكاثف وشرعوا فى هدم أخطاط الحسينية وخارج باب الفتوح وباب النصر من الحارات والدور والبيوت والمساكن والمساجد والحمامات والحوانيت والأضرحة ، فكانوا إذا دهموا داراً وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من نقل متاعهم ولا أخذ شىء من أنقاض دراهم ، فينهبونها ويهدمونها وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط إلى حيث عماراتهم وأبنيتهم وما يقع[٣] يبيعون منه ما أحبوا بأبخس الأثمان ولوقود النيران ، وما بقى من كسارات الخشب يجمله[٤] الفعلة حزماً ويبيعونه[٥] على الناس بأغلى الأثمان

(١) الصحيح الدنو منهم .
(٢) والأصح على هذا النسق .
(٣) لعلها وما بقى .
(٤) فى الأصل يجعلونه الفعلة .
(٥) وفى الأصل يبيعوه .

الهدم حطب الوقود ، فانهدم للناس من الأملاك والعقار مالا يقدرقدره وذلك مع مطالبتهم بما تقرر على أملاكهم ودورهم من الفردة فيجتمع على الشخص النهب والهدم والمطالبة فى آن واحد ، وبعد أن يدفع ما على داره وما صدق أنه غلق ما عليه دهموه بالهدم ، فيستغيث فلا يغاث ، فترى الناس حيارى وسكارى ، ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكسر من الفردة ، وذلك أنهم لمّا قسموا الأخطاط كما تقدم ، وتولى ذلك أمير الخطة وشيخ الحارة والكتبة والأعوان وزعوا ذلك برأيهم ومقتضى أغراضهم ، فأول ما يجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة فى كتابة التنابيه ، وهى أوراق صغار باسم الشخص والقدر المقرر عليه وعلى عقاره بحسب اجتهادهم ورأيهم ، وفى هامشها حق طريق المعين ، ويعطون لكل واحد من أولئك القواسة عدة من تلك الأوراق ، فقبل أن يفتح الإنسان عينيه لا[1] يشعر إلا والمعين واقف على بابه وبيده ذلك التنبيه فيوعده حتى يسعى على حاله فلا يجد بدأ من دفع حق الطريق، فما هو إلا أن يفارقه حتى يأتيه آخر بتنبيه مثله ، فيفعل معه مثل الأول وهكذا على عدد الساعات ، فإن لم يجد المعين المطلوب وقف ذلك القواس على داره ، ورفع سوطه وتطاول على حريمه أو خادمه بالسب والشتم ، فيسعى الشخص جهده حتى يغلق ما تقرر عليه الحال بشفاعة ذى وجاهة أو نصرانى، وما[2] يظن أنه خلص إلا والطلب لاحقه أيضاً بمين وتنبيه ، فيقول ما هذا فيقال له إن الفردة لم تكمل وبقى منها كذا وكذا ، وجعلنا على العشرة خمسة أو ثلاثة أو ما سولت لهم أنفسهم ، فيرى الشخص أنه لا بد من ذلك ، فما هو إلا أن خلص أيضاً إلا ويطالب بمنكسر آخر وهكذا كان الحال ومثل

---

(١) فى الاصل يشعر إلا والمعين ولعل الصواب ما ذكرناه .

(٢) زيادة يقتضيها تصحيح العبارة السليمة .

خلاف ما قرر على الملتزمين ، فكانت هذه الكسورات من أعظم الدواهى المتلفة وتكسى(١) الحى المطبقة .

وفى خامسه كان عيد الصليب وهو انتقال الشمس لبرج الميزان والاعتدال الخريفى ، وهو أول سنة الفرنسيس ، وهى السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ، ويسمى عندهم وند ميير وذلك يوم عيدهم العنوى ، فنادوا بالزينة بالنهار والوقدة بالليل ، وعملوا شنك ومدافع وحراقات ووقدات بالأزبكية والقلاع وخرجوا صبح ذلك اليوم بمواكبهم وعساكرهم وطبولهم وزمورهم إلى خارج باب النصر ، وعملوا مصافهم وملاعب حروبهم ، وخطب خطيبهم بعد انقضاء مصافهم ، فقرأ عليهم كلاماً بلغتهم على عاداتهم لا يدرى أين(٢) هو ، وكأنه موعظة حربية ثم رجعوا بعد الظهر .

واستهل شهر جمادى الثانى ، فيه قرروا على مشايخ البلاد مقررات يقومون بدفعها فى كل سنة أعلى وأدنى وأوسط ، الأعلى وهى البلدة التى مجتمع طينها ألف فدان فأكثر خمسمائة ريال ، والأوسط وهى ما كانت خمسمائة فدان فأزيد ، ثلاثمائة ريال ، والأدنى مائة وخمسون ، وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلا فى ذلك ، فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك ، وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له بريزون ، فلما شاع ذلك ضجت المشايخ لأن منهم من لا يملك عشاه ، فاتفقوا على توزيع ذلك على الأطيان ، وزيدت فى

---

(١) لعلها تكسات .

(٢) الصحيح ما هو .

الخراج ، واستملوا البلاد والكفور من القبطة ، فأملوها عليهم حتى الكفور التي أخرجت من مدة سنين، بل سموا أسماء من غير مسميات ، وفيه شرعوا في ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار مُتَعَمِّمين أي علماء لا غير ، وليس فيهم قبطي ولا وجقلي ولا شامي ولا غير ذلك ، وليس فيه خصوصي ولا عمومي على ما سبق شرحه ، بل هو ديوان واحد مركب من تسعة أشخاص و كاتبين مسلمين وكاتب فرنساوي وترجمانين كبير وصغير ، والوكيل المسمى بلسانهم كساري، ومعناه لفظ الوكيل ، واسم ذلك الوكيل فوريه ، ويقال له مدبر سياسة الأحكام الشرعية ، وجعلوا لخدمة ذلك الديوان مقدماً وخمسة رجل قواسة .

وفي خامس عشره شرعوا في جلسة ذلك الديوان ،وفي ثالث عشرينه أمروا بجمع(١) الشحاذين أي السُّأَّل ، وينفق عليهم نظار الأوقاف ، وفيه أيضاً أمروا بضبط إيراد الأوقاف ، وجعلوا المباشرين لذلك ، وكذلك الرِّزَق الأحباسية والأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا ، وأرسلوا بذلك إلى حكام البلاد والأقاليم .

وفي غايته حضر رجل إلى الديوان يشكو ويستغيث بأن قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قايمقام ، وهو رجل زيات ، وسبب ذلك أن امرأة جاءت إليه تشتري سمناً ، فقال لها لم يكن عندي سمن ، فكررت عليه السؤال حتى حنق منها ، فقالت له كأنك تخزنه حتى تبيعه على عسكر العثماني ، تريد بذلك السخرية ، فقال لها نعم رغماً على أنفك وأنف الفرنسيس ، فنقل ذلك غلام(٢) كان حاضراً معهما حتى أنهوه إلى قايمقام ، فأحضره وحبسه ، ويقول أبوه

---

(١) لعلهما جمع .

(٢) في الأصل غلاماً .

أخاف أن يقتلوه ، فقال الوكيل لا يقتل بمجرد هذا القول وكن مطمئنا ، فإن الفرنسيس لا يظلمون ، فلما كان فى اليوم الثانى قتل ذلك الرجل ومعه أربعة أنفار لا يدرى ذنبهم ، وذهبوا إلى رحمة الله سبحانه وتعالى .

واستهل شهر رجب والطلب والهدم والنهب والسلب مستمر ومتزايد ، وأبرزوا أوامر أيضاً بتقرير مليون على الصنايع والحرف يقومون بدفعه كل سنة ، وهو مائة ألف ريال فرانسه وستة وثمانون ألف فرانسة ، ويكون الدفع على ثلاث مرات ، كل أربعة أشهر يدفعو[1] من المقرر الثلث ، وهو إثنان وستون ألفاً ، فتحيرت أفكار الناس بما دهاهم ، واختلطت أذهانهم وزاد وسواسهم ، وأشيع أن يعقوب القبطى هو الذى تكفل بقبض ذلك من المسلمين ، ويقلد أمر ذلك إلى شكر الله وأقرانه من شياطين أقباط النصارى ، واختلفت الروايات ، فقيل إن قصده توزيعها ، وأن يجعلها على العقارات والدور ، وقيل بل قصده توزيعها بحسب الفردة السابقة ، وذلك عشرها لأن الفردة كانت عشرة ملايين ، فالذى دفع عشرة فى الفردة السابقة ، يدفع واحداً فى فردة المليون ، وذلك على الدوام والاستمرار ، ثم قيدوا لذلك شخصاً فرنساوياً يقال له دناويل ، وسموه مدبر الحرف ، فجمع الحرف وفرض عليهم كل عشرة أربعة ، فمن دفع عشرة فى الفردة يدفع أربعة الآن فعورض فى ذلك ، وقيل له : إن هذا غير المنقول[2] ، فقال هذا باعتبار من خرج من البلد ومن لم يدخل فى هذه كالمشايخ والفقهاء والقارين فإن الذى جعل عليهم أضيف على من بقى ، فاجتمعت التجار وتشاوروا فيما بينهم

(١) فى الأصل يدفعوا .

(٢) لعلها غير المعقول .

فى شأن ذلك ، فرأوا أن هذا شيء لا طاقة للناس به من وجوه : الأول وقف الحال وكساد الصنايع وانقطاع الأسفار وقلة ذات اليد وذهاب البقية التى كانت فى أيدى الناس فى النوازل والفرد والدواهى المتتابعة . الثانى أن الوكايين بالفردة السابقة وزعوا على التجار والمتسببين وكل من كان له اسم فى الدفتر من مدة سنين ثم ذهب ما فى يده وافتقر حاله وخلا حانوته وكيسه ، فألزموه بشقص[1] من ذلك وكلف به وكتب اسمه فى دفتر الدافعين ، ويلزمه ما يلزمهم ، وليس ذلك فى الإمكان . الثالث أن الحرفة التى دفعت مثلا ثلاثين[2] ألفا يلزمها ثلاثة آلاف فى السنة على الرأى الأول وعلى الثانى اثنى عشر ألفا ، وقد قل عددهم ، وأغلقت أكثر حوانيتهم لفقرهم وهجاجهم ، وخصوصا إذ ألزموا بذلك المليون يغرم الباقون ويبقى من لا يمكنه الفرار ، ولا قدرة للبعض بما يلزم الكل .

وفيه أمر وكيل الديوان بتحرير قائمة ضمنه[3] أسماء الذين تقلدوا قضاء البلدان من طرف القاضى ، والذين لم يتقلدوا ، وأخبر أن السر فى ذلك أن مناصب الأحكام الشرعية استقر النظر فيها له ، وأن لا بد من استئناف ولايات القضاء حتى قاضى مصر بالقرعة من ابتداء سنة الفرنساوية ، ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليدا من صارى عسكر الكبير فكتب له القائمة كما أشار ، وفى رابعه[4] قتلوا جماعة من المسلمين بالرميلة وغيرها ، ونودى عليهم : هذا جزاء من يذكر الفرنسيس والعثمانى ، وفى سادسه عملت قرعة قاضى مصر على شرطها لقاضى مصر وكررت ثلاث مرات ، فاستقرت الشيخ أحمد العريشى على ما هو عليه ، وكتب له التقليد بعد مدة طويلة .

---

(١) الشقص : السهم والنصيب ، والقليل من الكثير (القاموس) .
(٢) فى الأصل ثلاثون .
(٤) لعلها ضمنها .
(٣) فى الأصل وفيه رابعة .

وفى ثامنه قتل غلام وجارية بباب الشعرية ، ونودى عليهما : هذا جزاء من خان وغش وسعى بالإفساد ، فيقال إنهما كانا يخدمان فرنساويا فدسا له سما فى الطعام وقتلاه .

وفى تاسعه حضر جماعة الأوجاقليه إلى الديوان وذكروا أنهم كانوا تعهدوا بباقى الفردة المطلوبة من الملتزمين، وقدر ذلك الباقى خمسة وعشرون ألف ريال فرنساوى[1] وقد استدانوا لذلك قدراً من البن بمبلغ خمسة وثلاثين ألف فرانسه ليوفوا ما عليهم من الديون ، وأنهم أرسلوا إلى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج ، فامتنعوا من الدفع لهم ، وأخبروا أن الفرنسيس أمروهم بعدم دفع المال للملتزمين ، فكتب لهم عرض حال فى شأن ذلك ، وأرسل إلى كبير الفرنسيس ولم يرجع جوابه. وفى رابع عشره صنع الجنرال بليار المعروف بقايمقام وبشيخ البلد ، طعاماً ولمة ، ودعا مشايخ الديوان والأوجاقلية وأعيان التجار وأكابر نصارى القبط والشوام ، ومد أسمطة حافلة وتعشوا عنده ، ثم ذهبوا إلى بيوتهم.

وفى ثامن عشرينه طافوا بامرأتين فى شوارع مصر بين يدى الحاكم ينادى عليهما: هذا جزاء من يبيع الأحرار، وذلك أنهما باعتا امرأة لبعض نصارى الأروام بتسعة ريالات . وفيه طلب الخواجا الفرنسيسي المعروف بموسى كافو من الأوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها ، فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلاقها توقف الفلاحين بأمر الفرنساوية وعدم تحصيل المال من بلادهم ، ثم أحيلوا بعد كلام طويل على استوف الخازندار لأن ذلك من وظائفه لا من وظائف الديوان .

وفى سابع عشرينه حضر الأوجاقلية وصحبتهم بعض الأعيان وبعض النساء

---

(١) فى الأصل ألف ريالا فرنساويا وهو خطأ نحوى

الملتزمات يستغيثون بأرباب الديوان ويقولون إنه بلغنا بأن جمهور الفرنساوية يريدون وضع أيديهم على جميع الإلتزام المفروج عنه (١) الذى دفعوا حلوانه ومغارمه ، ويرفعون (٢) أيدى الملتزمين عن التصرف فى الإلتزام جملة كافية ، وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم يفرجوا لهم عن حصصهم ، إما لفرارهم وعودهم بالأمان ، وإما لقصر أيديهم عن الحلوان ، وإما لشراقى بلادهم ، وإما لانتظارهم الفرج ، وعود الدولة العثمانية ، فيتكرر عليهم الحلوان والمغارم لشراقى البلاد ، فلما طال المطال ، وضاق حال الناس ، أعرضوا(٣) أمرهم ، وطلبوا من الفرنسيس الإفراج عن بعض ما كان بأيديهم ليتعيشوا به ، ووقع فى ذلك بحث عظيم ومناقشات يطول شرحها ، ثم ما كفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروج عنه أيضاً ورفع أيدى المسلمين بالكلية ، وأنهم يستغيثون ويتشفعون بأهل الديوان عند صارى عسكر بأن يبقى لهم التزامهم يتعيشون به ويقضون ديونهم ، التى استدانوها فى الحلوان ومغارم الفردة ، فقال فوريه الوكيل : هل بلغكم ذلك من طريق صحيح ؟ فقالوا : نعم بلغنا من بعض الفرنساوية ، وقال الشيخ البكرى: وأنا سمعته من الخزندار ، وقال الشيخ المهدى مثل ذلك وأنهم يريدون تعويضهم فى أطيان الجمهور ، فقال الملتزمون : إن بيدنا التمسكينات والتمسكات من سلفكم بونابارته ، ومن السلاطين السابقين ونوابهم وقائمون بدفع الخراج كما كان أسلافنا وأسيادنا ونحو ذلك من الكلام ، ثم ذكروا أنه إذا رفعت أيديهم عن معايشهم أصبحوا فقراء وصعاليك ولا تأمنهم الناس ، واضطروا إلى الخروج من البلد ، وارتحلوا عنها ، وضربت

---

(١) هكذا فى الأصل والصحيح المفرج عنه

(٢) فى الأصل يرفعوا

(٣) اصلها عرضوا أمرهم

ديارهم ، وطال البحث والكلام في ذلك ، والوكيل مع هذا ينكر وقوع ذلك بالمرة[1] ويناقش أخرى إلى أن انتهى الكلام بقوله : إن الكلام في هذا أو أمثاله ليس من وظيفتي فإني حاكم سياسة الشريعة ، ولست مدبر أمر البلاد ، نعم وظيفتي المعاونة والنصح فقط .

وفي خامس عشرينه اتفق أن جماعة من أولاد البلد خرجوا إلى جهة الشيخ قمر بقصد النزهة ومعهم جماعة من أرباب الملاهي يغنون ويضحكون ، فنزل إليهم جماعة من العسكر الفرنساوية المقيمين بجامع الظاهر بيبرس ، الذي اتخذوه قلعة خارج الحسينية وقبضوا عليهم وحبسوهم وأرسلوا شخصاً منهم إلى قائمقام بليار ، وأخبروه بمكانهم ليستفسر عن شأنهم فلاقيه ثم رده إلى القلعة الظاهرية ثانياً ، فبات عند أصحابه ثم طلبهم في ثاني يوم فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر يحملون البنادق ، فقابلوه وعرف شأنهم وخلى سبيلهم ، فذهبوا إلى منازلهم .

واستهل شهر شعبان ، فيه أجيب الملتزمون بإبقاء التزامهم عليهم ، وأنكروا ما قيل في رفع أيديهم ، وعوتب من صدق هذه الكذبة ، وإن كانت صدرت من الخزندار فإنما هي كانت على سبيل الهزل ، أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل ، وفيه حصر التجار إلى الديوان وذكروا أمر المليون ، وأن قصدهم يجعلونه[2] موزعاً على الروس ولا يمكن غير ذلك ، وطال الكلام والبحث في خصوص ذلك ، ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى العقلاء من المسلمين ، وأنهم يجتمعون ويدبرون رأيهم في ذلك ، بشرط أن لا يتداخل معهم في هذا الأمر نصراني قبطي ، وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم وقوع الهرج في الناس والجور ، وأن لا يجعلوا

---

(١) لعلها مرة
(٢) في الأصل جعلوه

شيئا على النساء ولا على الصبيان ولا الفقهاء ولا الخدم ولا فقراء الرعية ، ويراعى في ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعتهم ومكاسبهم ، ثم ترجوا عندهم في أن يضيفوا إلى المدينة بولاق ومصر القديمة ، فلم يجابوا لذلك وجعلوهما مستقلين وقدروا عليهما قدراً آخر على ما قرروه على مصر .

وفيه لخصوا عرضا خطابا لكبير الفرنسيس ، ولطفوا فيه العبارات فأجابوهم إلى طلبتهم ما عدا بولاق ومصر القديمة ، وأخرجوا من أرباب الحرف الصيارفة والكياليين والقبانية ، وقرروا عليهم بمفردهم ستين ألف فرانسه خلاف ما يجيء عليهم من المليون أيضا ، يقومون بدفعها في كل سنة . ووجه تخصيص الثلاث حرف دون غيرها ان صنعتهم[1] من غير رأس مال . وفيه أفردوا ديوانًا لذلك ببيت داوود كاشف خلف جامع النورية ، وتقيد لذلك السيد أحمد الزرو وابراهيم أفندى كاتب البهار وأحمد افندى كاتب البهار واحمد بن محمود محرم وطائفة من الكتبة ، وشرعوا في تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم، وجعلوهم طبقات ،فيقولون فلان من نمرة عشرة أو نمرة خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ، ومشوا على هذا الإصلاح. وفيه أبطلوا عشور الحرير الذى يتوجه من دمياط إلى المحلة الكبرى. وفيه أرسل كبير الفرنسيس يسأل المشايخ عن الذين يدورون بالأسواق ويكشفون عوراتهم ويصيحون ويصرخون ويدعون الولاية وتعتقدهم العامة ، ولا يصلون صلاة المسلمين ، ولا يصومون ، أهذا جائز[2] في الإسلام أو حرام في الشريعة ؟ فأجابوه بأن ذلك حرام ومخالف لدينا وشرعنا وسنتنا ، فشكرهم على ذلك وأمر

(١) أى صنعة أصحابها أو أنها صنعة بغير رأس مال

(٢) فى الأصل هذا جائز الخ .

الحكام بمنعهم والقبض على من يرونه[١] بهذا الوصف . فإن كان مجنونا ربط في المارستان أو غير مجنون ، فإما أن يرجع عن حالته أو يخرج من البلد .

وفيه أرسل رئيس الأطباء الفرنساوى نسخاً من رسالة ألفها فى علاج الجدرى، لأرباب الديوان لكل واحد نسخة على سبيل المحبة بزعمه ، والهدية ليتناقلها الناس ويستعملوا[٢] ما أشار إليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ، فقبلوا منه ذلك وأرسلوا له جواباً يشكرون همه فى ذلك .

وفى حادى عشره وجدت امرأة مقتولة ببستان عمر كاشف بالقرب من قناطر السباع فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا ، وأخذوا القبطانية وحبسوهم ، وكان بصحبتهم القبطان الحاكم بالخط ، ولم يعلم القاتل ثم أطلقوا القبطانية بعد أيام، وفيه كمل المكان الذى أنشأه بالأزبكية عند المكان المعروف بباب الهوى ، وذلك المكان الذى أنشأوه يسمى فى لغتهم بالكمدى وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشر[٣] ليال ليلة يتفرجون به على ملاعيب يعملونها مقدار أربع[٤] ساعات من الليل ، وذلك بلغتهم ، ولا يدخل أحد إليه إلا بورقة معلومة وهيئة مخصوصة[٥] .

وفى سادس عشره ذكروا فى الديوان أن صارى عسكر أمر وكيل الديوان أنه يذكر مشايخ الديوان أن قصده ضبط وإحصاء من يموت ومن يولد من المسلمين ، وأخبرهم أن بونابارته كان فى عزمه ذلك ، وأن يقيد له من يتصدى لذلك ويدبره .

---

(١) فى الأصل يروه

(٢) فى الأصل ويستعملون

(٣) فى الأصل عشرة ليالى .

(٤) فى الأصل أربعة .

(٥) يشير بذلك إلى إنشاء المسرح

ويرتبه ويعمل له جامكية وافرة فلم يتم مراده ، والآن يريد تتميم ذلك ويطلب منهم تدبير ذلك كيف يكون ، وذكر لهم أن فى ذلك حكماً وفوائد ، منها ضبط الإنساب ومعرفة الأعمار ، فقال بعض العارفين والحاضرين : ويعلم من ذلك انقضاء عدة الأزواج أيضاً . ثم اتفق الرأى على أن يعلموا بذلك القلقات المقيدين بالحارات والأخطاط وهم يقيدون على مشايخ الحارات بالاستقصاء عن ذلك من خدمة الموتى والمغسلين والنساء القوابل وما فى معنى ذلك ، ثم ذكر الوكيل أن صارى عسكر ولد له مولود ، فينبغى ويلزم أن تكتبوا له تهنئة بذلك المولود الذى ولد له من المرأة المسلمة الرشيدية وجواباً عن هذا الرأى ، فكتبوا ذلك فى ورقة كبيرة وأوصلها إليه الوكيل فورية .

وفى خامس عشرينه أرسل كبير الفرنسيس إلى مشايخ الديوان كتابا وقرأه الترجمان الكبير رفاييل ، وصورته ونصه بالحرف الواحد :

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، من عبد الله جاك منو صارى عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها بير مصر حالا ، إلى حضرة المشايخ والعلماء أهالى الديوان المنيف بمصر القاهرة حالاً أدام الله تعالى فضائلهم، وزينهم بلميع النور لإكمال وظائفهم وتجاز فرائضهم آمين ، يا معين ، والآن نخبركم أن الكتاب الذى حررتموه لنا ملأ أنفسنا سروراً وقلبنا حبوراً ، فثبت عندنا وتحقق وفور ما عندكم من المحبة ، التى شهدتم بها ، وما فيكم من البقية والعدل والنظام ، لحقا انكم استحقون لأن تكونوا فى مثل هذا المحل الذى اخترتم عليه ، فنحن نعلم أن القرآن العظيم الشأن ذلك المصحف الأكمل والكتاب المفضل ، يشتمل على مبادىء الحكمة السنية والحقوق اليقينية ، وهذه المبادىء المذكورة لا يصح بناؤها المتين على الحكم والحق اليقين ، إلا إذا عرضت على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب ، وبهذين تنتج أعظم الفوائد ، وذلك



جنرال منو

بمساعى أناس متحدين معاربياضات الحظ والسعد ، وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن الشريف يفصح إلا على ما هو من باب النظام ، لأنه من دون ذلك فكل ما هو فى هذا العالم الفانى ليس إلا معابر وخراب ، ولا يسهى عنا أن كل ما هو من الموجودات الكائنات كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام من قبل من جعلها للسير سبحانه مبدع الآنام كالنجوم السائرة فى الأعالى وبها تهتدى السير الحالى ، ثم وعلى الخصوص تلك الفصول الأربعة التوالى انتقالها باستمرار جولانها ، ثم واتصال الليل بالنهار والنهار بالليل على حد واحد من المقدار ، ثم وجود المتبايعات وتمييز النور من الظلمات ، وإذ ذاك وما أدراك ، فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره أيضاً (١) لو عدم هذا النظام ولو برهة ، فالآن نرجو جناب حضرة المشايخ والعلماء تفيدونا كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى لو يمتنع عن جريانه كعادته نهره هذا المبارك المشتهر لا يسمح الله تعالى سبحانه بذلك ، فبلا شك أن البلاد لا يمكن أن تسكن حين ذاك إلا ببحر سنة واحدة فقط وذلك من عدم الماء ، وترى أراضى هذه المملكة التى أنتم قاطنون بها ، وفى ذلك الحين كانت تصعد الرمال على الأطيان والمزارع والحيضان ، والناس تهلك جوعاً وتعدم السكان ، فتنشحن الأرض من الأموات فنعوذ بالله الحفيظ لسائر المخلوقات وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل الأشياء بمعرفته القادرة وحكمته الباهرة ، وجعل هذا النظام العجيب ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب ، قد عرف أنها بدون ذلك تعدم سريعاً وحالها يغدو مريعاً ، فالآن إما نكون نحن من أشر المذنبين إذا سرنا سيرة كالضالين وعلى أوامره عصاة غير خاضعين ، ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا على السلوك فى ديننا ودنيانا وهذا القدر كفانا .

---

(١) لعل يريد ويحل بالعالم بأسره

فيا أيها المشايخ المكرمين والعلماء المحققين ومن هم بالعلم موصوفون ، لايخفاكم أن أجمل ما فى النظام فى تدبير هذه الدنيا بأمرها حسن تام هو الاحتفال والميل إلى النظام الذى هو صادر ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام ، ثم أن البلاد وتلك النواحى التى يطلق على كونها فى حال النجاح والحظ والفلاح لا تعتد [١] هكذا إلا إذا كان سكانها يهتدون إلى قواعد الشريعة والفرائض الصادرة عن أصحاب الفطنة والإدراك ، ويستمدون السلوك بالعدل والإنصاف ، خلافاً لغيرها من البلاد التعيسة ، الحال تلك التى سكانها خاضعون على الدوام لما فيهم من السجرفة والاعتداء ، ولا ينعطفون إلا إلى أهواء أنفسهم المنحرفة ، فجناب حضرة بونابارته الشهير الفيل الصنديد الشجاع الجليل قد تقدم فأمر بأن يجرد دفتر يكتب فيه أسماء كامل الميتين ، والآن حضرتكم قد طلبتم منى دفتراً آخر خلافه ، فيه يتحرر أسماء المولودين أيضاً ، ومن حيث ذلك فلا بد أن أعتنى منذ الآن مع جزيل الإهتمام لهذين الأمرين . وهكذا أيضا بتحرير دفتر الزواج ، إذا كان ذلك أشد المهمات والحوادث الواجبات ، ثم ويتبع ذلك بتجديد نظام غير قابل التغيير فى ضبط الأملاك والتميز الكامل عمن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من أهالى كل بيت ، فعلى هذا الحال يتيسر للحاكم الشرعى الحكم بالعدل والإنصاف وينقطع الخلف والخصام ما بين الورثة ، وتقرر الولادة ومعرفة السلالة التى هى الشىء الأجل والأوفر استحقاقا فى الإرث ، وهكذا إن شاء الله لا بد من التفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق وبذل الهمة للحصول بأقرب نوال إلى ما يلزم لإكمال ما قصدناه ، ثم إن أراد الله لا بد أن اعتنى بالمطالعة على وجه تام كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه

---

(١) لعلها لا تعد

المملكة التى قد تسلمنا سياستها وبهذا نوقف (١) ونتحقق كوننا امتثلنا لأوامر دولة جمهور الفرنساوية وحضرة قنصلها الأول بونابارته، فياحضرة المشايخ والعلماء الكرام، إننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا من تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جالك منو، فنطلب من الله سبحانه وتعالى واسأله كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين أن يجود به علىّ زماناً مديداً، وأن يكون للعدل محباً، وللاستقامة والحق مكرماً، وبوفاء وعده صادقاً، وأن لا يكون من أهل الطمع، فهذا هو وافر الغنى الذى أرغبه لولدى، لأن الرجل الذى لايهتدى إلا بالخير فلا يصرف اعتناءه إلا فى خير الأدب، لا فى قنية الفضة والذهب، فنسأله تعالى أن يطيل بقا كم والسلام.

وفى غايته سقطت منارة جامع قوصون سقط نصفها الأعلى فهدم جانباً من بوايك الجامع ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لضرب الأغاوات، وبقى مسنوداً كذلك قطعة واحدة، وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود.

شهر رمضان سنة ١٢١٥ ثبت هلاله ليلة الجمعة، وعملت الرؤية، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك نظير عوايده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة.

وفى خامسه وقع السؤال والتفحص عن كسوة الكعبة، التى كانت صنعت على يد مصطفى أغا كتخدا الباشا، وكلت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل الأديب الشاعر الناثر السيد اسمعيل الشهير بالخشاب، ووضعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسينى، وأهمل أمرها إلى حد تاريخه، وربما تلف بعضها من رطوبة

(١) لعلها نوفق

المكان وخرير السقف من المطر ، فقال الوكيل : إن صارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعه إلى المسجد الحسينى ويكشف عنها ، فإن وجد بها خللاً أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت، وبعد ذلك يشرع فى إرسالها إلى مكانها بمكة وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية ، فقالوا له : شأنكم وما تريدون، وقرأوا ورقة بمضمون ذلك ، وفى ذلك اليوم قرأوا ورقة مضمونها أنه وردت مكاتبات من فرانسا بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزاير وتونس بشروط ممضية مرضية، وقد أطلقوا الإذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة، فمن سافر له الحماية والصيانه فى ذهابه وإيابه وإقامته باسم دولة الجمهور الفرنساوية إلى إلى آخره، ولم يظهر لذلك أثر. وفيه قرىء تقليد الشيخ أحمد العريشى بقضاء مصر على ما هو عليه حكم اتفاق الأجلة من المسلمين بموجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر، فلما كان صبح ذلك اليوم أرسل شيخ البلد بليار إلى العريشى ومشايخ الديوان والأوجاقلية، فلما تكاملوا خلع على القاضى العريشى فروة سمور بولايته القضاء ، وركب بصحبته الجميع وجملة من العساكر الفرنساوية وشيخ البلد بجانبه ومشوا من وسط المدينة إلى أن وصلوا إلى المحكمة بين القصرين فجلسوا ساعة من النهار، وقرىء تقليده بين الجميع ووكيل الديوان فورية ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

وفى يوم الخميس الموعود بذكره توجه الوكيل ومشايخ الديوان إلى المشهد الحسينى لانتظار حضور كبير الفرنسيس بسبب الكشف على الكسوة ، وازدحم الناس زيادة على عادتهم فى الازدحام فى رمضان ، فلما حضر ونزل عن فرسه عند الباب وأراد الدخول للمسجد رأى ذلك الإزدحام ، فقالوا له هذه عادة الناس فى نهار رمضان يزدحمون دائماً على هذه الصورة فى المسجد ، ولو حصل

عسكم تنبيه كنا أخرجناكم قبل حضوركم ، فركب فرسه ثانيا وكر راجعاً ، وقال نأتى فى يوم آخر ، وانصرف حيث جاء وانصرفوا .

وفى ليلة السبت تاسعه حصلت كائنة سيدى محمود وأخيه السيد محمد المعروف بأبى دفية ، وذلك أن سيدى محمود المذكور كان بينه وبين على باشا الطرابلسى صداقة ومحبة أيام إقامته فى الجيزة ، وحج صحبته فى سنة ، فلما وقعت حادثة الفرنساوية ، وخرج مولانا حضرة الصـــدر الأعظم وصحبته على باشا المذكور ، وله به مزيد الوصل والعناية ، والمرجع لخبرته بالأقطار المصرية ، ومعرفته أهالى البلاد استشاره فى شخص يعرفه يكون عينا بمصر ليراسله ويطالعه بالأخبار ، فأشار عليه بمحمود جلبى المذكور ، فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار ، فلما قدموا إلى مصر فى السنة الماضية ، وجرى ما جرى من نقض الصلح ورجوع عرضى همايون لم يزل محمود جلبى تأتيه الأخبار والمراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقى أيضا ، والآن على باشا ارتحل إلى الديار الرومية ، فيطالعهم كذلك فى[1] الأخبار مع شدة الحذر خوفاً من سطوة الفرنساوية ، وتجسس عيونهم للقيدة لذلك ، فكان يذهب إلى قليوب ويتلقى ورود القاصد ، ويرد له الجواب ، فلما كان فى التاريخ ورد عليه رسول ومعه جواب وأربع[2] أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية ، وفيه الأمر بتوزيعها ووضعها فى أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية ، فوزع اثنتين وقصد وضع الثالثة فى موضع جمعيتهم ، فلم يمكنه ذلك إلا ليلاً ، فأعطاها خادمه ، وأمره أن يشكها بمسمار بحائط ذلك

---

(١) الصواب بالأخبار .

(٢) وفى الأصل أربعة أوراق .

المكان ، وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب ، ففعل ، وتلكأ في الذهاب فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلى الدار فنزلوا إليه وأخذوا الورقة وقبضوا على ذلك الخادم . وصادف ذلك مرور حسن القاق وهو يتوقع نكتة تكون له بها الوجاهة عند الفرنسيس ، فاغتنم هذه الفرصة وقبض على الخادم مع الفرنساوية وسيده ينظر إليه من بعيد ، وعلم أنه وقع في خطب لا ينجيه منه إلا الفرار ، فرجع إلى داره وتحدث مع أخيه واستشاره فيما وقع فيه ، فأشار عليه بالإختفاء ويقيم أخوه بالمنزل مستهدفاً للقضاء وليكون وقاية على منزله وعرضه ، وليس هو مقصود بالذات فكان كذلك وغاب سيدى محمود ، وأصبح الطالب قاصده فلما لم يجدوه قبضوا على أخيه محمد أفندي ومن كان معه بالبيت ، وهو الشيخ خليل المنير وقرابته إسمعيل جلبي ونسيبه البرنوسى والسقا وشيخ حارتهم ، وحبسوهم ببيت قائمقام ، وهم سبعة أنفار بالخادم المقبوض عليه أولا ، وأوقفوا حراساً بدارهم واجتهدوا في التفحص عن سيدى محمود وتكرر السؤال عليه من أخيه ورفقائه أياماً ، فلما لم يقفوا له على خبر ، أحاطوا بالدار وسمروا ما فيها وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع والمخبآت ، ثم أصعدوهم إلى القلعة وضيقوا عليهم ، وأرسلوا خلف أبي الشوارب شيخ قليوب ومن كان ينتقل عندهم ، وألزموهم بإحضاره ، فأنكروه وجحدوه ، ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالاً فرانسة ، وجعلوا له ألفاً إن دلهم عليه ، وقيدوا به عيناً يتبعه أينما توجه ، فاستمر أياماً يغدو ويروح في مظناته ، فلم يقع له على خبر ، فردوه إلى السجن ثانياً ، عند أصحابه ، وأما سيدى محمود فوقع له مزيد المشقة في مدة اختفائه ، وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان وأهل مصر ، وكل من التجأ إليه ، وأحب أن يتوارى عنده زينة وتنكر منه ، حتى أنه ذهب إلى اتريب عند أولاد درب الشمسي

فتلقاه حسن جلبي وأكرمه بخلاف ابن عمه محمد جوربجى فإنه تسكدر من مجيئه عندهم وخاصم ابن عمه من أجله ، وأرسل إليه المراد العديدة يأمره بالذهاب لئلا يلحقهم الضرر بسبب حلوله عندهم ، وذهب إلى دجوة عند أولاد ابن حبيب فزينوه أيضا ولم يقبلوه ، ثم إنه ذهب إلى إمبيه عند أولاد حلاوه فأكرموه وواسوه وأخفوا أمره ، ولم يزل مقيماً عندهم[1] فى غاية الإكرام حتى ورد العرضى المنصور إلى ناحية بنها ، وفرج الله عنه .

ولما كان يوم الخميس رابع عشره تقيد الحضور بسبب الكشف على الكسوة استوف خزندار الجمهور وفوريه وكيل الديوان ، فحضر مشايخ الديوان والقاضى والأغا والوالى والمحتسب بعد ما أُخلى المسجد من الناس ، وأحضروا خدامين[2] الكسوة الأقدمين وحلوها وكشفوا عليها فوجدوا بها بعض خلل ، فأمروا بإصلاحها ورسموا لذلك ثلاثة آلاف نصف فضه ، ولخدمة الضريح بألف نصف فضه ، ولخدامها الذين يخدمونها مثلها ، ثم طويت ووضعت فى مكانها بعد توجيهها وإصلاحها .

وفى رابع عشرينه ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين من فرانسه فيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابرت أغار على بلاد النساوية وحاربهم وحاصرهم وضايقهم وأنهم نزلوا على حكمه ، وبقى الأمر بينه وبينهم على شروط الصلح ، وأنه استغنى عن هذه الآلات والعساكر ، وقصد إرسالها إلى مصر ، وسيأتى فى إثرهم مركبان آخران ، وفيهما أخبار تمام الصلح ويستدل

---

(١) فى الأصل : وأخفوا أمره ولم يزل مقيما عنده .

(٢) الصحيح خدم الكسوة .

بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم الفرنسيس لا يشركهم غيرهم فيها . هكذا قالوا هذا الكلام وقرأوه فى ورقة بالديوان .

واستهل شهر شوال ، فيه بدأ أمر الطاعون فانزعج الفرنساوية من ذلك وجردوا مجالسهم من الفرش وكنسوها وغسلوها وشرعوا فى عمل كرنتينات ومحافظات .

وفى ثامنه قال وكيل الديوان للمشايخ إن حضرة صارى عسكر بعث إلى كتاباً معناه إيضاح ما يتعلق بأمر الكرنتينة ، ويرى رأيكم فى ذلك ، وهل توافقون على رأى الفرنساوية أم تخالفون ، فقالوا حتى ننظر ما هو المقصود ؟ فقال حضرة أرباب الديوان يجب عليهم أن يعملوا الطريقة التى[1] تكون سبباً لانقطاع هذه العلة ، فإننا نبغى لهم ولغيرهم الخير ، وإن أجابوا فذاك وإلا فيلزمونه ولو قهراً ، وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة ، ومن الذى يتغافل عما يكون سبباً لقطع هذا الداء ، فإن رأينا قد انعقد على ذلك ، ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان لأن حفظ الصحة واجب ، والذى نرى أن كثيراً من الناس ولا سيما المتشرعون يستعملون[2] الطبيب عند المرض رعاية لحفظ الصحة ، وما نحن فيه من ذلك .

ونذكر لكم أن بلاد الغرب قد اعتمدوا فعل الكرنتيلة الآن ، فعلماء القاهرة أولى بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسائط ، إذ قد ربطت الأسباب بالمسببات فقيل له : وما الذى تأمرون به أن يُفعَل ؟ فقال : هو الحذر لا غير ، وهو الغاية والنتيجة ، وهو أنه إذا دخل الطاعون بيتاً ، لا يدخل فيه أحد ولا يخرج منه أحد .

---

(١) فى الأصل الطريقة الذى .

(٢) الأصل يستعمل والمتشرعون يريد علماء الشريعة .

مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به ، وخدمة المريض وعلاجه ، وسيوضح لكم ذلك فيما بعد ، يعنى بعد أن تذعنوا الطاعة وعدم المخالفة ، وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب الديوان والوكيل ، وانفض المجلس على أنه الوكيل سيفاوض[١] صارى عسكر فى ذلك ثم يدبرون أمراً وطريقة يكون فيها الراحة للمسلمين والفرنسيس ، فإن هذا فيه مشقة على المسلمين لعدم ألفتهم لهذه الأمور .

وفى ثالث عشره ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدرى سببها .

وفى رابع عشره قرئت ورقة حضرت من صارى عسكر بالديوان ولصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق ونصها[٢] : بعد البسملة والجلالة من عبد الله جاك منو سر عسكر عام جيوش الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها بير مصر حالا إلى كامل الأهالى كبير مع صغير غنى وفقير المقيمين حالا بمحروسة مصر وبمملكة مصر ، الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ولا يفتشون إلا على الإضرار بالناس وإضراركم يشهرون[٣] فى وسط المدينة بينكم أخباراً ردية مزورة[٤] لتخويفكم وتخويف المملكة ، وكل ذلك كذب وافترى ، فإنما نحن نخبركم جميعكم أن كلا من الأهالى[٥] المذكورة من أى طائفة وملة كان الذى يثبت عليه الإشهاد أو النشر من نفسه بينكم ذلك[٦] الأخبار الردية المكذوبة

---

(١) فى الأصل : سيفوض .

(٢) وفى الأصل : ورقه ... نصه .

(٣) فى الأصل : يشهروا .

(٤) وفى الأصل : أوراق ردية تزوير .

(٥) فى الأصل : أهالى .

(٦) فى الأصل : يريد أن من ينشر من نفسه بينكم الأخبار ... الخ فجاءت العبارة ركيكة مليئة بالأخطاء .

تخويفاً لكم وإضلالا بالناس ، ففى الحال ذلك الرجل يمسك وترمى رقبته بوسط طريق مصر ، ويا أهالى مصر انتهوا وتذكروا هذه الكلمات ، وكونوا مستريحى(١) البال ومترفهى(٢) الحال إنما دولة الجمهور الفرنساوى حاضر(٣) لحمايتكم وصيانتكم ، ولكن ناظر كذلك إلى تعذيب القضاة والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة ، تحريراً فى سنة شهر وانتوز سنة ٩ تسع الموافق الحادي عشر شهر شوال ، فعلم الناس من فحوى ذلك ورود شيء أو حصول شيء على حد قول المثل المشهور كاد المرتاب أن يقول خذنى(٤) لأن الناس إذ ذاك ليس لهم فكر ولا ذكر إلا بواقى الفردة ، وما لزمهم فى المليون ولا شغل لكل فرد إلا بتحصيل ما فرض عليه ، والسبب فيما ذكر أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب جهة أبى قير ، وفى ذلك المجلس سئل الوكيل عن ضرب المدافع لأى شيء فقال لا بد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس ، وهى أن الفرنساوية كانت تحارب القرانات ، والآن وقع صلح بينهم ومع القرانات ما عدا الإنكليز فإنه الآن مضيق عليه ، وربما كان ذلك سبباً لرضاه بالدخول فى الصلح ، وقد خرجت(٥) من فرانسا عمارة ربما توجهت إلى(٦) الهند وربما أنهم يقدمون إلى مصر وقد وصل اصارى عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقو التى تحمل الذخاير إلى الفرنساوية وأن يمكنهم

---

(١) فى الأصل : مستر يحين البال .
(٢) فى الأصل : مستر فهين الحال .
(٣) فى الأصل : حاضر والصحيح حاضرة وناظرة .
(٤) لعل المثل كاد المريب يقول خذونى .
(٥) فى الأصل : خرج عمارة .
(٦) فى الأصل : على الهند .

عن دخول اسكندرية ، وقد خرج ستة غلايين من قرانصنا إلى بحر الهند ، فربما قدموا بعد ذلك إلى جهة السويس ، وبورود هذه الأخبار تعين خلو مصر إلى جمهور الفرنساوية ، وفى سالف الزمان كانت جميع القرانات التى بالجهة الشمالية ضد الفرنساوية ، وقد زالت الآن الضرية ، ومتى انقضى أمر الحرب عمت الرحمة والرأفة والنظر بالملاطفة للرعية ، والذى أوجب الاغتصاب والعسف إنما هو الحرب ، ولو دامت المسالمة لما وقع شىء من هذا ، فقال بعض أهل الديوان سنة الملوك العفو والصفح ، وما مضى لا يعاد ، فارحمونا واعفوا عما سلف ، فقال الوكيل ، قد وقع الإمتحان ، ولم يبق إلا السلم والمسامحة . يقول جامعه وهذا كله تمويه على المقول وكذب بحت برده المنقول والمعقول .

وفيه قبضوا على عمر القلق أغاة المغاربة المرتبة عندهم عسكراً ، وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما على جلبى والآخر مصطفى جلبى وسجنا(١) بالقلعة ، وسبب ذلك أنه حضر إلى مصطفى جلبى مكتوب من نسيبه بجهة الشام يطلب منه بعض حوائج فقرىء ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفقة الآخر فوشى بهم رجل قواس ، فقبض على الجميع ، وكان مصطفى جلبى المذكور يسكن ببيت محمد أفندى ثانى قلفة ، فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم يجدوه ، فألزموا به محمد أفندى المذكور وأزعجوه وأحاط به عدة من العسكر ، ولم يمكنوه من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد وبعد أن وجدوا ذلك الإنسان ، لم يفرجوا عن محمد أفندى بل استمر معهم فى الترسيم ، ووجدوا مكاناً بالدار به أسلحة وأمتعة فنهبوه ، واتهمت الدار والحارة ، وحصل عندهم غاية الكرب ، حتى أن بعض جيران ذلك المذكور عنده

---

(١) وفى الأصل : وسجنوا .

الخوف وغلب عليه الوهم فمات فجاءة ، رحمه الله ، ثم فرج الله عن محمد أفندى بعد ثلاثة أيام ، وأطلق من القلق لظهور براءته ، ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت . وانتقل محمد أفندى من تلك الدار ، وما صدق بخلاصه منها ، وبقى على جلبى ومصطفى جلبى بالحبس .

وفى سابع عشره استفيضت الأخبار بوصول مراكب إلى أبى قير ، كما تقدم .

وفى ثامن عشره خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا إلى الجهة البحرية براً وبحراً . وفى عشرينه اجتمع أهل الديوان به على العادة فبدأ الوكيل يقول : إنه كان يظن أنه يكون حرب ، ولكن وردت أخبار أن المراكب التى حضرت إلى اسكندرية ، وهى نحو مائة وعشرين مركباً ، قد رجعت[1] ، فقيل له وما هذه المراكب ؟ فقال مراكب فيها طائفة من الإنكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ، ليس فيها مراكب كبار إلا قليل جداً وباقيهم فيها[2] صغار تحمل الذخيرة ، ثم قال إن حضرة سارى عسكر قد كان وجه إليكم فرماناً فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر ، وهو وإن كان قد فات موضعه من حيث أنه كان يظن أن هناك حرباً[3] ، ولكن من حيث كونه قد برز إلى الوجود فينبغى أن يتلى على مسامعكم ، ثم أمر وكاثيل الترجمان بقراءته ، وصورته : من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا إلى جميع الكبير والصغير الأغنياء والفقراء والمشايخ والعلماء وجميعهم يتبعون الدين الحق والحاصل لجميع أهالى بر مصر سلمهم الله ، بمقام سر عسكر الكبير بمصر

---

(١) فى الأصل : وهم نحو مائة وعشرون مركباً قد رجعوا ، وقد صححنا العبارة حتى يستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل ليس فيهم وباقيهم .

(٣) فى الأصل : حرب .

فى أربعة عشر شهر وتموز سنة تسعة من قيام الجمهور الفرنساوية واحد ولاينقسم ، ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة وتحتـه إن الله هو هادى الجنود ومعطى النصرة لمن يشاء والسيف ، الصقيل فى يد ملاكه يسابق دائماً الفرنساوية ويضمحل أعداهم[1] ، إن الانـكليز الذين يظلمون كل جنس الشر[2] فى كل المواضع فهم ظهروا فى السواحل وإن كان يستجروا يوضعوا أرجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال إلى أعقابهم فى البحر والعثمنليين متحركين كهؤلاء الإنـكليزية يعملوا أيضاً بعض حركات فإن كان يقدموا فنى الحال يرتدوا وينقلوا فى غبار وعفار البادية فأنتم يا أهالى مملـكة ومحروسة مصرانى أنا أخبركم أن كان تسلـكوا فى طريق الخايفين الله وتبقوا مستريحين فى بيوتـكم ومقيمين كما كنتم فى أشغالـكم وأغراضـكم فحينئذ لا خوف عليـكم ، ولـكن إن كان واحد منـكم يسلك الفساد وإضلالاكم بالعداوة ضد دولة الجمهور الفرنساوى فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الـكريم أن رأس ذى المفسد ترمى فى تلك الساعة ، فتذكروا فى تلك الوقائع حين محاصرة مصر الأخيرة وجرى دماء آبائـكم ونسائـكم وأولادكم فى كل مملـكة مصر وخصوصاً بمحروسة مصر وخواصكم انتبهوا تحت الغارات وطرحوا عليهم فردة قوية غير المعتاد فدخلوا فى عقولـكم وأذهانـكم ما قلت لـكم الآن ، والسلام على كل من هو فى طريق الخير ، فالويل ثم الويل على كل من يبعده من طريق الخير ، ممضى خالص الفؤاد عبد الله جاك منو[3] .

وفى ذلك اليوم عملوا شنـكا وضربوا عدة مدافع من القلاع فارتاع الناس

---

(١) يريد : ينصر دائماً الفرنساوية ويخذل أعداءهم . خالفته العبارة .

(٢) لعلها من البشر .

(٣) انهتنا رسالة منو غير منقوصة ولا مصححة .

لذلك واضطربوا اضطراباً شديداً فسئل من[1] الفرنسيس فأخبروا أن ذلك سرور بقدوم مركبين من فرانسه إلى سكندرية ، وذلك كذب لا أصل له .

وفى ذلك اليوم أيضاً . وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة ، وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب إلى أبى قير ، قلت القلال من الرقع ، وارتفعت أثمانها ، فتفاوضوا فى شأن ذلك وأنه لا بد من اعتناء الحكام بزجر الباعة ، وطواف المحتسب وشيخ البلد على الرقع والسواحل ، فلما قرىء المكتوب المذكور ، قال بعض الحاضرين : العقلاء لا يسعون فى الفساد ، وإذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم ، فقال الوكيل : ينبغى للعقلاء ولأمثالكم نصيحة المفسدين ، فإن البلاء يعم المفسد وغيره ، فقال بعضهم : هذا ليس بجيد بل العقاب لا يكون إلا على المذنب ، فقال تعالى : «كل نفس بما كسبت رهينة »[2] وقال آخر من أهل المجلس : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »[3] فقال الوكيل : المفسدون فيما تقدم أهاجوا[4] الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات لا عقل لها ، حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فإنها لا تقرأ القرآن ، وقال آخر : المصلح نيته تخلصه ، فقال الوكيل : إن المصلح من يشمل صلاحه الرعية ، فإن صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط ، والثانى أكثر نفعا ، وطال البحث والمناقشة فى نحو ذلك .

فلما كان عصر ذلك اليوم بعثوا أوراقا من كبير الفرنسيس إلى وكيل الديوان ، فأرسلها إلى المشايخ ، وهى عبارة عن جواب المناقشة المذكورة :

---

(١) أصل العبارة : فسئل مسئولون من الفرنسيس فأجزوا .

(٢) الآية ٣٨ سورة المدثر .

(٣) الآية ١٨ سورة فاطر .

(٤) الصحيح : هاجوا بدون همزة .

وصورته بعد البسملة والجلالة « من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها بير مصر حالاً إلى كافة المشايخ والعلماء الكرام ، المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضائلهم وألهمهم الحكمة الواجبة لإجراء فضائلهم وفرائضهم ، نرسل لحضراتكم يامشايخ وياعلماء الكرام نداء ، جديداً ، خطاباً إلى جميع أهالى مملكة مصر وخصوصاً أهل محروسة مصر ، ولا شبهة لى فى تقيدكم لتنبيههم بكل ما هو محرر فيها وغيرذلك ، تذكروا أن هذا التنبيه هو فرضكم(١) إنما حضراتكم هاهنا رجال دولة الجمهور الفرنساوية فيبقى فى عقولكم وأذهانكم كلما وقع حين قصاص مصر الأخيرة(٢) تفهموا بناء على ذلك كيف هو واجب إلى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلايق لأن إن كان يصير أصغر الحركات فلا بد أثقالها تقع على رأسكم وغير ذلك ، ورد لنا فى الحال أخبار من فرانسا أنه كملت المصالحة مع امبراطور النمسا وأن قيصر الروسية بين(٣) وأقام المحاربة ضد دولة العثملية والسلام ».

ولما أصبح ثانى يوم اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وحضر الأغا والوالى والمحتسب وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الأخطاط وأمروهم بضبط ما هو دونهم ، وأن لا يغفلوا أمر عامتهم وخوفوهم العاقبة ، وأن يشتغلوا بما يعنيهم على أنه لم يبق فى الناس إلا رسوم هافتة ، وانفصلوا على ذلك ، هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والإجتهاد وبث المعينين من القواسه والفرنساوية فى المطالبة بالثلث والمنكسر الباقى فى الفردة والتشديد فى أمر الكرنتيلة وإزعاج الناس فى ذلك

(١) يقصد فرضوا عليكم .

(٢) يريد : تذكروا ما وقع من العقوبات الأخيرة على أهل مصر فخانته العبارة .

(٣) لعل صحتها قيصر الروسية أقام .

وخوفهم(١) من حصول الطاعون وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء فى مكان كشفوا عليه ، فإن كان مريضا بذلك الداء أخذوا ذلك المصاب إلى الكرنتيلة عندهم ، وانقطع خبره عن أهله إلا إن كان له أجل باق فيشفى من ذلك ويعود إليهم صحيحاً ، وإلا فلا يراه(٢) أهله بعد ذلك أصلا ، ولا يدرى خبره لأنه إذا مات أخذه الموكلون بالكرنتيلة ودفنوه ، بثيابه بحفرة وردموا عليه التراب ، وأما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج مدة أربعة أيام ، ويحرقون ثيابه التى تختص به ويقف على بابه حارس ، فإن مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وكرتنوه ، وإن مات الشخص فى بيته وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها(٣) ، وغسله الغاسل ، وحمله الحمالون لا غير ، وخرجوا به من غير مشهد ، وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه ، فإن قرب منه أحد كرتنوه ، وبعد دفنه يكرتنون كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن ، فهال الناس ذلك الفعل واستبشعوه ، وأخذوا فى الهرب والخروج من مصر إلى الأرياف لذلك ولتوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب إلى أبى قير ، وتحذر الفرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم إلى القلعة .

وفى تاسع عشره خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم وذهبوا إلى جهة الشرق ، وأشيع حضور رأو رضى همايون ووصوله إلى العريش ، وفيه أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة وحبسوه .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه قبضوا أيضا على حسن أغا المحتسب ، وأصعدوه

(١) يقصد تخويفهم

(٢) فى الاصل يروه أهله

(٣) فى الاصل أحرقوه

إلى القلعة وحبسوه بالبرج الكبير ، ولما أصعدوا الشيخ السادات سأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه ، فقال له : لم يكن إلا الحذر من إثارتك الفتن فى البلد وإهاجة العامة لبغضك الفرنسيس لما سبق لك منهم من الإيذاء . وأما المحتسب فإن الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ذهبا(١) إلى قايمقام وإلى كبير الفرنسيس وتكلما فى شأنه فأجاباهما بأن هذا لم يكن من شغلكما ، وقيل للسيد أحمد إنك رجل تاجر وليس المحتسب من جنسك حتى تشفع فيه ، فقال : إنا محتاجون إليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون ، ولا نعرف له ذنبا يوجب حبسه ، لأنه ناصح فى خدمة الفرنسيس ، فقال : لا على(٢) لسان الترجمان الله يعلم ذنبه ، أ وصارى عسكر وهو أيضا يعلم ذلك من نفسه ، ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره ، فكان كتخدا يركب مع الأغا وأمامهم المبزان ونوبة الحسبة .

وفيه نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الإنزعاج من أمر الكرنتيلة ، وأن من مات لا تحرق إلا ثيابه التى على بدنه لا غير ، وكان أشيع فى الناس أن من مات بدار أحرقوا تلك الدار ، وقصدهم عمل كرنتيلة على البلد بتمامها ، فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم ووهم جسيم ، فنودى بذلك ليسكن روع الناس .

وفى يوم الخميس سادس عشرينه أرسل كبير الفرنسيس وطلب رؤساء الديوان والتجار إلى منزله فأعلمهم أنه مسافر إلى بحرى وتارك بمصر قايمقام بليار وجملة من العسكر والكتبة والمهندسين ، وأوصاهم بأن يكون نظرهم على البلد ، وكان القصد حبسهم رهينة ، فاستشاروا فى ذلك فاقتضى رأيهم تأخير ذلك ، وركب من فوره

---

(١) فى الأصل ذهب

(٢) لعلها على لسان الترجمان بدون (لا) حتى يستقيم المعنى

مسافرا من غير عود ولا رجعة ، وحضر الجماعة إلى الديوان واجتمعوا بالوكيل فورية ، فأخبرهم أنه حضر إلى ناحية أبي قير ، طائفة من الإنكليز وصحبتهم طايفة من المالطية وأخرى نابلطية وطلعوا إلى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء وأن الفرنساوية محيطون بهم من كل جهة .

وفي سابع عشرينه رجعت العساكر التي كانت توجهت إلى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم وصحبتهم صارى عسكر الشرقية ، رينه ، فسافروا من يومهم ولحقوا بكبيرهم براً وبحراً وأخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سايرين حتى وصلوا إلى الصالحية ، وأرسلوا هجانة إلى العريش ، فلم يجدوا أحداً ، فكروا راجعين ، وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد(١) مطلقا .

شهر ذي القعدة سنة ١٢١٥ ، في ثالثه أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لصارى عسكر مكتوبا بالسلام ففعلوا ما أمروا به .

وفي سادسه توفي محمد أغا مستحفظان مطعونا ، فرض يوم السبت ومات ليلة الأحد ، فوضعوه في نعش وخرج به الحمالون لا غير ، من غير مشهد ولا جماعة ، وأمامه جماعة منهم يطردون الناس من التقرب إلى نعشه ، وكرتنوا داره وأغلقوها على من فيها ، ولم يقلدوا عوضه أحداً بل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضاً عنه ، وذلك بمعونة نصر الله النصراني ترجمان قايمقام مصر ، فاستقر عبد العال المذكور أغاة مستحفظان ومحتسباً ، فكان ذلك من جملة النوادر والعبر ، فإن عبد العال هذا كان من أسافل الناس العامة وأراذلهم ، وكان أجيراً لبعض نصارى الشوام بخان الحمزاوي يخدمه . ثم توسط لمصطفى أغا السابق بسبب معرفته النصارى

---

(١) في الاصل ـ أحداً

التراجمين (١) حتى تقدم بواسطته وقلدوه الأغوية ، فسلك كتخداه ومشيره ، فلما تولى محمد أغا تقيد معه كما كان مع مصطفى أغا ، ولكن دون الحالة التى كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا عن ذلك المقتول ، فلما توفى فى هذا الوقت نزل لعبد العال الأمر لاشتغال الوقت بما هو الأهم من افتتاح الحرب والطاعون وغير ذلك .

وفى يوم الثلاثاء تاسعه أشيع فى الناس أن حضرة الصارى عسكر الصدر الأعظم تحرك للقدوم إلى جهة الديار المصرية ، وأن بعض العساكر الإسلامية وصلوا إلى العريش ، ووصلت الأخبار إلى الفرنسيس ، فداخلهم الوهم والخوف ووقع بهم الإرهاب والإنزعاج ، ولما كان عشاء تلك الليلة أرسلوا خلف مشايخ الديوان ، فلما تكامل حضورهم حضر فورية وكيل الديوان وصحبته آخر من الفرنسيس من طرف قايمقام ، فتكلم فوريه كلاماً كثيراً ليزيل عنهم الوهم ويؤانسهم بزخرف القول، كقوله إنه يحب المسلمين ، ويميل بطبعه إليهم وخصوصا العلماء وأهل الفضايل ويفرح لفرحهم ويغتم لغمهم ، ولا يحب إلا الخير ، وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور المخالفة للمزاج وأن صارى عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوماً وأمرهم بإجرائها والمشى عليها فى أوقاتها ، وأنه عند سفره قصد أن يسوق المشايخ وأعيان الناس ويتركهم فى الترسيم رهينة عن المسلمين ، فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا إلى أبى قير ليسوا من المسلمين، وإنما هم انكليزية ونابلطية وأعداء الفرنساوية والمسلمين أيضا ، وليسوا من ملتهم حتى يخشى من ميلهم إليهم ، أو يتعصبون من أجلهم ، والآن بلغنا أن أورضى المسلمين تحرك إلى هذا الطرف فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان ، وذلك من قوانين الحروب عندنا ، ولا يكون

---

(١) بريد المترجمين

عندكم تكدر ولا وهم بسبب ذلك ، فليس إلا الإعزاز والإكرام أينما كنتم والوكيل يكون نظره دائما معهم ، ولا يغفل عن تعليل مزاجهم فى كل وقت ، انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ وهم الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى ، فأصعدوهم إلى القلعة فى الرابعة من الليل ، وأجلسوهم بمسجد سيدى ساريه ونقلوا إلى مكانهم الشيخ السادات ، فاستمر معهم فى المسجد ، وأطلقوا لكل شيخ خادماً يطلع إليه وينزل ليقضى له أشغاله وما يحتاج إليه من منزله ، والذى يريد من أصحابهم وأحبابهم زيارتهم أخذ له ورقة بالإذن من قائمقام ويطلع بها ، فلا يمنع ، وكذلك أصعدوا إبراهيم أفندى كاتب البهار وأحمد ابن محمود محرم وحسين قرا كاتب ويوسف باش جاويش تفكجيان وعلى كتخدا ويحيى أغا الجرا كسة ومصطفى أغا أبطال وعلى كتخدا النجدلى ومحمد أفندى سليم ومصطفى أفندى جمليان ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم ، وأمروا المشايخ والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم إلى البلد والعامة ، وأنهم يترددون على بليار قائمقام ، ويعلمونه بالأمور التى ينشأ عنها الشرور والفتن ، وأهمل ديوان المليون والمطالبة بثلثه ، وكذلك كسرة الفردة ، ونفّس الله عن الناس ، وكذلك تسوهل فى أمر الكرنتيلة وإجازة الأموات وعدم الكشف عليهم ، وتصديق الناس بما يخبرونه به فى مرض من يموت . وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ونقل متاعهم وصناديقهم وفرشهم وذخائرهم إلى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلاً ونهاراً ، والطاعون متعلق فيهم ويموت منهم العدة فى كل يوم .

وفى حادى عشره أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومى وأنزلوه من القلعة

ليسكون مع من لم يحبس ، وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور إلى الديوان على عادتهم ، ولا يهملونه ، فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم، ثم ينصرفون إلى منازلهم ، وكذلك أمروا القاضى بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك ، وذلك حفظاً للناموس لا غير .

وفى ثالث عشره نقل فوريه الوكيل متاعه إلى القلعة وصعد إليها فلم ينزل ، وأرسل للشيخ سليمان الفيومى تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ويودعه فى مكان بداره ، ففعل ما أمر به ، ولم يتركوا به إلا الحصر ، وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم ، فكانوا يفرشون سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ثم ينصرفون .

وفى رابع عشره نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج إلى جامع سارية صحبة المشايخ ، وكذلك فوريه الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور ، وأظهر أن قصده مؤانستهم وليس إلا لضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيس بها ، وكثرة ما نقلوه إليها من الأمتعة والذخائر والغلال والأحطاب مع ماهدموه وعطلوه من أماكنها ، حتى أنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة حقوقها ، فكانوا ينزلون إليه ويصعدون منه من باب السبع حدرات .

وفى تاسع عشره ورد مكتوب من كبير الفرنسيس من ناحية سكندرية مؤرخ من ثالث عشر ذى القعدة ، وهو جواب عن المكتوب المرسل إليه السابق ذكره ، ونصه بعد الصدر المعتاد : من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها بير مصر حالا إلى كامل المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله فضائلهم ، ورد لنا مكتوبكم العزيز ورأينا بكامل السرور كل ما فصلتم لنا وثبت من مفهومنا صدق ودادكم لنا ولعسكر الدولة الفرنساوية . ودمتم حضراتكم وكافة

أهالى مصر بالحمية والاستقامة الموعودة ، ومعلوم على فضائلكم أن الله يهديه كلا ، فما النصرة إلا منه ، ووضعت عليه اعتمادى ، وما توفيقى إلا به وبرسوله الكريم، عليه السلام الدائم ، وإن ابتغيت النصرة فما هو إلا لسهولة خيراتى إلى بر مصر وسكان ولايتها وخير أمور أهلها ، والله تعالى يكون دائما معكم ولكرم وجوهكم بسلامة .

وفيه سمع ونقل عن بعض الفرنسيس أنه وقع الحرب بين الفرنساوية والانكليزية وكانت الهزيمة على الفرنسيس ، وقتل منهم نحو ألفين وسبعمائة وانحاذوا إلى داخل الاسكندرية وتحصنوا بها ، ووقع فيما بين الفرنسيس الاختلاف وانهم[1] منوصارى عسكر رينه وداماس ورابه منهما مارايه[2]، وكانا سببا لخذلانه فيما يظن ويعتقد ، فقبض عليهما وعزلهما من إمارتهما ، وأن الانكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة حتى أغرقت طرق اسكندرية وصارت جميعها لجة ماء ، ولم لهم طريق مسلوك إلا من جهة العجمى ، إلى البرية ، وإن الانكليز تترسوا قبالهم من جهة الباب الغربى ، وأن حسين باشا القبطان ورد بعسكره جهة أبى قير ، وطلع عسكره من المراكب إلى البر ، وقويت القراين الدالة على صحة هذه الأخبار ، وظهرت لوايح الخزلان فى وجوه الفرنسيس مع شدة تجلدهم وكتمانه أمرهم وتنميق أكاذيبهم .

وفيه سدوا باب البرقية المعروف بباب الغريب ، فبنوه وضاق الناس بسبب الخروج إلى القرافة بالأموات فكان الذى مدفنه ببستان المجاورين يخرج بجنازته من باب النصر ويمرون بها من خلف السور حتى ينتهوا إلى مدفنهم ، فحصل للناس مشقة شديدة خصوصاً مع كثرة الأموات ، فكلم بعض المشايخ قايمقام فى

(١) فى الأصل وآتاهم

(٢) فى الأصل مارى، به .

عن أن ذلك فأرسل إلى قبطان الخطة ففتح باباً صغيراً من حائط السور على قدر النعش والحاملين والمشاة .

وفي يوم الأحد حادي عشرينه توفي الشيخ الإمام محمد ابن الشيخ الإمام العلامة أحمد الجوهري الخالدي الشافعي ، ودفن عند والده بدرب شمس الدولة وتوفي أخوه أيضاً بشبين الكوم ، وهو السيد عبدالفتاح وذلك بعده بأربعة أيام .

وفي ثاني عشرينه سافر جماعة من أعيان الفرنساوية إلى جهة بحري ، وهم أستوف الخازندار العام ومدير الحدود وفوريه وكيل[1] الديوان وشانيلو مدير أملاك الجمهور وبرنار وكيل دار الضرب وربج خازندار دار الضرب ولابرت رئيس مكتبهم وحافظ سجلاتهم وكتبهم ، وأخذوا معهم طائفة من رؤساء القبط ، ومنهم جرجس الجوهري .

وفي ثالث عشرينه توكل بحضور الديوان كلب منهم يقال له جرار ، ولما حضر في أول جلسته أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم جاك منو باللغة الفرنساوية مضمونه : أنه مقيم بإسكندرية وهو مؤرخ بعشرين القعدة ، وذلك كذب ، على حد قولهم (بوش مصاحبه[2]) .

وفيه قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيس وذهبوا بهم إلى بيت قائمقام ، فاستفسر منهم ، فاختل كلامهم وتبين كذبهم . فأمر بحبسهم

وفيه حضر جماعة من الفرنسيس من جهة الشرق ومعهم دواب كثيرة وآلات حرب ومروا في شارع المدينة[3] ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفاً على البارود من النار ، فتبين أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية ، وبعد

---

(١) في الأصل الوكيل الديوان

(٢) لعله يريد ظاهرفي وجه صاحبه

(٣) لعلها شوارع

أيام حضر أيضا الذين كانوا بالقرين وكذلك الذين كانوا ببلبيس وناحية الشرق، شيئا بعد شيء .

وفى غايته مات على كتخذا النجدلى بعد أن مرض بالحبس، وأنزل من القلعة، ومات بداره سنة ١٢١٥ شهر ذى الحجة الحرام .

فيه حصل الاجتماع بالديوان ، وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخباراً بالأمس ، منها أنه قد مات جماعة من كبراء الإنكليز ، وأن أكثر عساكرهم مرضون بمرض الذخيرة والرمد ، وربما حصل الصلح عن قريب ويرجعون الى بلادهم ، وان العطش مضاررهم[1] وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم الماء فتعذر عليهم ذلك ، ثم سأل عن أحوال البلد وسكون الرعية والغلال والأقوات ، فأجيب بأن البلد مطمئنة ، والرعية ساكنة ، والغلال موجودة ، فقال لا بد من اعتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة .

وفيه أشيع أن العساكر العثمانية والإنكليز ملكوا ثغر رشيد وأبراجها وحاربوا من كان بها من الفرنسيس حتى قتل من قتل وأسر من أسر وهرب الباقون ولله الحمد ، وفى ذلك اليوم قبضوا على نيف وستين من المغاربة فى[2] النحاسين وطولون والغورية ونحوهم ، وذلك من فعل عبدالعال الأغا ، وفيه أمر بليار قايمقام بركوب أحد المشايخ صحبة عبد العال ويمرون بشوارع المدينة ، فكان يركب معه مرة الشيخ محمد الأمير ومرة الشيخ سليمان الفيومى ، وذلك لتطمئن الرعية ؛ وفى سادسه قرىء مكتوب زعموا أنه حضر من سارى عسكر منو فى جهة سكندرية ونصه : بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد : إلى حضرات كافة

---

(١) يقصد أن العطش قد أضربهم.

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

المشايخ والعلماء الكرام المستشارين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله تعالى فضائلهم إما النصرة الآمن الله وبشفاعة رسوله عليه السلام الدائم، العسكر الفرنساوية والانجليزية هما إلى هذا الآن حصيران قبلهما، فحصنا أطرافنا بمعاريس وخنادق لا تغلب ولا تهجن وغير ذلك يلزم مخبر حضراتكم لتهدية تمشياتكم، ولأجل انتظامها أن السلطان الروسية المحمية أعلن بواسطة مرسلينه[١] إلى حضرة السلطان سليم أذعن الأمر إلى عساكره لأجل ما يتجانبوا ويتروا ويخلوا من بر مصر جميعاً، وإلا لا بد من السلطان الروسيات الجميمة الإقامة بالمحاربة بمعية مائة ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطونية، فبناء على ذلك أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه خطابا إلى عساكره لتخلية بر مصر، ولكامل[٢] من البر المذكور لكى وتم، ولكنَّ ذَهَبَ الانكليزية كفاء للإرتشا[٣] بعض من مقدار العسكر الشملية وبعديم[٤] امتثالهم إلى أوامر سلطانهم، فأعلنوا وأخبروا كل ذلك إلى أهالى مصر. فانتظموا كما كنتم دائماً بالخير فاعتمدوا وتمتنوا بحماية وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية، والله تعالى يديم فضائلكم عن الأهام[٥] بالخير والسلامات، حرر ٢٥ من جرمينال سنة ٩ الموافق لثلاثة ذى الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر، وكتب بألفاظه وحروفه من خط منشيه لوما كا الترجمان لعنه الله، وقطع لسانه الذى نطق بهذه الألفاظ السخيفة والتراكيب الكثيفة[٦] التى لا يفهم لها معنى ولا يتبين لها مبنى، ثم

---

(١) وهو يريد أن السلطات الروسية بواسطة مراسليها قد أعلنت.

(٢) يريد بالكامل. (٣) يريد لرشوة.

(٤) لعلها وبعدم امتثالهم.

(٥) لعلها الإلهام.

(٦) أثبتناه بألفاظه على الرغم مما به من أخطاء فاضحة.

قال الترجمان : إن الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن السر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظائفكم فدوموا على ذلك ثم إن بعض الحاضرين من المشايخ أخبر أن رجلا من المنوفية يقال له موسى خالد كانت الفرنساوية أحسنوا إليه وقدموه على أقرانه ، فلما خرجوا من المنوفية أفسد فى البلاد وقطع الطريق ، ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه ، وأنه صادر كثيرا من أغنياء منوف وغيرها ، فقال الوكيل : ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون، ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطابا للتجار والمتسببين ولمشايخ البلاد يأمرونهم بإرسال الغلال والأقوات إلى مصر ، فكتبوا للمحلة الكبرى ومنوف والمنصورة والفشن وبنى سويف ، وفيه كتبوا جوابا من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيس جوابا عن مكتوبه المذكور آنفا .

وفيه ذكر قايمقام بليار لبعض الرؤسا أنه إذا رجع صارى عسكر منصورا ودامت أهل البلد على سكونهم رفع عنهم نصف المليون والظلم .

وفى عاشره أفرجوا عن أحمد بن محرم التاجر بتوسل والتزمه بقايمقام بليار على مصالحة ألفى[1] ريال فرانسه .

وفيه خرج عبد العال إلى ناحية أ ـِ زعبل ، ورجع ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ضرب عنق أحدهم .

وفى ثانى عشره ورد الخبر بموت مراد بيك بالوجه القبلى بالطاعون ، وكان موته رابع الشهر ، ودفن بسوهاج عند الشيخ العارف ، وأقيم عزاؤه عند زوجته

(١) فى الأصل : ألفين ريال .

الست نفيسه ، وبنت له قبرا بمدفن على بيك واسمعيل بيك بالقرافة بالقرب من قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وأشيع نقله إليه ثم ترك ذلك .

وفيه قبض عبد العال على أناس من النورية والصاغة ومرجوش وغيرهم وألزمهم بمال وسئل عن ذلك فقال : لم أفعله من قبل نفسى وإنما هو عن أمر من الفرنسيس .

وفيه حفروا خندقا عند تلال البرقية فكان الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق التل ، ثم ينزلون ويمرون على سقالة من الخشب على الخندق المحفور فحصل للناس غاية المشقة ، واتفق أن ميتا سقط من على رقاب الحاملين وتدحرج إلى أسفل التل .

وفيه أرسلوا جوابات إلى الأمراء المرادية وتقريرا إلى عثمان بيك الجوخدار المعروف بالطنبرجى بأن يكون أميرا ورئيسا على خشداشينه وعوضا عن مراد بيك ، ويستمرون على إمريتهم وتحت طاعة الفرنسيس .

وفيه حضرت جوابات المراسلات التى أرسلت البلاد بسبب إرسال الغلال والأقوات بأن المتسببين والتجار أجابوا بالسمع والطاعة غير أن المانع لهم قطاع الطريق وتعدى العرب ومنعهم السبيل ، وأن أبواب البلدان مغلوقة بحيث لا يمكن الخروج منها ، فإذا أمنت الطرق حصل المطلوب ، وكلام هذا معناه ، وأما الساعى المرسل إلى المنصورة فإنه رجع من أثناء الطريق ، ولم يمكنه الوصول إليها لأن العساكر القادمة قد دخلوها وصارت فى حكمهم .

وفيه أتى فى غرة الحجة طمن مصطفى أغا أبطال ، فلما ظهر ذلك وضعوه بطريقة مهانة وأنزلوه إلى الكرنتيلة بباب النرب ، وألقوه بها ، ثم تكلم فى شأنه

أرباب الديوان وتشفعوا ، فأنزلوه إلى داره فمات بها ، وكذلك وقع لحسين باشة قرا إبراهيم التاجر فى ثانى يوم ، وفى كل يوم يموت من الفرنسيس الثلاثون والأربعون وينزلون بهم من كرنتيلة القلعة على أخشاب مثل الأبواب كل ثلاثة أو أربعة سوا ، يحملهم[1] الحمالون وأمامهم اثنان من الفرنسيس ينحون الناس ويباعدونهم عن القرب منهم، إلى أن يخرجوا بهم من باب القرافة ، فيلقوهم[2] فى حفرة عميقة[3] قد أعدها الحفارون، ويهيلون عليهم التراب حتى يملوهم ثم يلقون صفاً آخر ويغطونهم بالتراب وهكذا حتى تمتلىء الحفرة ويبقى بينها وبين الأرض نحو الذراع فيكبسونها بالتراب والأحجار ، ويحفرون أيضاً غيرها كذلك فيكون فى الحفرة الواحدة اثنى عشر[4] وستة عشر فوق بعضهم البعض وبينهم التراب ويرمونهم بثيابهم وأغطيتهم ، وذلك المكان الذى يدفنون به فى الحلوة خارج مزار القادرية بين الطريقين الموصلين إلى جهة مقام الإمام الشافعى رضى الله عنه .

وفيه أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال الخبيث لمصادرة الناس وطلب المال بعد تأمينهم وتبشيرهم برفع نصف المليون عنهم، وأجيبوا بأن ذلك على سبيل القرض لتعطل المال الميرى واحتياج العسكر إلى النفقة ، وقيل لهم أيضا أنه كان يمكنكم إن تكتبوا إلى البلاد بدفع الميرى رفعنا الطلب عن الناس، فقالوا: هذا غير ممكن لحصول البلاد فى حيازة القادمين وقطع الطرق من وقوف العربه

---

(١) فى الأصل سوا يحملونهم الحمالون . أى كل ثلاثة وأربعة معا يحملهم الحمالون .

(٢) فى الأصل فيلقونهم .

(٣) فى الأصل غميقة بالغين وهو تحريف .

(٤) هكذا فى الأصل والصحيح اثنا عشر .

بها وعدم الانتظام وإنما القصد الملاطفة والرفق ، فإن وظيفتنا النصح والوساطة في الخير .

وفي يوم الخميس سادس الحجة حضر استوف الخازندار وجرجس الجوهري ومن معهم من القبطة وغيرهم ما عدا الفرنسيس الذين ذهبوا معهم ، فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد فلما كان في صبحها حصلت الجمعية ، وحضر الخزندار والوكيل وعبد العال والحاج عبد الله التاودى شيخ الغورية والحاج عمر الملطيلي وكايان الترجمان فتكلم استوف وترجم عنه الترجمان بقوله: إن صارى عسكر الكبير منو يقريكم السلام ويثنى عليكم كثيراً وسينجلي هذا الحادث إن شاء الله تعالى ، ويقدم في خير ويرى أهل مصر ما يسرهم ، وقد هلك من الإنكليز خلق كثير ، وباقيهم أكثرهم مرمودين الأعين وبمرض الزحير ، وجاءت طائفة منهم إلى الفرنساوية وانضموا إليهم من جوعهم وعطشهم ، واعلموا أن الفرنساوية لم يسلموا في رشيد قهراً عنهم ، وكذلك أخلينا دمياط لأجل أن يطمعوا ويدخلوا إلى البلاد وتتفرق عساكرهم فنتمكن عند ذلك من استئصالهم ، ونخبركم أنه قد وردت إلى سكندرية مركب من فرانسه وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرانات ما عدا الإنكليز فإنهم لم يدخلوا في الصلح وقصدهم عدم سكون الحروب والفتن ليستولوا على أموال الناس، واعلموا أن المشايخ المحبوسين وغيرهم بالقلعة لا بأس عليهم ، وإنما القصد من تعويقهم وحبسهم دفع الفتن والخوف عليهم ، وشريعة الفرنساوية اقتضت ذلك ، ولا يمكن مخالفتها ، ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم ، وقد بلغنا أن الشمنل أرسل إلى عسكره بالكف عن الفرنساوية والرجوع عنه.

تخالفهم ، فخالف عليه بعض السفهاء منهم ، وخرجوا عن طاعته وأقاموا الحرب بدون إذنه ، فأجابه بعض الحاضرين من المنافقين بقوله : إن القصد حصول الراحة والصلح والفرنساوية عندنا أحسن حالا من الإنكليز ، لأننا قد عرفنا أخلاقهم ، ثم قال الخازندار : إن الفرنساوية لا يحبون الكذب ولا يعهد عليهم ، فلازم أن تصدقوا كل ما أخبروكم به ، فقال بعض الحاضرين إنما يكذب الحشاشون والفرنساوية لا يأكلون الحشيش ، ثم قال الخازندار إن وقع من أهل مصر قتل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول ، واعلموا أن الفرنساوية لا يتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها أبداً ، لأنها صارت بلادهم وداخلة في حكمهم ، وعلى الفرض والتقدير إذا غلبوا على مصر فإنهم يخرجون منها إلى الصعيد ، ثم يرجعون إليها ثانياً ، ولا يخطر في بالكم قلة عساكرهم ، فإنهم على قلب رجل واحد ، وإذا اجتمعوا كانوا كثيراً ، وطال الكلام في مثل هذه التمويهات والأكاذيب والخرافات وأجوبة الحاضرين بحسب المقتضيات ، ثم قال الخازندار : القصد منكم معاونة الفرنساوية ومساعدتهم وغلاقة نصف المليون ونشفع بعد ذلك عند صارى عسكر في فوات النصف الثاني حكم ما عرفكم قائمقام بليار ، فاجتهدوا في غلاقه من الأغنياء ، واتركوا الفقراء ، ولكن ينبغي التعجيل فإن الأمر لازم لأجل نفقة العسكر ، ثم قال لهم ينبغي أن تكتبوا جواباً لصارى عسكر تعرفوه فيه عن راحة أهل البلد وسكون الحال وقيامكم بوظائفكم ، وهو إن شاء الله يحضر إليكم من قريب ، وانفض المجلس وكتب الجواب المأمور به وأرسل .

وفيه ورد الخبر بوصول حضرة طاهر باشا بجملة من العساكر إلى أبو زعبل .

وفيه خرج عدة من عساكر الفرنساوية وضربوا أربع قرى من الريف بعلة موالاة العرب ، وقطاع الطريق نهبوهم وحضروا إلى مصر بمتاعهم ومواشيهم.

وفيه أرسل بليار قايمقام يطلب من الأوجاقليه بقية ماعليهم من المال المتأخر من فردة الملتزمين وقدره اثنى[1] عشر ألف ريال وإن تأخروا عن الدفع أحاط العسكر بيوتهم ونقلهم إلى أضيق المحبوس بل واستعملهم فى شيل الأحجار فاعتذروا بضيق ذات يدهم ، وحبسهم فتصدر إليهم السيد أحمد الزرو وتشفع عنـد قايمقام بأن يقوموا بدفع أربعة آلاف ريال ويؤجلوا الباقى وينزلوا[2] من القلعة لتحصيل ذلك ، فأجابه وأنزل على أغا يحيى أغاة الجراكسة ويوسف باش جاويش إلى بيت عبد العال وحبسهم بداره وحبس معهم مصطفى كتخدا الرزاز، فـكان يتهددهم ويرسل إليهم أعوانه يقولون لهم شهلوا ماعليـكم وإلآ ضربكم الأغا بالـكرابيج وسبحان الفعال لمـا يريد، فإن عبد العال هذا الذى يتهددهم ربما كان لايقدر على الوصول إلى الوقوف بين يدى أتباعهم فضلا عنهم .

وفيه أحاط الفرنسيس بمنزل حسن أغا الوكيل المتوفى قبل تاريخه ، وذلك بسبب أنه وجد ببيته غلام فرنساوى مختفى[3] أسلم وحلق رأسه وقبضوا على أحد خشداشينه وحبسوه لـكونه علم ذلك ولم يخبر به .

وفيه حضرت رسل من طرف أو رضى هايون لقايمقام بليار فاجتمعوا به وخلابهم ووجبهم فى ليلتهم ، فلما حصلت الجمعية بالديوان سئل الوكيل عن ذلك فقال نعم إنهم أرسلوا يطلبون الصلح .

---

(١) الصحيح اثنا عشر

(٢) فى الأصل ويؤجلون الباقى وينزلونه

(٣) مختف

وفى ثامن عشرة أفرجوا عن إبراهيم أفندى كاتب البهار ليساعد فى قبض نصف المليون .

وفى رابع عشرينه قبضوا على أبى القاسم[1] المغربى الذى كان تولى مشيخة رواق المغاربة بالأزهر بعد موت الشيخ الذى قبله بالشام ، وهو الشيخ سالم بن مسعود الطرابلسى، خرج من مصر ليلة الهزيمة الأولى من الحرب ، الذى وقع بإنبابه ، فاستمر مقيماً بالشام إلى أن مات، ودفن هناك ، وكان رجلا خيراً صالحاً سمح النفس دمث الطباع والأخلاق فيه تودد للناس وحسن عشرة ، ولما تولى مشيخة الرواق امتدحه صاحبنا المشار إليه[2] بقصيدة أشار إليها فى مطلعها إشارة خفية لحالته مع الشيخ سالم المتولى مشيخة الرواق المذكور والسيد عبد الرحمن المعزول ، فإن بينه وبين المتولى صداقة ومحبة بخلاف المعزول ، ولأن المتولى تحمد سيرته بخلاف الذى عزل .

وأول القصيدة

انهض فقـد ولت جيوش الظلام وأقبل الصبح سفير اللثام[1]
وغنت الورق على إيكهـا تنبه الشُّرب[2] لشرب المدام
والزهر أضحى فى الرُّبا باسما لما بكت بالطل عين الغمام
والغصن قــــد ماس بأزهاره لما غدت كالدر فى الانتظام

---

(١) فى الأصل أبو القاسم .

(٢) هو الشيخ حسن العطار .

(١) أى سافر الوجه رافعاً لثامه .

(٢) الشرب جماعة الشاربين .

وعطر الروض مرور الصبا على الرياحين فأبرى السقام

كأنما الورد على غصنه تيجان إبريز على حسن هام

كأنما الندوان خلجان أغصان النقا والنهر مثل الحسام

كأن منظوم الزراجين يا قوت غدا من نظمه فى انسجام

كأنما الآس غدار على وجنة خِشْف قد علاها ضرام(١)

كأنما الورقاء لما شدت تتلو علينا فضل هذا الإمام

ثم استمر فى مدحه وهى طويلة مسطرة بديوان المذكور يقول فى آخرها .

بشراك مولانا على منصب كان له فيك مزيد الهيام

وافاك إقبال به دائما وعشت مسعوداً بطول الدوام

فقد رأينا فيك ما نرتجى لازلت فينا سالماً والسلام

ولما قبضوا على السيد أبى القاسم(٢) المذكور حبسوه بالقلعة وكذلك محمد أفندى يوسف ثانى قلفه وآخر يقال له عبيد السكرى .

وفى خامس عشرينه أظهروا مكتوباً وزعموا أنه حضر من النصارى عسكرهم، وقرىء بالديوان وهو فى معنى التمويه والخرافات السابقة، وفى ضمنه تقرير الفرنساوى المسمى بجيرار بالديوان عوضاً عن فورية ، وتاريخه ثامن عشر الحجة .

وفى سادس عشرينه أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل جيرار، وذلك على حد قول القائل :

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وفيه أفرجوا عن أحمد كاشف سليم الشعراوى بشفاعة حسن كاشف اليهودى وسافر إلى جهة الصعيد .

---

(١) الخشف : الظبى الصغير .

(٢) فى الأصل أبو القاسم .

وفى ثامن عشرينه ، وصلت البشائر بوصول الصدر الأعظم واللاذ الأفخم وحلول ركابه ببلبيس ، وذلك يوم الجمعة رابع عشرينه فأقبل السرور وانشرحت الصدور ، وانقضت هذه السنة بحوادثها التى لا يمكن ضبط بعض كلياتها فضلا عن جزئياتها ، فمنها توالى الهدم والخراب وتغيير المعالم وتنويع المظالم ، وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والحروبى فهدموا تلك الجهات والأخطاط والحارات والدروب وما فى ضمن ذلك من الخانات والوكايل والرباع والدور والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة وجامع الجنبلاطية المعظم بباب النصر وما كان به من القبب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام والمنارة ذات الهلالين ، واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح وباب القوس إلى باب الحديد حتى بقى ذلك كله خرابا متصلا واحدا، وبقى سور المدينة الأصلى ظاهراً مكشوفاً فعمروه ورموا[1] ماتشعث منه ، وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ورفعوا بنيانه وعملوا بهندباب[2] كل كرانك وبدنات عظاماً وأبوابا داخلة وخارجة وأخشابا مغروسة بالأرض مشبكة[3] بكيفية مخصوصة، وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلا ونهاراً، ثم سدوا باب الفتوح بالبنا وكذلك باب البرقية وباب المحروق وأنشأوا عدة قلاع فوق تلال ورتبوا فيها العساكر وآلات الحروب والذخيرة وصهاريج الماء، وذلك من حد باب النصر إلى باب الوزير طولا، فمهدوا أعالى التلال ومهدوا طرقا أيضاً ، وجعلوا لها مزالق

(١) أى أصلحوا .

(٢) لعلها عند كل باب الخ .

(٣) فى الأصل مشكبة .

وانحدارات، لسهولة الصعود والهبوط ، بقياسات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة ، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها ، وهدموا أبنية رأس الصورة ، حيث الحطابة وباب الوزير ، تحت القلعة الكبيرة ، وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة ، والقبب المرتفعة ، وهدموا أعالى المدرسة النظامية ومنارتها ، وكانت غاية من الحسن ، وجعلوها قلعة ، ونبشوا مابها من القبور ، فوجدوا ما بها من الموتى فى توابيت من الخشب ، فظنوا داخلها دراهم ، فكسروا بعضها فوجدوا بها عظام الموتى ، فأتموها إلى خارج ، فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها وعملوا لها مشهداً بجمع من الناس ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب الدرج ، وهدموا مدرسة القايتية[1] والجامع المعروف بالسبع سلاطين والجامع الجركسى ، وجامع خوند بيركة بالناصرية خارج باب البرقية ، وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ، ومساجدها ، وشيدوا الباب وعملوا الجامع الناصرى الملاصق له قلعة بعد أن هدموا منارته وقببه ، وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر ، وجعلوا ذلك الجامع قلعة ، وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة ، وسدوا عيونها وجعلوها سوراً بذاتها ، ولم يبقوا منها إلا القوصرة الواحدة من ناحية الطيبى جهة مصر القديمة ، جعلوها باباً ومسلكا وعليها السكرانك والنفر والعساكر الملازمين الإقامة بها ، وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد ، وحفروا خلف ذلك خندقاً ، ومنها تخريب دور الأزبكية وردمها بالأتربة ، وتبديل أوضاعها ، وهدم خطة قنطرة الموسكى وماجاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام ، إلى

---

(١) لعلها القايتبية نسبة إلى السلطان قايتباى .

البوابة المعروفة بالعتبة الزرقاء حيث جامع أزبك ، وما فى ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكايل وكوم الشيخ سلامة ، فيسلك المارون من على القنطرة فى رحبة متسعة حتى ينتهى إلى رحبة الجامع الأزبكى ، وهدموا بيت الصابنجى ووصلوه بجسر عريض ممتد ينتهى إلى قنطرة التـكة[1] ، وفى متوسط ذلك الجسر ينعطف جسر[2] من على جهة اليسار عند بيت الطويل المهدوم أيضاً ممتداً إلى قنطرة المغربى ، ومنها يمتد إلى بولاق على خط مستقيم إلى ساحل البحر حيث موردة التبن والشون ، وزرعوا بحافته الشيسبان وهدموا المسجد المجاور لقنطرة التـكة مع ما جاوزه من الأبنية والحيطان ، وعملوا هناك بوابة وكرنـكا وعسكرا ملازمين الإقامة والوقوف ليلا ونهاراً ، وذلك عند مسكن بليار قائمقام ، وهى دار جرجس الجوهرى .

ومنها توالى خراب بركة الفيل بأسرها ودورها وقصورها وبيوت الأمراء التى كانت بها حتى صارت كلها تلالا وخرايب بحيث لا يتصور الرائى إعادتها إلا أن يشاء الله ، وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ووقود النيران والبيع ، وكذلك ما كان بها من الرصاص والحديد والرخام ، وهذه البركة يقول فيها ابن سعيد الأندلسى ، وقد ذكر القاهرة : وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لأنها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم ، وعادة السلطان يركب فيها بالليل ويسرج أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم ، فيـكون بذلك لها منظر عجيب وفيها أقول :

انظر إلى بركة الفيل التى اكتنفت بها المناظر كالأهداب للبصر

---

(١) لعلها قنطرة الدكة .

(٢) فى الأصل جسراً .

كأنما هى والأبصار ترمقهـــا كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

انظر إلى بركة الفيل التى نحرت لها الغزالة نحراً من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها يهيم وجداً وحباً فى بدايعهـــا

وقال صاحبنا المشار إليه[1] وأما بركة الفيل فقد رميت بكل خطب جليل، وأورثت العين بوحشتها بكاء وعويلا، والقلب يتذكر ما سلف من مباهجها حزناً طويلاً، تبدلت مفردات أطيارها بنواعب الغربان، ومحاسن غزلانها لأنها بكل عِلْج[2] تتذى به العينان، ومشيد قصورها بخرايب وتلال، وأكابر أمرائها بصعاليك وأرزال[3]، ولقد تذكرت ماضى عيش بها سلف، ومعهد أنس كان الكآبة بعده خلف، فقلت متذكراً أولئك الأيام كأنما مرت كأضغاث أحلام :

عللانى بذكر خشـــف[4] رخيم واسقيانى فى الروض بنت الكروم
وصفالى زمان أنس صفـــالى بحبيب غَضٍّ وراع قـــديم
حينما الدهر طوعنــــا والأمانى فى تدان والوهم فى تهـــويم
والربا فى نضـــارة وزهو حـــل فيه من الغمام السجيم
خافضات به الغصون رؤوســـا مثقــلات من دُرِّ طَلٍّ نظيم

(١) هو الشيخ حسن العطار .
(٢) العلج : هو الرجل الأعجمى وجمعه علوج .
(٣) فى العبارة خطأ ظاهر وهو إدخال باء الإبدال على الموجود مع أن الصحيح أنها تدخل على المزول فيقال تبدلت نواعب الغربان بمفردات أطيارها ... الخ .
(٤) الخشف ولد الظبى أول ما يولد .

ولِصَفْوِ الغدير فيها وَلوع ... يرقب الوصل من مرور النسيم
وترى الورد كالمليك لديه ... كل غصن يَنْزوى بقدٍّ قويم
بسط الروض نحوه وشى بُسْط ... حاكها الطَّلُّ فى ابتداع وسيم
ولجين النهور فيها طراز ... ولدر الزهور رقش الرسوم
وبكاء الحمام هيج عندى ... فرط شوق إلى الزمان القديم
زمن بالسرور لم يك إلا ... حُلُماً مُرا وتراضى حليم[1]
فيه كانت تجلى بدور جمال ... أشرقت عن نجوم نيل بهيم
من بنى[2] الترك ذى الجمال يغدى ... أيضاً هى فى الحسن رَوْم الروم
كل ظبيى تراه يلهو ويرنو ... بقوام القنا وطرف الرَّيم
برهة باجتلاء المدام يحييك ... ويُحْييك بَعْدُ بالتكليم
أسرونى وأطلقوا دمع جفنى ... وأثاروا فى القلب نار الجحيم
يا زمانا ببركة الفيل وَلَّى ... فيه قد كنت ثاويا فى نعيم
لا عدمتك من زمان تقضى ... بين شادٍ وشادنٍ ونديم

ثم قال: وهكذا الدنيا طبعت على هذا الشأن من سره زمانه ساءته أزمان[3] والعاقل فى تقلبات الأيام عبر ، ما شوهد منها وما غبر .

---

(١) هكذا ورد البيت فى الأصل .

(٢) فى الأصل من بين وهو تحريف .

(٣) مأخوذ من قول الشاعر :

لكل شىء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان

وأخربوا أيضاً جامع أزبك العظيم ، وجعلوه سوقاً لبيع أقلام المكوس ، وأخربوا أيضاً جامع الرويعى ، وجعلوه خمارة ، وجامع عثمان كتخدا القزدغلى بالقرب من رصيف الخشاب ، وجامع خير بك حديد ، الذى بضرب الحمام بقرب من بركة الفيل ، وجامع البنهاوى والطرطوشى والعدوى ، وجامع عبد الرحمن كتخدا المقابل لباب الفتوح هدموه حتى لم يبق له أثر البتة .

ومنها أنهم غيروا معالم المقياس وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية والقصر البديع الشاهق وهدموا القاعة التى بها عامود المقياس ، وبنوها على شكل آخر ورفعوا قاعدة العامود العليا ذراعاً من قطعة رخام مربعة ، ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع ، ومنها أنهم هدموا مصاطب الحوانيت التى بالشوارع ، ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد من ذلك توسيع الأزقة لمرور العربات الكبيرة التى ينقلون عليها المتاع والجبس والخبز وغيره ، والمعنى الخفى الثانى خوفاً من إقامة المتاريس بها عند حدوث الحروب كما تقدم .

وكانوا وصلوا فى الهدم إلى باب زويلة ، ومن الجهة الأخرى إلى سوق مرجوش فهدموا مصاطب خط قناطر السباع والصليبة ودرب الجماميز وباب سعادة[1] وباب الخرق إلى آخر باب الشعرية ، ولو طال الحال لهدموا مصاطب خط العقادين والغورية والصاغة والنحاسين إلى آخر باب النصر وباب الفتوح ، فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك ، وصاروا فى داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران فى الشقوق ، وبعض الزوايا والجوامع والرباع التى درجها خارج عن سمت حائط البنا ، لما هدموا درجه وبسطته بقى بابه بمدخله معلقاً ، فكانوا

(١) فى الأصل باب السعادة .

يتوصلون[1] إليه بدرج من الخشب مصنوع يضعونه وقت الحاجة ويرفعونه بعدها، وذلك على كثير، ومنها تبرج النساء وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء، وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون فى الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميرى والمزركشات المصنوعة، ويركبن الخيول والحمير ويسقنها[2] سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة، ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة، فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش، فتداخلن مع الفرنسيس لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهن،[3] وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة فى إخفائه؛ فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر وحاربت الفرنسيس بولاق، وفتكوا فى أهلها، وغنموا أموالها، وأخذوا مااستحسنوه من النساء والبنات؛ صرن مأسورات عندهم، فزيّنوهن بزى نسائهم وأجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال، فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر، حتى كثرت الفواحش من النساء؛ مع ماحل بالمسلمين من الذل والهوان وسلب الأموال، واجتماع خيرات الدنيا فى حوز الفرنسيس، وشدة رغبتهم فى النساء، وخضوعهم لهن وموافقة مرادهن وعدم مخالفة هواهن، ولو شتمنه أو ضربنه بتاسومتها على قفاه، ولو كانت هى فى غاية القبح؛ فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والإعتبار، واستمالن نظراءهن واختلسن عقولهن لميل النفوس إلى الشهوات، وخصوصاً عقول القاصرات، وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن[4] رغبة فى سلطانهم ونوالهم، فيظهر حالة العقد

---

(١) فى الأصل يتواصلون.

(٢) فى الأصل يسوقونها.

(٣) فى الأصل كلهن.

(٤) فى الأصل وتزوجوهم.

الإسلام ، وينطق بالشهادتين ، لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها، وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات متزيات بزيهم ، ومشوا معهم فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية والأحكام العادية والأمر والنهى والمناداة ؛ وتمشى المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها ، وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصى يفرجون[1] لهن الناس، ويوسعون من أجل مرورهن الطرقات مثل مايمر الحاكم ويأمرن وينهين فى الأحكام .

ولما وفى النيل ودخل الماء فى الخليج وجرت فيه السفن ، وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن فى المراكب والرقص والغناء والشرب فى النهار والليل ؛ فى الفوانيس والشموع الموقدة ، وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة ، وصحبتهم آلات الطرب ، وخدمة السفن يكثرون من الهزل والمجون، ويتجاوبون برفع الصوت فى تحريك المقاذيف بسخايف موضوعاتهم وكثايف مطبوعاتهم، وخصوصاً إذا دبت الحشيشة فى رءوسهم وتحكمت فى عقولهم ، فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غنائهم ، وتقليد كلامهم شىء كثير وأما الجوار السود فإنهن لما علمن رغبة القوم فى مطلق الأنثى ذهبن[2] إليهم أفواجاً فرادى وأزواجاً ، فنططن الحيطان وتسلقن[3] إليهم من الطيقان ، ودلوهم على مخبآت أسيادهن ، وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك .

ومنها أن يعقوب القبطى اللعين لما تظاهر مع الفرنساوية وقلدوه صارى عسكر القبطة، جمع شبان القبط وحلق لحاهم وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية ، مميزاً

---

(١) أى يوسعون لهن الطريق .
(٢) فى الأصل فإنهم لما علموا ذهبوا .
(٣) فى الأصل فنطوا الحيطان وتسلقوا .

عنهم بقبعات يلبسونها[1] على رؤوسهم مشابهة لشكل البرنيطة، وعليها قطعة فروة سوداء من جلد الغنم فى غاية البشاعة ؛ مع مايضاف إليها من قبح صورهم وسواد أجسامهم ، وزفارة أبدانهم، وجعلهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد، وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التى هو ساكن بها ؛ خلف الجامع الأحمر . وبنى له قلعة وسورها بسور عظيم وأبراج وباب كبير يحيط به بدنات عظام ، وكذلك بنى أبراجاً فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية ، وفى جميع السور المحيط والأبراج طيقان للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذى رممه الفرنساوية ، ورتب على باب القلعة الخارج والداخل عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلا ونهاراً وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية .

ومنها قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنان الكائنة بمصر وبولاق ومصر القديمة والروضة وجهة قصر العينى وخارج الحسينية مثل غيط قزخزان وغيط الله وغيط أبوخوره وبساتين بركة الرطلى وأرض الطبالة وبساتين الخليج ، بل وجميع القطر المصرى كالشرقية والغربية والمنوفية وبساتين رشيد ودمياط ، كل ذلك لعمل القلاع وتحصين الأسوار فى جميع الجهات وعمل العجل والعربات والمتاريس ووقود النار .

ومنها تكسير المراكب والسفن وأخذ أخشابها أيضاً مع شدة الاحتياج إليها وعدم إنشاء سفن جديدة لافتقار الناس ورؤساء المراكب وعدم الخشب والقار والحديد وبقية الآلات، وعدم الأمن عليها لو فرض حتى أنهم حال حلولهم الديار المصرية وسكنهم بالأزبكية كسروا جميع القنج والأغربة التى كانت مركوزة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزه، وكذلك ما كان ببركة الفيل؛ وقس على ذلك

---

(١) فى الأصل تميز عنهم قبع يلبسونه مشابه .

حتى أن القطر المصرى الآن فى شدة الاحتياج لذلك، وشحت البضايع وغلت الأسعار وتعطلت الأسباب وضاقت المعايش وتضاعفت أجر حمل التجارات فى السفن لقلتها ، وبطلت المتاجر .

ومنها هدم القبب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة خوفاً من تترس المحاربين بها ؛ فكانوا يهدمون ذاك بالبارود على طريقة اللغم ؛ فيسقط المكان بجميع أجزائه من شدة البارود وانحباسه فى الأرض ، فهدموا شيئاً كثيرا على هذه الصورة ؛ وكذلك أزالوا جانبا كبيراً من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحاذية للقلعة خوفا من تمكن الخصم منها والرمى على القلعة .

ومنها زيادة النيل الزيادة المفرطة التى لم يعهد مثلها فى هذه السنين ، حتى غرقت الأراضى وحوصرت البلاد وتعطلت الطرق ، فصارت الأرض كلها لجة ماء وغرقت غالب القرى التى على السواحل ، فتهدم من دورها شىء كثير ، وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية إلى الطريق المسلوكة وطفح من بركة الفيل إلى درب الشمسى وطريق قنطرة عمر شاه ، ومنها استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر وغلو البضايع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب ؛ حتى غلت أسعار جميع البضائع وانتهى سعر كل شىء إلى عشرة أمثاله وزيادة على ذلك ، فبلغ الرطل إلى ثمانين نصفا والوزنة الواحدة بنصفين وقس على ذلك .

ومنها وقوع الطاعون بمصر والشام، وكان معظم عمله ببلاد الصعيد ، أخبرنى صاحبنا المشار إليه العمدة الفاضل الشيخ حسن العطار المصرى نزيل أسيوط مكاتبة ونصها : ونعرفكم أنه قد وقع فى قطر الصعيد طاعون لم يعهد ولم نسمع بمثله، وخصوصاً ماوقع منه بأسيوط، وقد انتشر هذا البلاء فى جميع البلاد وشاهدنا منه العجايب، وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد ، وكان أكثره فى الرجال ، سيما

الشباب والعلماء وكل ذى منقبة وفضيلة وأغلقت الأسواق وعزّت الأكفان. وصارا المعظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد، حتى أن الإنسان لا يدرى بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام، ويتعطل الميت فى بيته من أجل تجهيزه، فلا يوجد النعش ولا المغسل ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة، وإن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشى معه مازاد على عشرة أنفار تكترى، وماتت العلماء والقراء والملتزمون والرؤساء وأرباب الحرف، ولقد مكثت شهراً بدون حلق شعر رأسى لعدم الحلاق، وكان مبدأ هذ الأمر من شعبان، وأخذ فى الزيادة فى شهر ذى القعدة والحجة حتى بلغ النهاية، فكان يموت كل يوم من أسيوط خاصة زيادة على الستمائة». وصار الإنسان إذا خرج من بيته لا يرى إلا جنازة أو مريضاً أو مشتغلاً بتجهيز ميت، ولا يسمع إلا النواح والبكاء، وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة لموت أرباب الوظائف واشتغال من بقى منهم بالمشى أمام الجنائز والسبيح[1] والسهر، وتعطل الزرع من الحصاد ونشف على وجه الأرض وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده، وعلى التخمين مات الثلثان من الناس، هذا مع سعى العرب فى البلاد بالفساد والتخويف بسبب خلو البلاد من الناس، والحكام إلى أن قال: ولو شئت أن أشرح لك ياسيدى ماحصل من أمر الطاعون لملأت الصحف مع عدم الإيفاء». وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة ١٢١٥ .

وأما الذين ماتوا فى هذه السنة من الأعيان فالأمير مراد بيك محمد مات بسهاج قادما إلى مصر باستدعاء الفرنسيس ودفن بها ، وكان موته رابع شهر الحجة كما تقدم، وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب ومحمد بيك مملوك على بيك وعلى بيك مملوك إبراهيم كتخدا القاذدغلى ، اشترى محمد بيك مراد بيك.

---

(١) يريد التسبيح .

المذكور فى سنة اثنين وثمانين ومائة وألف ، وذلك فى اليوم الذى قتل فيه صالح بيك الكبير ، فأقام فى الرق أياماً قليلة ، ثم أعتقه وأمّره وأنعم عليه بالإقطاعات الجليلة ، وقدمه على أقرانه ، وتزوج بالست فاطمة زوجة الأمير صالح بيك ، وسكن داره العظيمة ، بخطة قلعة الكبش ، ولما مات على بيك تزوج بسريته أيضاً ، وهى الست نفيسة الشهيرة الذكر بالخير ، ولما انفرد محمد بيك بإمارة مصر كان هو وإبراهيم بيك أكبر أمرائه المشار إليهما دون غيرهما ، فلما سافر محمد بيك إلى الديار الشامية محاربا لظاهر عمر ؛ أقام عوضه فى إمارة مصر إبراهيم بيك وأخذ صحبته مراد بيك وباقى أمرائه ، فلما مات محمد بيك بعكا ؛ اجتمع رأى مماليكه وأمرائه على رآسة مراد بيك وتقدمه عليهم ، وحملوا جثة سيدهم وحضروا بأجمعهم إلى مصر ، فاتفق رأى الجميع على إمارة من استخلفه سيدهم وقدمه دون غيره ، وهو إبراهيم بيك ورضى الجميع بتقدمه ورياسته لوفور عقله وسكون جأشه ، فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ، ونائب نوابها ووزرائها ، وعكف مراد بيك على لذاته وشهواته وقضى أكثر زمانه خارج المدينة ، مرة بقصره الذى أنشأه بالروضة وأخرى بجزيرة الذهب ، وأخرى بقصر قيبان جهة العادلية ، كل ذلك مع مشاركته لإبراهيم بيك فى الأحكام والنقض والإبرام والإيراد والإصدار ، ومقاسمة الأموال والدواوين وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب ، وأخذ فى بذل الأموال وإنفاقها على أمرائه وأتباعه ، فانضم إليه بعض أمراء على بيك وغيرهم ، ممن ماتت أسيادهم كعلى بيك المعروف باللط وسليمان بيك الشابورى وعبد الرحمن بيك عثمان ، فأكرمهم وواساهم ورخص لمماليكه فى هفواتهم وسامحهم فى زلاتهم ، وحظى عنده كل جرىء غشوم عسوف ذميم ظلوم ، فانقلبت أوضاعهم ، وتبدلت طباعهم ، وشرهت نفوسهم ، وعلت

رءوسهم ، فتناظروا وتفاخروا ، وطمعوا فى أسعاذهم ، وشمخت أنافهم عليه ، وأغاروا حتى على ما فى يدنه ، واشتهر بالكرم والعطاء فقصده الراغبون وامتدحه الشعراء والذاوون ؛ وأخذ الشىء من غير حقه وأعطاه لغير مستحقه كما قال القائل :

وإنما خطرات من وساوسه — يعطى ويمنع لا بخلاً ولا كرماً

ثم لما ضاق عليه المسلك ، ورأى أن رضا العالم غاية لاتدرك ، أخذ يتحجب عن الناس ، فعظم فيه الهاجس والوسواس ، وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش والتورط فى الإقدام مع عدم الشجاعة ، ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره[1] أبداً ، على ما فيه من الإدعاء والغرور والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور ، كما قال القائل :

أسد عَلَىَّ وفى الحروب نعامة — فتخاء تَنفِرُ مِنْ صَفِير الصافر[2]

ولما قدم حسن باشا إلى مصر وخرج المترجم مع خشداشيه وعشيرته هاربين إلى الصعيد حتى انقضت أيام حسن باشا وإسمعيل بيك ومن كان معه ، ورجعوا ثانياً بعد أربع سنين وشىء من الشهور ، من غير عقد ولاعهد ولاحرب ، تعاظم فى نفسه جداً واختص بمساكن اسمعيل بيك ، وجعل إقامته بقصر الجيزة وزاد فى بنائه وتنميقه وبنى تحته رصيفاً محكماً وأنشأ بداخله بستاناً عظيماً نقل إليه أصناف النخل والأشجار والكروم واستخلص إقليم الجيزة لنفسه شراء ومعاوضة وغصباً وعمر أيضاً قصر جزيرة الذهب ، وجعل بها بستاناً عظيماً وكذلك قصر ترسا

---

(١) الحرب مؤنثة .

(٢) قاله أحد شعراء الخوارج فى العصر الأموى يهجو الحجاج .

وبستان الجنون ، وصار ينتقل فى تلك القصور والبساتين ويركب للصيد فى غالب أوقاته واقتنى المواشى من الأبقار والجواميس الجلابة والأغنام المختلفة الأجناس ؛ فكان عنده بالجيزة من ذلك شيء كثير جداً ، وعمل له ترسخانة عظيمة وطلب صناع آلات الحرب من المدافع والمهاريز واليذب والكلل والمكاحل ، واتخذ بها أيضاً معامل البارود وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين ، فجمع الحديد المجلوب والرصاص والفحم والحطب حتى شحت جميع هذه الأدوات لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها ، وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة لحرق قمن الجير والجبس للعمارة وأوقف الأعوان فى كل جهة يحجزون المراكب التى تأتى من البلاد بالأحطاب يأخذونها ويجمعونها للطلب ، ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ويأخذون الجعالات على ما يسمحون به أو يطلقونه لأربابه بالوسائط والشفاعات ؛ واحضر ناساً من القليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب فأنشأوا له عدة مراكب حربية وغلايين ، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم ، صرف عليها أموالا عظيمة[1] ورتب لها عساكر بحرية وأدر عليهم الجماكى[2] والأرزاق الكثيرة ، وجعل عليهم رئيساً كبيراً رجلا نصرانيا ، ويقال له نقولا بنى له داراً عظيمة بالجيزة ومصر وله عزوة من نصارى الأروام المرتبين عسكراً ، وكان نقولا المذكور يركب الخيل ، ويلبس الملابس الفاخرة ، ويمشى فى شوارع مصر راكبا وأمامه وخلفه قواسة يوسعون له الطريق على هيئة ركوب الأمراء كل ذلك خطرات من وساوسه لايدرى لأي شيء هذا الاهتمام ولأي شيء حاجة إنفاق هذا المال فى الخشب والحديد وإعطائه لنصارى الأروام

---

(١) فى الاصل عظيماً .

(٢) أى الأغذية .

وترددت الناس فقائل يقول : إن ذلك خوف من خشدا شينه وقائل يقول : مخافة من السلطنة كما تقدم فى قضية حسن باشا ، والبعض يظن خلاف ذلك ، وليس غير الوهم والتخيل الفاسد والخوف شىء ، وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله والكلل والبنبات حتى أخذ جميعه الفرنسيس فيقال إنه كان بحواصل الترسخانة من جنس الكلل إحدى عشر ألف كله ، كذا نقل عن معلم الترسخانة أخذ جميع ذلك الفرنسيس يوم استيلائهم على الجيزة ، ومما اتفق أنه وقعت[1] مشاجرة فى بعض الأيام بين بعض نصارى الأروام القليونجية وبعض السوقة بمصر القديمة فتعصب النصارى على أهل البلد وحاربوهم وقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا، وانتهت الشكوى إلى الأمير فطلب كبيرهم فعصى عليه وامتنع من مقابلته ، وعمر مدافع المراكب ووجهها جهة قصره ، فلم يسعه إلا التغافل ، وراحت على من راح ، واستوزر له رجلا بربريا وهو المسمى بإبراهيم كتخدا السنارى ، وجعله كتخداه ومشيره ، وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة بإقليم مصر مالم يبلغه أعظم أمير بها ، وبنى له داراً عظيماً بالناصرية واقتنى المماليك الحسان والسرارى البيض والحبوش والخدم ، وتعلم اللغة التركية والأوضاع الشيطانية ، واختص ذلك البربرى برجل فراش من رعاع الناس ، وجعله كتخداه يأتمر بأمره ويتوسل[2] به أعاظم الناس فى قضاء أشغالهم ، ولما حسن لمراد بيك الإقامة بالجيزة ، واختار السكن بها، وزين له الشيطان العزلة عن خشدا شينه وأقرانه ، وترك لإبراهيم بيك أمر الحكام والدواوين ومقتضيات نواب السلطنة مع كونه لاينفذ أمراً دون رأيه ومشورته ، واحتجب هو عن الإجتماع بالناس بالكلية حتى عن الأمراء الكبار من أقرانه

---

(١) فى الأصل : وقع مشاجرة .
(١) وفى الأصل يتوسلون به أعاظم الناس .

كان بينه وبينهم إبراهيم كتخدا المذكور فكان هو عبارة عنه ، وربما نقض القضايا التي انبرم أمرها عند إبراهيم بيك أو غيره بنفسه ، أو عن لسان مخدومه ، وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربي نحو ست سنوات متوالية ، لايعدى إلى البر الشرقي أبداً ، فلا يحضر الديوان ولايتردد إلى الأقران ، وإذا حضر الباشا المولى على مصر ووصل إلى برانبابه ركب وسلم عليه مع الأمراء ، ورجع إلى قصره فلا يراه بعد ذلك أبداً ، وتعاظم في نفسه وتكبر على أقرانه وأبناء جنسه ، فتزاحمت على سدته الطلاب وتكالبت على جيفته الكلاب ، فانزوى من نبشهم وتوارى من نهشهم ، فإذا بلغه قدوم أو وصول من يرتجيه وكان يستحى من رده أو يخشى عاقبة صده ، ركب في الحال وصعد إلى الجبال ، وربما وصل الغريم على غفلة فيجده قد شمع الفتلة ، فإن صادفه واجتمع عليه ، أعطاه مافي يديه وأوعده[1] بالخير ، وأوهبه ملك الغير ؛ فما يشعر الميسور إلا ولقمته قد اختطفها السنور ، ثم أخذ يبعث[2] بدواوين الأعشار والمكوسات والبهار ، فيحول عليهم الحوالات ، ويتابع لمماليكه ختم الوصولات ؛ فتجاذب هو وإبراهيم بيك ذلك الإيراد ، وتعارضت أوراقها وحاقا في المعتاد ، ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين البحرية ولقسيمه مايراد من الأصناف الحجازية ، وما انضاف إلى قلم البهار ، وحسب في دفاتر التجار ، فانفرد كل منهما بوظيفته وفعل بها من الأجحاف ماسطر في صحيفته ، فأحدث المترجم ديواناً خاصاً بثغر رشيد على الغلال التي تحمل إلى بلاد الإفرنج وسموه ديوان البدعة ، وأذن ببيع الغلال لمن يبيعها إلى بلاد الإفرنج وغيرها ، وجعل على كل أردب ديناراً خلاف البراني والتزم بذلك رجل

---

(١) الصحيح ووعده .

(٢) لعلها يعبث .

سراج من أعوانه الموصوفين بالجود ، وسكن برشيد وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالا وإيراداً عظيماً، وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيس وطمعهم فى الأقليم المصرى ، مع ما أضيف لذلك من أخذ أموالهم ونهب تجارهم وبضاعاتهم من غير ثمن واقتدى به أمراؤه وتناظروا فى ذلك وفعل كل ماوصلت إليه همته فاستخرجه[1] فطنته واختص بالسيد محمد كريم السكندرى ورفع شأنه بين أقرانه ، فمهد له الأمور بالثغر وأجرى أحكامه به ، وفتح له باب المصادرات والغرامات ، ودله على مخبآت الأمور وأخذ أموال التجار من المسلمين وأجناس الإفرنج ؛ حتى تجسمت العداوة بين المصريين والفرنسيس ، وكان هو من أعظم الأسباب فى تملك الفرنسيس الثغر كما ذكر فى قتله ، ومما سولت له به نفس المترجم بإرشاد بعض الفقهاء عمارة جامع عمرو بن العاص ، وهو الجامع العتيق وذلك أن هذا الجامع لما خرب بخراب مدينة الفسطاط وبقيت البلاد تلالا وكيمانا ، وخصوصاً ماقرب من ذلك الجامع ؛ لم يزل الجامع فى اضمحلال حتى مالت شقته وسقفه وأعمدته فعزم على تجديده وعمارته ليرفع به دينه الخلق[2] كما قال شاعرهم من قصيدته :

ومسجد فى قضاء ماعمارته ... فوق الصيانة إلا لهو مختلق

كأن عمراً دعايا عاص هم به ... ورمه رقعة فى دينك الخلق

فاهتم لذلك وقيد به نديمه قاسم المعروف بالمصلى وصرف عليه أموالا عظيمة أخذها من غير حلها ، فأقام أركانه ، وشيد بنيانه ، ونصب أعمدته ، وكمل زخرفته

(١) الصحيح واستخرجته .

(٢) أى الرث البالى .

وبنى به منارتين وجدد جميع سقفه بالخشب النقى ، وبيضه جميعه ، فتم على أحسن مايكون ، وفرشه بالحصر الفيومى وعلق به القناديل . وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان (سنة ١٢١٢) اثنى عشر[1] لحضر الأمراء أو الأعيان وكان يوماً مشهوراً ، فلما حضرت الفرنسيس فى العام القابل بعد تاريخه ، جرى عليه ماجرى على غيره من الهدم والتخريب حتى أصبح بلقعاً أشوه مما كان .

بنى جامعاً لله من غير حله فجاء بحمد الله غـــير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها فياليت لاتزنى ولاتتصـــدق

وبالجملة فمناقب المترجم لاتحصى وأوصافه لاتستقصى ، وهو كان من أعظم أسباب خراب الإقليم المصرى، فلعل الهم يزول بزواله ، وكانت صفته أشقر كث اللحية ، قصير القامة ، غليظ الجسم والصوت ، بوجهه أثر ضربة سيف ، ظالماً غشوماً مشهوراً مختالاً معجباً متكبراً ولم يخلف ولداً ولا بنتاً وصناجقه الذين هلك منهم محمد بيك المعروف بالألفى وعثمان بيك المعروف بالطنبرجى وعثمان بيك المعروف بالبرديسى ومحمد بيك المنفوخ وسليم بيك أبو دياب مملوك مصطفى بيك الأسكندرانى .

ومات الأمير حسن بيك الجداوى مملوك على بيك ، وهو من خشداشين محمد بيك أبو الذهب ، مات بغزة بالطاعون ، وكان من الشجعان الموصوفين ، والأبطال المعروفين . ولما انفرد على بيك بمملكة مصر ولاه إمارة جدة فلذلك لقب بالجداوى، وذلك سنة ١١٨٤هـ (أربع وثمانين ومائة وألف) وابتلى فيها بأمور ظهرت بها شجاعته ، وعرفت فروسيته ، ولما حصلت الوحشة بين اسمعيل بيك

(١) هكذا بالأصل والصحيح سنة اثنى عشرة ومائتين وألف .

والمحمديين كان ممن نافق معه، وعضده هو وخشداشينه: رضوان بيك وعبدالرحمن بيك ، وكانت لهم الغلبة ، وتم أمره عند ذلك وظهر شأنه بعد أن كان خمل ذكره ، وهو الذى تجاسر على قتل يوسف بيك فى بيته بين مماليكه وعزوته ، ثم خامر على اسمعيل بيك وانقلب مع المحمديين عندما خرج لمحاربتهم بالصعيد ، فخادعوه وراسلوه وانضم إليهم بمن معه ورجعوا إلى مصر وفر اسمعيل بيك بمن معه إلى الشام واستقر هو وخشداشينه فى مملكة مصر مشاركين لهم ، مظهرين عليهم الشمم طامعين فى خلوص الأمر لهم ، متوقعين لهم الفرصة ، مع التهور الموجب لتحذر الآخرين منهم، إلى أن استعجلوا اشتعال نار الحرب فجرى ماجرى بينهم من الحروب والمحاصرة بالمدينة ، وانجلت عن خذلانهم وهزيمتهم وظهور المحمديين عليهم، وقتل بها عدة من أعيانهم ومواليهم ومن انضم إليهم وربما عوقب من لا جنى، كما سطر ذلك فى محله ، وفر المترجم مع بعض من بقى من عشيرته إلى القليونجية فقبض عليه وأتى به إلى مصر ففر إلى بولاق بمفرده والتجأ إلى بيت الشيخ الدمنهورى، فأحاطوا به فنط من سطح الدار وخلص إلى الزقاق ، وسيفه مشهور فى يده فصادف جنديا فقتله وأخذ فرسه وركبها وفر والعساكر خلفه تريد أخذه وتتلاحق به من كل جهة وهو يراوغهم ويقاتلهم حتى خلص إلى بيت إبراهيم بيك، فأمنة واتفقوا على إرساله لجدة ، فلما أقلع به فى القلزم أمر رئيس المركب أن يذهب به إلى القصير وخوفه القتل إن لم يفعل فذهب به إلى القصير فتوجه منها إلى إسنا، وعلمت به عشيرته وخشداشينه ومماليكه فتلاحقوا به واستقر أمرهم بها بعد وقائع يطول شرحها ، فأقام نيفا وعشرين[1] ، حتى رجع إليهم اسمعيل بيك

---

(١) هكذا فى الأصل ولم يذكر التمييز شهراً أو يوماً .

بعد غيبته الطويلة ، وانضم إليهم واصطلح معهم إلى أن كان ما كان من وصول حسن باشا إلى الديار المصرية وإخراجه للمحمديين وإدخاله للمذكور مع اسمعيل بيك ورضوان بيك وأتباعهم، وتأميرهم بمصر واستقرارهم بها بعد رجوع حسن باشا إلى بلاده ، ووقوع الطاعون الذى[1] مات به اسمعيل بيك ورضوان بيك وغيرهم من الأمراء فاستقل بمن بقى من الأمراء وفعل معهم من التهور والحمق والشره ماأوجب لهم بعض النعيم والحياة معه، وخامرعليه من كان يأمن عليه[2] فلم يسعه ومن معه إلا الفرار، ورضى ذلك لنفسه بالذل والعار. ودخل[3] المحمديون إلى مصر المحمية واستقر هو كما كان بالجهة القبلية ، فأقام على ذلك سبع سنين وبعض أشهر إلى أن وقعت حادثة الفرنسيس واستولوا على الإقليم المصرى ، وحضرت العساكر بصحبة الصدر الأعظم ووقع ماوقع من الصلح ونقضه، وانحصر المشار إليه مع من انحصر بالمدينة من المصرلية والعثمانلية ، فقاتل وجاهد وأبلى بلاء حسناً ، شهد له بالشجاعة والإقدام كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية ، فلما انفصل الأمر وخرجوا إلى الجهة الشامية لم[4] يزل محرصاً[5] ومرابطاًومجتهداً حتى مات بالطاعون فى هذه السنة ، وفاز بالشهادتين ، وقدم على كريم يغفر الذنوب جميعاً، إنه هوالغفور الرحيم .

ومات الأميرعثمان بيك المعروف بطبل وهو من مماليك اسمعيل بيك ، أمره فى سنة اثنين وتسعين ثم خرج مع سيده وتغرب معه فى غيبته الطويلة ، فلما رجع

---

(١) فى الأصل التى .
(٢) الصواب من كان يأمن له .
(٣) فى الأصل ودخلت .
(٤) فى الأصل فلم .
(٥) لعله يريد (حريصاً) .

لمصر فى أيام حسن باشا وتولى إمارة الحاج فى سنة خمس ومأتين وألف وكان سيده يقدمه على أقرانه ويظن به النجاح ، ولما طعن وعلم أنه مفارق الدنيا أحضره وأوصاه وحذره من أعدائه وقال له إنى حصنت لك مصر وسورتها[١] بحيث تملكها بنتاً عمياء فلما مات سيده تشوق للإمارة حسن بيك الجداوى وعلى بيك كتخدا الجاويشية فلم يرض كل منهما بالآخر وتخوفا من بعضهما فاتفق رأيهما على تأمير عثمان بيك المذكور كبيراً عوضاً عن سيده ، وسكن داره وعقدوا الدواوين عنده ، فنزل عن إمارة الحاج لحسن بيك تابع حسن بيك قصبة رضوان ، واشتغل هو بأمور الدولة ومشيخة مصر ، فلم يفلح ، وخامر مع أصحابه وأخصامه وأخصام سيده ، والتفت إليهم وصدق تمويهاتهم وخذل نفسه ودولته ، وذلك غيظاً من حسن بيك الجداوى لما رأى من تحقيره إياه والنظر له بعين العداوة والغدر[٢] ، وكل من حسن بيك وعلى بيك كتخدا الجاويشية يتخوف نفاق صاحبه لتكرر ذلك منهما فى الوقايع السابقة ، وانحراف طبع كل من صداقة الآخر ، ولم يخطر ببالهما بل ولا ببال أحد من المجانين ، فضلاً عن العقلاء ركون المشار إليه إلى أعدائه وأعداء سيده العداوة الموروثة ، فكانا كلما شرعا فى شىء من مكايد الحرب ثبطهما وأقعدهما ، يظنان نصحه ويعتقدان خلوصه ومعرفته ، ولكونه تعلم سياسة الحروب من سيده لكثرة تجاربه وسياحته ، ولم يعلما أنه يمهد لنفسه طريقاً مع الأعداء ، إلى أن كان ما كان من مساعدته لهم بالتغافل والتقاعد حتى تحولوا إلى الجهة الشرقية ، وخلص إليهم من انضم إليه من عشيرته ، فلم يسع الباقون إلا الهرب وأسلم هو نفسه لأعدائه ، فأظهروا له المحبة وولوه إمارة الحاج ، حكم عهدهم له بذلك ،

---

(١) فى الأصل وسورتها ولعلها وصيرتها .
(٢) فى الأصل والغذر ولعل الصواب ما ذكرناه .

وأن تكون له ما دام حيا ، فخرج فى تلك السنة أعنى سنة ستة ومائتين وألف وكذلك سنة سبع ونهب الحاج فى تلك السنة ، وفرهو إلى غزة فصودرت زوجاته واقتسمت إقطاعه ورجع بعد حين إلى مصر ، وأهمل أمره ، واستمر كآحاد الطائفة من الأجناد يغدو ويروح إليهم ويرجو رفدهم ، إلى أن حدثت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج إلى الشام ، ولم يزل هناك حتى مات فى السنة المذكورة ، وكان دائماً يقول عند تذكره الدولة والنعيم ، ذلك تقدير العزيز العليم .

ومات الأمير عثمان بيك المعروف بالشرقاوى ، وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب أيضاً الكبار ، وتأمر فى أيامه وعرف بالشرقاوى لكونه تولى الشرقية ، ووقع منه ظلم وجبروت مع أستاذه وصادر كثيراً من الناس فى أموالهم ، ثم انكف عن ذلك وزعم أن ذلك كان بإغراء مقدمه فشهره وقتله ، ولم يزل فى إمارته حتى مات فى الشام بالطاعون .

ومات الأمير أيوب بيك الكبير ، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك ، وكان من خيارهم ، يغلب عليه حب الخير والسكون ويدفع الحق لأربابه ، وتأمر على الحج وشكرت سيرته .

ومات الأمير مصطفى بيك الكبير وهو أيضاً من مماليك محمد بيك ، تولى الصعيد وإمارة الحج عدة مرار ، وكان فظاً غليظاً متمولا بخيلا شحيحاً ، وفى إمارته على الحاج ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب ، وشحه بعوائدهم وقلة اعتنائه بشعار الدين ، فانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها ، وكان ذلك من أعظم ما أجترموه من القبائح .

ومات الأمير سليمان بيك المعروف بالأغا ، توفى بأسيوط بالطاعون ، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك ، وهو أخو أبراهيم بيك المعروف بالوالى ، صهر إبراهيم

بيك الكبير ، الذى مات فى وقعة الفرنسيس الأولى بإنبابه مُدْبِراً فاراً فى البحر وغرق ، وكان هو وأخوه قبل تقلدهما الصنجقية أحدهما والى الشرطة والآخر أغاة مستحفظان ، فلم يزالا يلقبان بذلك حتى ماتا ، وكان المترجم محبا لجمع المال وله قطاع واسعة وخصوصاً بجهة قبلى ، وفى آخر أمره استوطن أسيوط لأنها كانت فى إقطاعه ، وبنى بها قصراً عظيماً ، وأنشأ بعض بساتين وسواق واقتنى أبقاراً وأغناما(١) كثيرة ومما اتفق له أنه جز صوف الأغنام ، وكانت أكثر من عشرة آلاف ثم وزعه على الفلاحين وسخرهم فى غزله بعد أن وزنه عليهم ، ثم وزعه على القزازين، فنسجوه ، ثم جمع التجار وباعه لهم بزيادة عن السعر الحاضر ، فبلغ ذلك مبلغاً عظيماً .

ومات الأمير عائد أغا وهو من مماليك محمد بيك أيضا ، وكان يلقب أيام كشوفيته بقايد نار لظلمه وتجبره ، وَوُلِّيَ أغاة مستحفظان فى سنة ثمان وتسعين ومائة وألف ، فأخاف العامة ، وكان يتنكر ويتزيا بأشكال مختلفة ، ويتجسس على الناس ، وذلك أيام خروج إبراهيم بيك إلى قبلى ووحشته من مراد بيك ، وانفرد مراد بيك بإمارة مصر ، فلما تصالحا ورجع إبراهيم بيك رد الأغاوية لعلى أغا ، فحنق المترجم لذلك ، وقلق قلقاً عظيماً وترامى على الأمراء ، وصار يقول : إن لم يردوا لى منصبى قتلت على أغا وقتلت نفسى ، فلما حصل منه ذلك عزلوا على أغا وقلدوا سليم أغا أمير البحرين أغاوية مستحفظان ولم يبلغ غرضه ، ولم ترض نفسه بالخمول ، وأكثر من الأعوان والأتباع ، فيحضرون بين يديه الشكاوى والدعاوى ، ويضرب الناس ويحبسهم ويصادرهم فى أموالهم ، ويركب وبين يديه العدة الوافرة من القواسة والخدم يحملون الحراب والقرابين والبنادق ،

---

(١) فى الأصل : واقتنى أبقار وأغنام .

وخلفه كثير من الأجنادوالمماليك ، واتخذله جلساء وندماءيباسطونه ويضاحكونه، ولم يزل كذلك حتى خرج معءشيرته إلى الصعيد عند حضور حسن باشا فاستولى على كثير من حصص الأقطاع ، فلما رجعوا فى أواخر سنة خمس ، سكن دار جوهرأغا دار السعادةسابقا بالخرنفش ، وتزوج سريته قهراً ، وأكثر من المماليك والجند ، وتاقت نفسه للامارة وتشوق إلى الصنجقية ، وسخط على زمانه والأمراء الذين ، لم يلبوا دعوته ، ولم يبلغوه أمنيته ، وصار لا يخاطبه جلساؤه إلا بقولهم يابيك ، ويكره من يخاطبه بدون ذلك ، وكان له من الأولاد الذكور اثنى(١) عشر ولداً لصلبه يركبون الخيول ، ماتوا فى حياته ، وكان له أخ من أقبح عباد الله فى الظلم ، اتخذ له أعوانا وأتباعا ، وليس عنده ما يكفيهم ، فكان يخطف كلما مر بخطته بباب الشعرية من قمح وتبن وشعير وغير ذلك ، ولا يدفع له ثمنا ، هلك قبله بنحو ست سنين بناحية قبلى ، وأتوا بجيفته إلى مصر .قرفصا ، ودفن بمدفن أخيه بتربة المجاورين ، ومن جملة أفاعيله القبيحة أنه كان يجرد سيفه ويضرب رقاب الحمير ، ويزعم أنه يقطعها فى ضربة واحدة ، ولم يزل أخوه المترجم على حالته ، حتى خرج من مصر عند مجيء الفرنسيس ، وعاد بصحبة الأوردى ،ومات من مات من الأمراء بالشام ، فقلده حضرة الصدر الأعظم الصنجقية فيمن تقلد ، وأدرك أمنيته فأقام قليلا وهلك فيمن هلك ، فكان كما قال القائل .

فكان كالمتمنى أن يرى فَلَقاً   من الصباح فلما أن رآه عمى

ومات أيضا حسن كاشف المعروف بجركس ، وهو أيضا من مماليك محمد بيك وإشراق عثمان بيك الشرقاوى ، وكان من الفراعنة ، وهو الذى عمر الدار بالناصرية ، وصرف عليها أموالا عظيمة ، فما هو إلا أن تمم بناءها ولم يكمل

---

(١) الصحيح أثنا عشر .

بياضها ، حتى وصلت الفرنسيس فسكنها الفلكيون والمدبرون وأهل الحكمة والمهندسون ، فلذلك سلمت من الخراب كما وقع بغيرها من الدور ، لكون عسكرهم لم يسكنوا بها ، وتقلد المذكور الصنجقية بالشام ثم هلك بالطاعون .

ومات الأمير حسن كتخدا المعروف بالجربان بالشام أيضا ومات الأمير قاسم بيك المعروف بالموسقو ، وهو من مماليك إبراهيم بيك وكان لين الجانب كثير[1] الأذى إلا أنه كان شحيحا لا يدفع حقا توجه عليه ؛ ولما مات خشداشه حسن بيك الطحطاوى تزوج بزوجته ، وشرع فى بناء السبيل المجاور لبيته بحارة قيسون ، فما هو إلا أن قرب إتمامه إلا وقد قدمت الفرنسيس بمصر ، فخربوه وشعثوا بنيانه ، وهدموا حيطانه ، وبقى على حالته كمثل ما فعلوه بدور تلك الخطة وغيرها .

ومات على أغا كتخدا جاويشان ، وهو من مماليك الدمياطى ونسب إلى محمد بيك وأخيه إبراهيم بيك ورقاه واختص به وولاه أغاة مستحفظان فى سنة أثنين وتسعين ومائة وألف ، فلم يزل إلى سنة ثمان وتسعين ، فخرج مع إبراهيم بيك إلى المنية عندما تغاضب مع مراد بيك ، فلما تصالحا قلدوه كما كان ، فنق قائد أغا ، وكان ما كان من عزله وولاية سليم أغا كما سبق الإلماع بذلك عند ذكر قائد أغا ثم قلد كتخدا الجاويشية من سنة ست ومائتين وألف ، ولم يزل متقلدا ذلك حتى خرج مع من خرج فى حادثة الفرنسيس . وكان ذا مال وثروة مع مزيد شح وبخل واشترى دار عبد الرحمن كتخدا القازد غلى العظيمة التى بحارة عابدين ، وسكنها وليس له من المآثر إلا السبيل والكتاب الذى أنشأه

---

(١) هكذا فى الأصل ولعلها قليل حتى يستقيم المعنى والكلام .

بجوار داره الأخرى بدرب الحجر ، وهو من أحسن المبانى ، وقد حماه الله من تخريب الفرنسيس ، وهو باق إلى يومنا هذا ببهجته ورونقه .

ومات الأمير يحيى كاشف الكبير وهو من مماليك إبراهيم بيك الأقدمين ، وكان لطيف الطباع حسن الأوضاع وفيه ذوق وتودد عطاردى(١) يحب الرسومات والنقوش والتصاوير والأشكال ودقايق الصناعات والكتب المشتملة على ذلك مثل كليلة ودمنة والنوادر والأمثال . واهتم فى بناء السبيل المجاور لداره بخطة عابدين ، فرسم شكله قبل الشروع فيه فى قرطاس بمعونة الأسطى حسن الخياط ، ثم سافر إلى اسكندرية ، وأحضر مايحتاجه من الرخام والأعمدة الرمر الكبيرة والصغيرة وأنواع الأخشاب ، وحفر أساسه ، وأحكم وضعه ، واستدعى الصناع والرخمين ، فتأنقوا فى صناعته ، ونقش رخامه على الرسم الذى رسمه لهم ، كل ذلك بالحفر بالآلات فى الرخام ، وموهوه بالذهب . فما هو إلا أن ارتفع بنيانه وتشيدت أركانه وظهر للعيان حسن قالبه ، وكاد يتم ماقصده من حسن مأربه حتى وقعت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج قبل إتمامه ، وبقى على حالته إلى الآن ، ولما خرج سكن داره برطلمين ، واستخرج مخبأة بين داره والسبيل ، فيها ذخايره ومتاعه فأوصلها للفرنسيس .

ومات الأمير رشوان كاشف وهو من مماليك مراد بيك ، وكان له أقطاع بالفيوم ، فكان معظم إقامته بها ، فاحتكر الورد وما يستخرج من مائه والخل المتخذ من العنب ، والخيش واتجر فى هذه البضايع بمراده واختياره ، وتحكم فى الإقليم تحكم الملوك فى أملاكهم وعبيدهم . وذلك قوة واقتداراً .

ومات الأمير سليم كاشف بأسيوط مطعونا ، وهو من مماليك عثمان بيك

---

(١) نسبة إلى الكوكب عطارد .

المعروف بالجرجاوى من البيوت القديمة وخشداش عبد الرحمن بيك عثمان المتوفى سنة خمس ومائتين وألف بالطاعون، الذى مات به اسمعيل بيك وخلافه ، وتزوج ابنته بعد موته ، وكان ملتزماً بحصة من أسيوط وشرق الناصرى ، واستوطن بأسيوط ، وبنى بها داراً عظيمة وعدة دور صغار ، وأنشأ عدة بساتين ، وغرس بها وبشرف الناصرى أشجاراً كثيرة وعمر عدة قناطر،وحفر ترعا وصنع جسوراً وأسبلة فى مفاوز الطريق ، وأنشأ داراً بمصر بالمناخلية بسوق الإنماطيين،واشترى داراً جليلة كانت لسليمان بيك المعروف بأبى نبوت بحارة عابدين وعمرها وزخرفها. وأنشأ بأسيوط جامعاً عظيماً ومكتباً مما هو إلاَّ أن أكمل بنيانه حتى قدمت الفرنسيس فاتخذوه سجناً يسجنون به ، ثم لما قابل المذكور الفرنسيس وأمنوه أخذ فى إصلاح ماتشعث من البناء وتتميم العمارة ، ولم يساعده الوقت إذ ذاك لقلة الأخشاب وآلات البناء ، فاشتغل بذلك على قدر طاقته ، فلما فرغ البناء وقارب التمام ، ولم يبق إلا اليسير ، وقع الطاعون بأسيوط فمات ، والمسجد باق على ماهو عليه الآن ، وهو من المبانى العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر ، وكان المذكور ذا بأس وشدة وإقدام وشجاعة وتصور ، ومشابه لحسن بيك الجداوى فى هذه الخصال ، ويده مبسوطة ، وطعامه مبذول ، وداره بأسيوط مقصد للوارد والصادر من الأمراء وغيرهم ، وله إغداقات وصدقات وأنواع من البر ومحبة فى العمارة وغراس الأشجار ، واقتناء الأنعام ، وله صولة وظلم وتجارى[1] على سفك الدماء فبذلك خافته عرب الناحية وأهل القرى وقاتل الغرب[2] مراراً وقتل منهم الكثير وبسكناه بأسيوط كثرت عمارتها ، وأمنت طرقها براً وبحراً ،واستوطنها الكثير

---

(١) يريد وتجرؤ .
(٢) هكذا بالأصل ولعلها العرب .

من الناس لحمايتها وعدم صولة أحد على أهلها. وله مهاداة مع الأمراء المصرية وأربابه الحل والعقد بها ، والمتسكلمين عندهم ، فيرسل إليهم الغلال والعبيد والجوار السود والطواشية وغير ذلك ، وله عدة مماليك بيض وسود أعتق كثيراً ، من جملتهم عزيزنا الأمير أحمد كاشف المعروف بالشعراوى ، وكان(١) رقيق حواشى الطبع مهذب الأخلاق ذا فروسية فى ركوب الخيل ومحبة فى العلماء والفقراء ، وهو من جملة محاسن سيده .

ومات الأمير باكير بيك أيضاً والأمير محمد بيك كشكش ، كلاهما بالشام .

ومات غير هؤلاء بالشام ولايحضرنى أسماؤهم .

واستهلت سنة عشر ومائتين وألف بيوم الخميس ، وباستهلالها خف الطاعون وفى ليلة الجمعة تلك أرسل عبد العال وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلا إلى منزله فبيته عنده ، ولما أصبح النهار طلع به إلى القلعة وحبسه عند المشايخ بجامع سيدى سارية ، والسبب فى ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيس فى الواقعة السابقة بمصر فلما انقضت ، هرب إلى جهة بحرى ، ثم حضر بعد مدة إلى مصر فأقام بها أياماً ، ثم رجع إلى فوة بإذن من الفرنسيس ، فلما حصلت هذه الحركة وتحذروا شدة الحذر ، وأخذوا الناس بأدنى شبهة ، وتقرب إليهم المنافقون بالتجسس والأغراء ، ذكر بعضهم ذلك لقائمقام ، وأدخل فى مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب إلى أو رضى هايون ، فأرسل قايمقام إلى الشيخ محمد الأمير قبل تاريخه ، فلما حضر سأله عن ولده المذكور فأخبره أنه مقيم بفوة ، فقال له لم يكن هناك وإنما هو عند القادمين ،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

فقال له لم يكن ذلك وإن شئتم أرسلت إليه بالحضور فقال له أرسل إليه وأحضره ، فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مدة مسافة الذهاب والمجيء ، ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضاً ، فوعد بحضوره أو حضور الجواب بعد يومين ، واعتذر بعدم أمن الطريق ، فلما انقضى اليومان أمروا عبد العال بطلبه وإصعاده إلى القلعة ففعل .

وفيه حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحرى، وتواترت الأخبار بتملك القادمين قلعة الرحمانية وما بأقرب منها من الحصون الكائنة بالعطف وغيره ، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة . وفيه حضرت زوجة كبير الفرنسيس بصحبة أخيها السيد على الرشيدى ، وكان خرج بها من رشيد عندما ملكها القادمون ونزل بها في مركب وأرسى بها قبالة الرحمانية ، فلما وقعت واقعة الرحمانية وأخذت قلعتها، حضر بها إلى مصر بعد تعب شديد وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك ، فأقامت هي وأخوها ببيت الألفى بالأزبكية ثلاثة أيام ، ثم صعد إلى القلعة وفيه قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية ، وحضرت طوالعهم إلى القليوبية والمنير والخانكة لأخذ الكلف ، فتأهب قائمقام بليار لقتالهم، وأمر العساكر بالخروج من أول الليل، ثم خرج هو في آخر الليل ، فلما كان يوم الأحد رابعه رجع قائمقام بليار ومن معه منهزمين وكتموا أمرهم ، ولم يذكروا شيئاً وفي خامسه رفع الطلب عن الناس بباقي نصف المليون ، وأظهروا الرفق بالناس والسرور بهم لعدم قيامهم عند خروجهم للحرب ، وكانوا يظنون منهم ذلك . وفيه أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت إلى القلعة ، وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إليها ، وكذلك البارود والكبريت والكلل والبنب ونقلوا ما في الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة ، وحملوه إليها

ولم يبقوا بالقلاع الصغار إلا مهمات الحرب . وفيه طلبوا الزياتين وألزموهم بمائتى قنطار سيرج. وسمروا جملة من حوانيتهم، وخرج جماعة من الجزارين لشراء الغنم من القرى القريبة ، فقبض عليهم العساكر القادمة ، ومنعوهم من العود بالغنم والبقر ، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات إلى المدينة فانقطع الوارد من الجهة البحرية والقليوبية ، وعزت الأقوات وشح اللحم والسمن جداً ، وأغلقت حوانيت الجزارين ،واجتهد الفرنسيس فى وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية، وحفروا خنادق وطلبوا الناس للعمل ، فكانوا يقبضونه على كل من وجدوه ويسوقونه للعمل، وكذلك فعلوا بجهة القرافة، وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر إنبابه لتمنع المراكب من العبور وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة إلى قنطرة الليمون إلى قصر إفرنج أحمد إلى السبتيه إلى مجرى البحر .

وفى ثامنه بعث قايمقام بليارفأحضر التجار وعظماء الناس وسألهم عن سبب غلق الناس الحوانيت فقالوا له : من وقف الحال والكساد والجلاء والموت ، فقال لهم من كان موجوداً حاضراً فالزموه بفتح حانوته وإلا فأخبرونى عنه ونزلت الحكام فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشراء .

وفى عاشره شرعوا فى هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية ، وقربت العساكر القادمة من البر الغربى إلى البلد المسماة بنادر وفيه تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية وصلت أوائلها إلى بنها وطحلا بساحل النيل .

وفى ثانى عشره نزلت امرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر ، فأحضر الفرنسيس حكام الشرطة ، وألزموهم بإحضارها،وهذه المرأة اسمها هوى ، كانت زوجة لبعض الأمراء الكشاف ،ثم إنها خرجت عن طورها ، وتزوجت نقولا

وأقامت معه مدة ، فلما حدثت هذه الحوادث جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة ، وهى على حمار ومتاعها محمل على حمار آخر ، فنزلت عند بعض العطف ، وأعطت المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت ، فلما وقع عليها التفتيش وأحضروا المكارية قالوا لا نعلم غير المكان الذى نزلناها به وأعطتنا الأجرة عنده ، فشددوا على المكارية ومنعوهم من السراح وقبضوا على أهل الحارة وحبسوهم ، ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا عليهم وعلى سكان الدور وأعلموهم أنه إن وجدت المرأة فى حارة من الحارات ولم يخبروا عنها نهبوا جميع دور الحارات وعاقبوا سكانها ، فحصل للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفائها وتفتيش أصحاب الشرطة وخصوصاً عبدالعال وأنه كان يتنكر ويلبس زى النساء ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها فيزعج أرباب البيوت والنساء ويأخذ منهن مصالح ومصاغا ويفعل ما لا خير فيه ، ولا يخشى خالقاً ولا مخلوقاً . وفى خامس عشره قبضوا على أنطون أبو طاقية النصرانى القبطى وحبسوه بالقلعة وألزموه بمبلغ دراهم تبقت عليه من حساب البلاد .

وفى سادس عشره أفرجوا عن محمد أفندى يوسف ونزل إلى بيته ، وكذلك الشيخ مصطفى الصاوى لمرضه . وفيه انقضت دعوة تهمة الشيخ البكرى ، ومحصلها أن خادم مملوكه ذهب عن لسان المملوك إلى بليار قايمقام وأخبره أن الشيخ وصل إليه فرمان من الأورضى بالأمان ، وكان هذا بإغراء عبدالعال ليوقعه فى الوبال ويحرك عليه حقد الفرنسيس فيوقعونه فى العذاب البئيس لحزازة بينه وبين الشيخ البكرى ، وميل للمملوك ، وكان وسيماً عزيزاً على سيده جداً مبتلى بحبه ، فلما حضر الشيخ على عادته عند قايمقام سأله عن ذلك فجحده ، فأحضروا الخادم الذى بلغ ذلك ، فصدق على ذلك ، وأسنده إلى المملوك سيده فأحضروا المملوك وسألوه ،

فقال نعم ، فقالوا له : وأين الفرمان ؟ فقال : قرأه وقطعه ، فقال الفرنسيس : وكيف يقطعه ؟ هذا دليل الكذب لأنه لا يصح أن يتلقاه بالقبول ، ثم يقطعه ، فقيل له : ومن أتى به قال فلان ، فألزموا الشيخ بإحضار هذا الرجل ، وحبس المملوك عند عبد العال يومين ونال غرضه منه، وحضر الرجل فسألوه فجحد ذلك، فلم يثبت عليه وظهر كذب الغلام والخادم ، فعند ذلك طلب الشيخ غلامه ، فقال قايمقام إن قصاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه ، فشفع فيه سيده، وأخذه بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده .

وفيه حضر حسين كاشف اليهودى إلى قايمقام وأخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية، وردوا مكاتبتهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بيك ، وأنهم مروا وتوجهوا إلى بحري من البر الغربى ، وعثمان بيك الأشقر ذهب من خلف الجبل إلى جهة الشرق ، فلما حصل ذلك ركب قايمقام وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها وأخبرها أنها فى أمان هى وجميع نساء الكشاف ، والأمراء والأجناد ولا مؤاخذة عليهن بما فعله رجالهن .

وفى محرم عشرينه توكل رجل قبطى يقال له عبد الله من طرف يعقوب بجمع طائفة من الناس لعمل المتاريس ، فتعدى حتى على بعض الأعيان وأنزلهم عن دوابهم وعسف وضرب بعضهم على وجهه حتى أسال دمه، فتشكى الناس من ذلك القبطى وأنهوا شكواهم إلى بليار قايمقام فأمر بالقبض على ذلك القبطى وحبسه بالقلعة ، ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من سكان الحارة .

وفيه وردت الأخبار بأن الصدر الأعظم وصل ركابه إلى دجوة .

وفيه يوم الإثنين سمعت عدة مدافع على بعد وقت الضحوة. وفى ذلك اليوم

قبيل العصر طلبوا مشايخ الديوان فاجتمعوا بالديوان ، وحضر الوكيل والترجمان ، وطلبهم للحضور إلى قيمقام ، فلما حصلوا عنده قال لهم على لسان الترجمان : نخبركم أن العدو قد قرب منا ، ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية ، وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوئهم ، ولايتداخلوا فى الشغب فإن الرعية بمنزلة الولد وأنتم بمنزلة الوالد والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التى يكون فيها الخير والصلاح ، فإنهم إن داموا على الهدوء حصل لهم الخير ونجوا من كل شر ، وإن حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار وأحرقت دورهم ، ونهبت أموالهم ويتمت أولادهم ، وسبيت نساؤهم وألزموا بالأموال والفرد متى لاطاقة لهم بها ، فقد رأيتم ماحصل فى الوقايع السابقة ، فأحذروا من ذلك فإنكم لاتدرون العاقبة ولانكلفكم المساعدة لنا ولا المعاونة لحرب عدونا ، وإنما نطالب منكم السكون والهدوء لاغير فأجابوه بالسمع ، قولهم كذلك ، وقرىء عليهم ورقة بمعنى ذلك وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك ، وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة ، فلا ينزعجون[1] من ذلك فإنه شنك وعيد لبعض أكابرهم وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ، ويتلى عليهم ذلك ، فلما كان ضحوة يوم الثلاثاء ، اجتمعوا كما ذكر وحصلت الوصية والتحذير وانتهى المجلس ، وذهبوا إلى محلاتهم. وفى ذلك اليوم أشيع حضور الصدر الأعظم إلى شلقان ، وكذلك العساكر الغربية حضرت إلى أول الوراريق[2] .

---

(١) فى الأصل ينزعجوا .

(٢) فى البر الغربى قرب إمبابة .

وفى يوم الجمعة غايته اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة ، وحضر استوف الخازندار وصحبته أبو ديف ، فتكلم الخازندار وترجم عنه روفائيل بقوله: إنه يثنى على كل من القاضى والشيخ اسمعيل الزرقانى باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث وبيت المال والمصالح على التِّرَك المختومة ، لأن الفرنساوية لم يبق لهم من الإيراد إلا مايتحصل من ذلك ، والقصد الإعتناء أيضاً بأمر البلاد والحصص التى انحلت بموت أربابها ، فلازم أيضاً من المصالحة والحلوان والمهلة فى ذلك بثمانية أيام ، فمن لم يصالح على الإلتزام الذى له فيه شبهة فى تلك المدة ضبطت حصته، ولا يقبل له عذر بعد ذلك ، واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنسيس ، فلازم من اعتقادكم لذلك وركوزه فى أذهانكم كما تعتقدون[1] وحدانية الله تعالى ولايغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم ، فإنهم لايخرج من أيديهم شيء أبدا ، وهؤلاء الإنكليزية ناس خوارج حرامية ، وصناعتهم إلقاء العداوة والفتن ، والعثمنلى مغتر بهم ، فإن الفرنساوية كانت من الأحباب الخاص للعثمنلى ، فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور ، وإن بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ، ولو كان بينهم وبين الفرنساوية طريق سالك من البر لانمحى أثرهم ، ونسى ذكرهم من زمان مديد ، تأملوا فى شأنهم ، وأى شيء خرج من أيديهم ؟ فإن لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم إلى البر وإلى الآن لم يصلوا إلينا ، والفرنسيس عند قدومهم وصلوا فى ثمانية عشر يوما ، فلو كان فيهم همة أو شجاعة أو إقدام لوصلوا مثل وصولنا ، وكلام كثير من الهوس والنفخ .

---

(١) فى الأصل تعتقدوا .

شهر صفر الخير سنة ١٢١٦ استهل بيوم السبت ، وفى ذلك اليوم قبل[1] مشى عبدالعال الأغا فى شوارع المدينة وقدامه مناد[2] يقول : الأمن والأمان على جميع الرعايا ، وفى غد يعمل شنك بمدافع من القلاع فى الساعة الرابعة، فلاتخافوا ولا تنزعجوا فإنه حضرت بشارة بوصول بونابارته بعمارة عظيمة إلى الإسكندرية، وإن الإنكليز رجعوا القهقرى ، فلما أصبح يوم الأحد فى الساعة الرابعة من الشروق ضربت المدافع وتابعوا ضربها من جميع القلاع ، وطلع ناس قبل ذلك إلى المنارات ونظروا بالنضارات فشاهدوا العساكر الغربية انجرت ووصلت إلى آخر الوراريق وأول انبابة ، فنصبوا خيامهم أسفل انبابه ، وعند وصولهم إلى مضاربهم ضربوا عدة مدافع ، فلما سمعها الفرنساوية ضرب الآخرون تلك المدافع التى ذكروا أنها شنك ، وأما العساكر الشرقية فوصلت أوائلهم إلى منية الأمراء المعروفة بمنية السيرج ، والمراكب فيما بينهما من البحرين كثيرة ، فعند ذلك عزّت الأقوات وشحت ، وخصوصاً السمن والخبز والأشياء المجلوبة من الريف ، ولم يبق طريق مسلوكة إلى المدينة إلا من جهة باب القرافة ، وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن ، فيأتى ذلك إلى عرضه الغلة بالرميلة ، وتزدحم عليه النساء والرجال بالمقاطف فيسمع لهم ضجة عظيمة . وشح اللحم أيضاً وغلا سعره لقلة المواشى والأغنام .

وفى يوم الإثنين ثالثه حصلت الجمعية بالديوان ، وحضر التجار ومشايخ الحارات والأغا ، وحضر مكتوب من بليار قائمقام خطاباً للحاضرين يذكر فيه

---

(١) هكذا فى الأصل — وكلمة قبل زائدة لامعنى لها .

(٢) فى الأصل منادى .

أنه حضر إليه مكتوب من كبيرهم منو بالإسكندرية صحبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم من طريق البر مضمونه : أنه طيب بخير ، والأقوات كثيرة عندهم ، يأتى[1] بها العربان إليهم ، وبلغهم خبر وصول عمارة إلى بحر الخزر ، وأنها عن قريب تصل الإسكندرية ، وأن العمارة حاربت بلاد الإنكليز واستولت على شقة كبيرة منها فكونوا مطمئنى[2] الخاطر من طرفنا ، ودوموا على هدوءكم وسكوتكم إلى آخر ما فيه من الكذب والخرافات ، وكان وصول هذا المكتوب بعد نيف وأربعين يوماً من إنقطاع أخبار من فى سكندرية ، ولا أصل لذلك .

وفى ذلك اليوم قتل عبد العال رجلاً ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل إلى بعض أزواجهن بالأوردى ، فقتل ذلك الرجل بباب زويله ، ونودى عليه : هذا جزاء من ينقل الأخبار إلى العثملى والإنكليز ، وفيه وصلت العساكر الشرقية إلى العادلية ، وامتد عرضى هايون منها إلى قبلى منية السيرج ، وكذلك الغربية إلى إنبابة ، ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم فى النيل ، وضربوا عدة مدافع وخرج عدة من الفرنساوية خياله ، فترامحوا معهم ، وأطلقوا البنادق ثم انفصلوا بعد حصة من النهار ورجع كل إلى مكانه ، واستمر هذا الحال على هذا المنوال ، يقع بينهم فى كل يوم .

وفى سادسة زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر ، وسكن إبراهيم بيك زاوية الشيخ دمرداش وحضر جماعة من العسكر وأشرفوا على الجزارين من حايط المذبح ، وطلبوا شيخ الجزارين ، ووجدوا ثلاثة أنفار

---

(١) وفى الأصل يأتون بها العربان .

(٢) وفى الأصل مطمئنين .

من الفرنسيس فضربوا عليهم ببنادق فأصيب أحدهم برجله ، فأخذوه وهرب إثنان منه وأصيب جزار يهودى ، ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد وقتل بعض قتلى منه وأسر بعض أسرى ، ولم يزل الضرب بينهم إلى قريب العصر ، والفرنسيس يرمون من القلعة الظاهرية ، وقلعة نجم الدين والتل ، ولا يتباعدون عن حصونهم .

وفى سابعه وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع من الصباح إلى العصر أيضاً ، وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية .

وفيه قبضوا على رجل شبه خدام ظنوه جاسوساً ، فأحضروه إلى عند قائمقام ، فسألوه فلم يقر بشىء ، فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله ، وصار كالمختل ، وكرروا عليه الضرب والعقاب ، وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه ورأسه ، حتى قيل إنهم ضربوه نحو ستة آلاف كرباج ، وهو على حاله ثم أودعوه الحبس .

وفيه أطلقوا محبوساً يقال له الشيخ سليمان حمزة الكاتب ، وكان محبوساً بالقلعة من مدة ستة أشهر ، فأطلق على مصالحة ألفى[1] ريال .

وفى ثامنه وقعت مضاربة أيضاً بطول النهار، ودخل نحو خمسة وعشرين نفراً من العثمانية إلى الحسينية وجلسوا على مصاطب القهوة وأكلوا كعكاوخبزاً وفولاً مسلوقاً وشربوا قهوة ، ثم انصرفوا إلى مضربهم ، وأخذ الفرنساوية عسكرياً من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس ومصر فحبسوه ببيت قائمقام ، وأغلقوا فى ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى . وفيه زحفت عساكر البر الغربى إلى تحت الجيزة

---

(١) فى الأصل ألفين ريال .

فحضر فى صبحها بنى وأخبر قائمقام ، فركب من ساعته وعدى إلى بر الجيزة ، فسمع الضرب أيضاً من ناحية الجيزة ، وسمعت طبول الأمراء ونقاقيرهم ، واستمر الأمر إلى يوم الثلاثاء حادى عشره ، فبطل الضرب من وقت الزوال . ولما حصلوا جهة الجيزة ، انتشروا إلى قبلى منها ، ومنعوا المعادى من تعدية البر الشرقى ، فانقطع الجلب من الناحية القبلية أيضاً ، وامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجور والخضروات والخيار والسمن والجبن والنعم فعزت الأقوات وغلا سعر الموجود منها جداً .

واجتمع الناس بعرصة الغلة بالرميلة يريدون شراء الغلة فلم يجدوها ، فكثر ضجيجهم وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم إلى جهة البساتين ورجع الباقون من غير شىء ، وأحضر عبد العال القبانية وألزمهم بإحضار السمن ، وضرب البعض منهم فأحضروا له فى يومين أربعة عشر رطلاً بعد الجهد فى تحصيلها(١) وبيعت الدجاجة بأربعين نصفا ، وامتنع وجود اللحم من الأسواق واستمر الأمراء على ذلك الأربعاء والخميس والمضاربة بين الفريقين ساكنة ، وأشيع بوقوع المسالمة والمراسلة بينهما فانسر الناس ، وسكن جأشهم لسكون الحرب ، وفى ذلك اليوم أغلقوا باب القرافة وباب الجراة ، ولم يعلم سبب ذلك ، ثم فتحوها عند الصباح من يوم الجمعة ، ورفعوا عشور الغلة .

وفى يوم الإثنين سابع عشره أطلقوا المحبوسين من القلعة من أسرى العثمانية وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشاً ، وأرسلوهم إلى أورض حايون ، وكانوا بلغ بهم الجهد من الخدمة وشيل التراب والأحجار وضيق

---

(١) فى الأصل فى تحصيلهم .

الحبس والجوع . ومات الكثير منهم ، وكذلك أفرجوا عن العربانية والفلاحين . وفى ليلة الاثنين المذكورة سمع صوت مدفع بعد الغروب عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ثم سمع منها أذان العشاء والفجر فلما أضاء النهار نظر الناس ، فإذا البيرق العثمانى بأعلاها والمسلمون على أسوارها ، فعلم الناس بتسليمها ، وكان ذلك المدفع إشارة إلى ذلك ، ففرح الناس وتحققوا أمر المسألة ، وأشيع الإفراج عن الرهاين من المشايخ وغيرهم وباقى المحبوسين فى الصباح ، وأكثر[1] الفرنساوية من النقل والبيع فى أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم وقضاء أشغالهم وفى ذلك اليوم أنزلوا عدة مدافع من القلعة وكذلك من باب البرقية وأمتعة وفرشا وبارودا .

وفى يوم الثلاثاء عمل الديوان وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح والمسألة ووعد[2] أن فى الجلسة الآتية يأتى إليهم بفرمان الصلح وما اشتمل عليه من الشروط ويقرءونه جهاراً ، وفى ذلك اليوم كثر إهتمام الفرنساوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقى القلاع بقوة الهمة ، وفيه أفرجوا عن محمد أفندى أبى دفية واسمعيل القاق ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق والبرنوسى نسيب أبى دفية والشيخ خليل المنير وآخرين ، نحو ثمانية أنفار ، ونزلوا إلى بيوتهم . وفيه سافر عثمان بيك البرديسى إلى الصعيد ومعه بيده فرمانات البلاد بالأمن والأمان وسوق المراكب بالغلال والأقوات إلى مصر وبلاق ستة آلاف من عسكر الإنكليز حضروا من القلزم إلى القصير . وفيه شنقوا شخصاً فرنساوياً على شجرة بالأزبكية ، قيل إنه سرق . وفيه أرسل الفرنساوية إلى

(١) فى الأصل أكثروا الفرنساوية .

(٢) فى الأصل وأوعد .

حضرة الصدر الأعظم ، وطلبوا جمالاً ينقلون عليها متاعهم فأمر لهم بمائتى جمل وقيل أربعمائة .

وفى يوم الخميس عشرينه أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ وهم الشيخ السادات والشرقاوى والشيخ الأمير والشيخ محمد المهدى وحسن أغا المحتسب ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم ، فنزلوا إلى بيت قائمقام وقابلوه ، فقال للمشايخ إن شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فإنى كلمته ووصيته عليكم . وفيه حضر الوزير الأعظم والعساكر إلى ناحية شبرا وكذلك قبطان باشا والإنكليز والعساكر الغربية قبالهم ونصبوا الجسر فيما بينهم على البحر ، وهو من مراكب مرصوصة مثل جسر الجيزة بل يزيد عنه فى الإتقان بكونه من ألواح فى غاية الثخن وله درابزين من الجهتين أيضاً ، وفيه لصقوا أوراقاً بالطرق مكتوبة بالعربى والفرنساوى ، وفيها شرطان من شروط الصلح التى تتعلق بالعامة ، ونصه(١) ثم إنه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عساكر الفرنساوية وعساكر الإنكليز وعساكر العثمانية ، ولكن مع هذا الصلح أنفسكم وأديانكم ومتاعكم لم أحد يقارشهم(٢) ، ورءوس عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما تروه(٣) .

الشرط الثانى عشر واحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت الذى يريد يسافر مع الفرنساوية يكون مطلوق الإرادة ، وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحه لم أحد يعارضهم ، الشرط الثالث عشر لا أحد من أهالى

---

(١) فى النص أخطاء كبيرة ، وعبارته ركيكة وقد تركناه كما هو .

(٢) يقارشهم يحتك بهم ويتعامل معهم وصحيح العبارة لا يقارشهم أحد .

(٣) الصحيح تروته .

مصر المحروسة من كل ملة كانت لا يكون قلقا من قبل نفسه ولا من قبل متاعه جميع الذى(١) كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوية فى مدة إقامة الجمهور بمصر ، ولكن الواجب يطيعون الشريعة ثم يا أهالى مصر وأقاليمها جميع الملل أنتم ناظرين(٢) لحد آخر درجة الجمهور الفرنساوى ناظر لكم ولراحتكم فلزم أنتم أيضا تسلكوا(٣) فى الطريق المستقيم وتفتكروا أن الله تعالى جل جلاله هو الذى يفعل كل شىء ، وعليه امضاء بليار قايمقام .

وفى يوم الجمعة عملوا الديوان وحضر المشايخ والوكيل فقال الوكيل هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر(٤) فقالوا : لا ، فأبرز ورقة من كمه بالقلم الفرنساوى، فشرع يقرؤها والترجمان يفسرها وهى تتضمن الإحدى(٥) عشر شرطاً الباقية فقال : إن الجيش الفرنساوى يلزم أن يخـــــلو(٦) القلاع ومصر ، ويتوجهون على البر بمتاعهم إلى رشيد وينزلون فى مراكب ويتوجهون إلى اسكندرية لبلادهم ، وهذا الرحيل ينبغى أن يسرع به ، وأقل ما يكون فى خمسين يوماً وأن يساق الجيش من طريق مختصر ، وسر عسكر الانكليز والمساعد يلزم أن يقوم لهم بجميع ما يحتاجوه(٧) من نفقة ومؤنة وجمال ومراكب ، والمحل الذى يبدأ منه السعى يكون بالتراضى بين الجمهور والانكليز والمساعد ،

---

(١) الصحيح الذين .

(٢) الصحيح ناظرون .

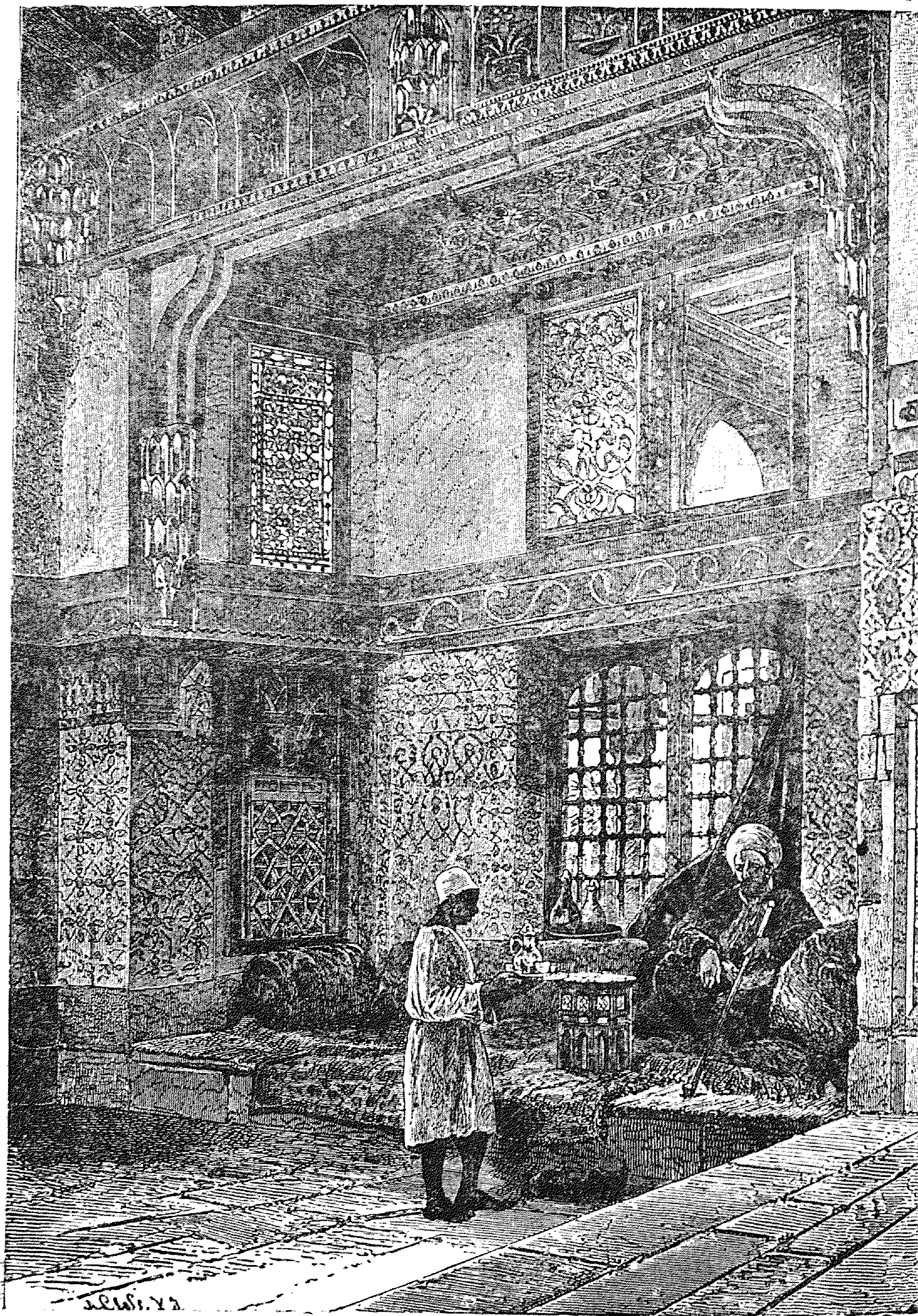
(٣) الصحيح تسلكون وتفتكرون .

(٤) الثلاثة عشرة .

(٥) الصواب : الأحد عشر .

(٦) الصواب أن يخل .

(٧) الصحيح : يحتاجونه .



الشيخ المهدى فى منزله

وكامل الأمتعة والأثقال تتوجه من البحر ومعهم[١] جيش من الفرنساوى لأجل الحراسة ، ولابد من كون المئونة التى تترتب لهم كالمؤنة التى كانوا يعطوها[٢] لجيش الإنكليز ورؤسائهم ، وعلى رؤساء عساكر الإنكليز وحضرة العثملى القيام بنفقة الجميع ، والحكام المتقيدون بذلك يحضرو[٣] لهم المراكب ليستاقوهم إلى فرانسة من جهة البحر المحيط وأن يقدم كلا[٤] من حضرة العثملى والانكليز أربع مراكب للعليق والعلف الخيل[٥] يأخذونها فى المراكب وأن يسيروا معهم مراكب للمحافظة عليهم إلى أن يصلوا إلى فرانسة ، وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة إلاَّ مينة فرانسه ، والأمناء والوكلاء يقدمون لهم ما يحتاجون إليه نظراً لكفاية عساكرهم، والمدبرون والأمناء والوكلاء والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجون من أوراقهم وكتبهم التى شروها من مصر ، وكل من أهل الأقليم المصرى إذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن متاعه وعياله وكذلك من داخل الفرنساوية من أى مله كان فلامعارضة له إلا أنه يجرى على أحواله السابقة وجرحى الفرنساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثملى ، وإذا عوفوا توجهوا إلى فرانسة بالشروط المتقدم ذكرها ، وحكام العثملى يتعهدون من مصر[٦] منهم ولا بد من حاكين من طرف الجيشين يتوجهون بمركبين إلى طولو فيرسلوا[٧] خبراً إلى فرانسه ليطلعوا حكامها على الصلح وسائر الرسوم

---

(١) الصحيح : ومعها .
(٢) الصحيح : يعطونها .
(٣) الصحيح : يحضرون .
(٤) الصحيح : كل .
(٥) الصحيح : التى .
(٦) لعلها من بمصر .
(٧) فى الأصل إلى طولون والصحيح طولون ، والصحيح فيرسلون .

وكل جدال أو خصام صدر بين شخصين من الفرنساوى وغيره فلابد أن يقوم شخصين حاكين[١] من الطائفتين ليتكلموا فى الصلح ولا يقع فى ذلك نقض عهد الصلح وعلى كل طائفة معين[٢] من العثمنلى والفرنساوى أن تسلم ما عندها من الأسرى ولا بد من رهاين من كل طائفة واحد كبير يكون عند الطائفة الأخرى حتى يتوصلون[٣] إلى فرانسه ، ثم قال الوكيل وقد علمنا بالشروط وما ندرى ماذا يكون ، فقيل له : هذه شروط عليها علامة القبول وهذا الصلح رحمة للجميع ، وسيكون الصلح العام فقال الوكيل : إنى أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصى مبدأ الصلح العموى .

وفيه كثر خروج الناس ودخولهم من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب ، فصار الحرس من الفرنساوية يأخذون من الداخل والخارج دراهم ، ولايمنعونهم[٤] فلما علم الناس بذلك كثر زحامهم فلما أصبحوا منعوهم فدخلوا وخرجوا من باب القرافة ، فلم يمنعهم الواقفون به من الفرنسيس بل كانوا يفتشون البعض ويمنعون البعض وقد دخل بعض أكابر الإنكليز وصحبتهم فرنساوية يفرجونهم على البلدة والأسواق وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية فزاروا قبر الإمام الشافعى وسيدنا الحسين والشيخ عبد الوهاب الشعرانى . والفرنساوية ينتظرونهم بالباب .

وفى ليلة الاثنين رابع عشرينه نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه وذلك لنقل رمة كلهبر ، فلا يرتاع الناس من ذلك فلما كان فى صبح ذلك اليوم أطلقوا

---

(١) الصحيح شخصان حاكمان .

(٢) والصواب معينة .

(٣) الصواب يصلوا .

(٤) فى الأصل يمنعوهم .

مدافع كثيرة ساعة نبش قبر العين بالقرب من القصر العينى ، وأخرجو الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته لينقلوه[1] إلى بلادهم . وفيه أرسلوا أوراقا ورسلا للاجتماع بالديوان وهو آخر دواوينهم ، فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الأوجاقلية واستوف الخازندار والوكيل والتراجون[2] فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل كتابا مختوما وأخبر أن ذلك الكتاب من صارى عسكر منو بعث به إلى مشايخ الديوان، ثم ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله الترجمان فقرأه والحاضرون يسمعون، وصورته : بعد البسملة والجلالة والصدر نخبركم أننا علمنا بكثرة الانبساط أنكم تهدوا[3] بكثرة الحكمة والإنصاف فى الوضع الذى أنتم مستمرين[4] فيه وإن لم تقدروا التنظيم أهالى البلد بالهدى والطاعة الموجبة منة لحكومة الفرنساوى. فالله تعالى بسعادة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام الدايم ينعم عليكم فى الدارين عوض خيراتكم ،وأخبرنا المقدام الجمهور بونابارته المشهور عن كل مافعلتم حكما وذهنا بوصايا لأجلكم سادة رضاة واسترح لتلك الفعال الجيدة. وعرفنى أيضاً أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب مكاتيبكم إليه ، فدمتم إلى الآن بخير الهدى وبقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب ونواجه سكان مصر كما هو مأمولنا ،لكن يسركم أن جمهور المنصور غلب فى أقاليم الروم جميع أعداه وبعون الله تعالى هادى كل شىء سيغلب كذلك العدا فى مصر ، واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان جيرار هذا الذى وضعناه قربكم ، لأنه هو رجل مشهور بالعدل

---

(١) فى الأصل لينقلوهم .

(٢) يريد التراجمون .

(٣) لعلها تهتدون .

(٤) الصواب مستمرون .

والاستقامة ونواصى[١] إلى هممكم النصيحة زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة وولدها العزيز سليمان مراد أن كليهما حالا كائنان فى حصتنا مصر، وتأسفنا جداً برحلة المرحوم مرادبيك فى انتقاله إلى البقاء[٢] ومعلوم فضائلكم أننا أرضينا يانعام علوفة توجه على عمدة العفايف حضرة الست نفيسة خاتون لما جرى الحكومة الفرنساوية إلى أصدقائه[٣] وقولوا للقوم إنما منيق ومرامى ألا تقيدى[٤] بيمنه وخيره واعتمدوا أيضاً إلى كل ما سيقول لكم الستويان استيوا المأمور بتدبير الأمور وكال العوايد والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم فى الأيام والبشرى والإقبال وحرر فى إحدى عشر متيدور سنة تسعة من قيام دولة جمهور الفرنساوية الموافق لثامن عشر صفر عضى عبد الله جاك منو ونقل بألفاظه وحروفه وهو من تراكيب اوماك الترجمان[٥] ثم أخذ الوكيل يقول إن الجنرال منو يسر بسلوككم حتى الآن وراحة البلد حظ الفقراء إن الحكام القادمين لابد أن يسلكوا معكم هذا الموضوع ولا بد من وصول مكاتيب بونابارتة بعد أربعة أيام أو خمسة وأنه لاينسى أحبابه كما لا ينسى أعداءه، ولو لم يكن له من الحسن إلا جعلكم وسائط لإعانة الناس لكان كافياً وإنكم لا تعلمون[٦] أنه كان نظرا إلى أحوال المارستان ومصالح المرضى وكان قصده أنه يبنى جامعاً، ولكن عاقه توجهه إلى الشام، وذكر كثير من مثل هذه الخرافات والتمويهات، ثم أخرج ورقة بالفرنساوى

---

(١) يريد ونوصى .

(٢) يريد دار البقاء .

(٣) يريد كما جرت عادة الحكومة الفرنساوية فى معاملة أصدقائها .

(٤) لعلها تمتدى .

(٥) والكتاب ملىء بالأخطاء وركيك العبارة كما هو واضح وقد تركناه على حالته .

(٦) فى الأصل تعلموا .

وقرأها بنفسه حتى فرغ منها ، ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان روفائيل، ومضمونها: حصول الصلح وتمويهات وخرافات ليس فى ذكرها فائدة، ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضا استوف الخازندار ورقة وقرأها بالفرنساوى ، ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان ، وهى فى معنى الأولى ، وصورتها : خطاب محبة من حضرة استوف مدير الحدود العام فى مجلس الديوان، يامشايخ وياعلماء وغيرهم ، أعلمكم أن ماعليا(١) أنى أكلمكم فى أسباب خروجنا من الديار المصرية ، بل وظيفتى تدبير أمور السياسة فقط ومجيئى عندكم لأجل أعرفكم قدر ماهو حاصل من الصعوبة كل واحد منكم رأى المحبة والأخوة التى كانت موجودة ما بين الفرنساوية وما بين أهل الديار المصرية، قد كان الجيش والأهل المذكورون(٢) مثل الرعية الواحدة ، واسم حضرة بونابارته القنصل الأول من جمهور الفرنساوية فى أعز الكفاية عندكم وعندنا ، كم(٣) مرة يامشايخ وياعلماء قد تم محبتنا لأجل سيرة هذا الشجاع الأعظم المعان بقوة الله الذى عقله لم له مثيل ، كان يستحق أنه يكون حاكم عليكم دائما، عرفتمونى عن المحبة والشفقة الذى(٤) مضت منه لكم ومن وقت ما التزم بسبب التعب الذى حصل له فى بلده أنه يتوجه إليه لم ضاع(٥) منكم العشم أن يترتب فى الديار المصرية التدبير العدل والمنافقة(٦) الذى كان أوعدكم(٧)

---

(١) يقصد أنه ليس من شأنى أنى الخ .

(٢) فى الاصل المذكورين .

(٣) فى الأصل كام .

(٤) الصواب : التى .

(٥) يريد قد ضاع منكم .

(٦) لعلها المنافعة يريد النفع .

(٧) يريد وعدكم .

بها وقت ما كان عندكم وصحيح يا مشايخ وياعلما أن حكم الفرنساوى كان يتم ما عدهدكم(١) عليه الذى هو كبيرهم وبونابارته دائماً رأى لكم فى الخير والمحبة إلى دعاية الديار المصرية لم لها نظير ، كم مرة كرر إلى حضرة سر عسكر منو أنه ينظر الحكم فى كامل الأمور بالخير ، وكام نوبه(٢) حضرة منو المذكور أثبت أن الحكام والجيوش لما أمنّوه أعطوه الأمانة فى أحسن محل وفى حكم السر عسكر منو صار أن كثرة الظلم والجور الذى كان مستثقلينه(٣) الرعية قد أبطله ، والعدل الذى كان ممنوع(٤) عنكم فى الأحكام السابقة ، قدوصل إليكم بواسطته، وأيضا فى مدة حكمه رأيتم أن نقص تحصيل الأموال والشفقة إلى الرعايا ، ولما كان التزم بسبب الحرب أنه يستبعد عنكم السفر(٥) كان نادى أنه يترتب تدبير فى تحصيل الأموال وهذا التدبير يكون فى حد العدل والخير لأهل الديار المصرية وكنا نحن صحبته فى تدبير هذا الشغل العموى وأنتم تعرفو.(٦) أن خير أوخرابه الرعايا من تدبير مثل هذا ، وكذلك حضرة سر عسكر منو قبل ما يتوجه إلى السفر بمدة كان(٧) أمر بمسح الديار المصرية ، وكان توكل لذلك مديرين(٨) ونحن من جملتهم والمديرين المذكورين(٩) كانوا بدأوا فى إتمام هذا الأمر الذى

---

(١) هكذا فى الأصل ولعلها كما عاهدكم .

(٢) الصحيح كم مرة .

(٣) يريد الذى كانت الرعية مستثقلة له .

(٤) الصحيح ممنوعاً .

(٥) يريد أنه لما كان قد التزم بسبب الحرب أن يسافر بعيداً عنكم .

(٦) الصحيح : تعرفون .

(٧) الصحيح : كان .

(٨) الصحيح مديرون .

(٩) الصحيح والمديرون المذكورون .

هو كنز لـكامل الناس ، لـكن كل ذلك لم كان يكفى[1] له ، وكان عصيان عليه من أمور الفلت[2] الذى يقع من العربان الذى[3] حواليـكم ، وأيضاً من الخوف الذى عندكم بسببهم ،وكان فى عقله أن يزيلهم من على وجه الأرض لأجل راحة الفلاحين ولأجل تمام الخير والصلاح ،وكذلك مراده يامشايخ وياعلماء أن مراده يسافر فى هذه السنة إلى الحج الشريف ، ويفتح زيارة طنطاة لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوى ويظهر جميع ما تشهروه وكامل ما تمشوا[4] فيه ، من اللازم أنـكم تعرفوا[5] جميع ماصدر لـكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية ،هذا ورعاية الديار المصرية جربوه بعض[6] وفى عشمى أنهم لم ينسوه أبداً صحيح أن حكم الفرنساوى حقق الـكل والذى يعجب الأكثر إلى الرعاية[7] بسبب ذلك ذات الفرنساوية قبلوا فيه لأجل منع الظلم والتعب الذى كانوا فيه والقرانات فى بلاد الغرب خافوا أن رعايتهم يقبلوا[8] الحـكم المذكور ، وبسبب ذلك ارتبطوا مع بعضهم لأجل ما يمنعوه[9] منا لـكن كل جهاتهم صارت بطالة وقد حاربونا حرباً شديداً[10] مدة عشر سنين متوالية ، وفى جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة وحكمنا قد بقى محله ، وكذلك هو الباقى أبداً دائماً ، فلم يحتاج أننا نعرفـكم

---

(١) الصحيح ما كان يكفى له .

(٢) يريد الانفلات والخروج عن القانون .

(٣) الصحيح : الذين.

(٤) الصحيح تشهروته وتمشون .

(٥) الصحيح تعرفون .

(٦) الصحيح جربه بعض (منكم) .

(٧) يريد الرعية .

(٨) يريد أن رعيتهم يقبلون .

(٩) الصحيح يمنعونه .

(١٠) الصحيح حرباً شديدة .

ق الذى تعرفوه[١] ويكفينا الآن أنكم محقق لكم من عند حضرة القنصل الأول فى الجمهور الفرنساوى بونابارته ومن عند حضرة سر عسكر منو المحبه والشفقة الصادقة الذى[٢] واقعة من الفرنساوية إلى الرعاية[٣] المصرية ، وهذه المحبة والعشم لم ينقطع ابداً بسبب سفر جانب من الجيش وعلبت[٤] أن يصادف يوم أننا نرجع إلى عندكم لأجل تمام الخير الذى يصدر من حكم الفرنساوى ، والذى لم أمكننا[٥] تتميمه فلم تتوهموا يامشايخ وياعلما لأن فراقنا لم يقع إلا عن مدة[٦] وذلك محقق عندى ، ولابد أن دولتنا يربطو[٧] ثانياً فى مدة قريبة المحبة القديمة التى كانت بينهم . وعلبت أن دولة العثملية لما تسير على الحرف الخالى الذى عمل لهم الإنكليزيروا أن الفرنساوية فى طلبة الديار المصرية لم له إلا يربط بزيادة المحبة صحبتهم لأجل كسر نفس وطيش الإنكليز الذى مراده[٨] نهب جميع البحور ومتاجر الدنيا انتهى .

وهو من تعريب أبو ديف وانشاء استوف بالفرنساوى ، ولما فرغ من قراءته قيل له ، إن الأمر لله والملك له ، وهو الذى يمكن منه من شاء . وانفض الديوان وركب المشايخ للسلام على حضرة الصدر الأعظم والقادمين ، فخرجوا

---

(١) أى وليست هناك حاجة أننا نعرفكم بالذى تعرفوته .

(٢) الصحيح التى وقعت .

(٣) الصحيح الرعية .

(٤) حكمة عامية مصرية أى ربما أو قد .

(٥) أى لم يمكننا .

(٦) يريد أن يقول : لاتحزنوا لأن فراقنا لأجل محدود .

(٧) الصحيح يربطون .

(٨) يقصد : الانكليز .

من طريق بولاق ، فسلموا وباتوا تلك الليلة بأورضي هايون ، وفي ثاني يوم عدوا إلى البر الغربي وسلموا على حضرة حسين قبطان باشا ورجعوا إلى منازلهم، وفيه أرسل إبراهيم بيك أماناً لأكابر القبط فخرجوا أيضا وسلموا ورجعوا إلى دورهم وأما يعقوب اللعين ، فإنه خرج بمتاعه وعازقه، وعدى إلى الروضة وكذلك جمع إليه عسكر القبط ، وهرب الكثير منهم ، واختفى واجتمعت نساؤهم وأهليهم وذهبوا إلى قائمقام وبكوا وولولوا وترجوه في إبقائهم عند عيالهم وأولادهم ، فإنهم فقراء وأصحاب صنايع ما بين نجار وبناء وغير ذلك ، فوعدهم أنه يرسل إلى يعقوب أنه لايقهر منهم من لايريد الذهاب والسفر معه ، وفيه قابلوا حضرة الصدر الأعظم فخلع[1] عليهم وكساهم ورجعوا .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره خرج المسافرون مع الفرنساوية إلى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم، وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الإفرنج والتراجمين وبعض المسلمين ممن تداخل معهم في المظالم وخشي على نفسه ، ومن ترأس في أيامهم من نصارى الشوام والأروام ، مثل يوسف الحموي وبني وبرطلمين، وعبدالعال الاغا أيضاً طلق زوجته وصنع له برنيطة وطرزها بالجيش[2] وخرج إلى الروضة بعد ماباع متاعه وفراشه ، وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره فكان يرسل خلف الذي باعه شيئاً من ذلك ويلزمه بإحضار ثمنه قهراً ، ولم يصحب معه إلا ماخف حمله وغلا ثمنه ، وفيه حضر وكيل الديوان وأحضر[3] جماعة

---

(١) في الأصل : قابلو الحضرة فأخلع .

(٢) لعله يريد بعلامة الجيش .

(٣) في الأصل وأحضروا .

من التجار ومن باع لهم فرش المجلس بستة وثلاثين ألف نصف فضة على ذمة السيد أحمد الزرو .

وفى ذلك اليوم أيضا فتحوا باب جامع الأزهر ، وشرعوا فى كنسه وتنظيفه ، وأشيع فى ذلك اليوم ارتحال الفرنساوية ونزولهم من القلاع وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال ، فلما أصبح يوم الخميس ومضى وقت الزوال لم يحصل ذلك ، فاختلفت[1] الروايات ، فمن الناس من يقول ينزلون يوم الجمعة ، ومنهم من يقول إنهم أخذوا مهلة ليوم الإثنين . وبات الناس على ذلك فلما كان آخر الليل وإذا الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ووطء نعالهم ، فنظروا فإذا الفرنساوية قد خرجوا ليلاً بأجمعهم . وأخلوا القلعة الكبيرة وباقى القلاع والحصون والمتاريس ، وذهبوا إلى الجيزة والروضة وقصر العينى . ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية ، ففرح الناس وهنأ بعضهم بعضا ، وأظهروا الفرح والسرور بدخول المسلمين وخروج الكافرين ، وصاروا يتلقونهم ويسلمون[2] عليهم ويباركون لقدومهم[3] والنساء يلقلقن بألسنتهن عند رؤيتهم[4] فى الأسواق ومن الطيقان ، وقام فى الناس جلبة وصياح ، وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ، ورفعوا أصواتهم بقولهم نصر الله السلطان ونحو ذلك ، وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الترييه

---

(١) فى الأصل اختلف الروايات .

(٢) فى الأصل يسلموا .

(٣) فى الأصل لقد ومهن .

(٤) فى الأصل رؤيتين .

الثقوب فى السور ، وتسلقوا أيضاً من ناحية الطوف والقرافة ، وأما باب[1] النصر والعدوى فهما[2] على حالها مغلقين[3] لم يأذنوا بفتحهما[4] خوفاً من تزاحم دخول العساكر المدينة دفعة واحدة فيقع فيهم ومنهم الفشل والضرر بالناس وباب الفتوح مسدود بالبناء ، فلما تضحى النهار حضر قبي قول وفتح باب النصر والعدوى وأجلس بهما جماعة من الإنكشارية ، ودخل الكثير من العساكر مشاة وركبانا أجناساً مختلفة ، ودخلت الإنكشارية وطافوا بالأسواق ووضعوا نيشاناتهم ، وركنهم على القهاوى والحوانيت ، وعند ذلك كثر الخبز واللحم والسمن والسيرج بالأسواق وكذلك الغلال ، وانحلت الأسعار وكثرت الفاكهة مثل العنب والخوخ والبرقوق والبطيخ وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرنؤوط ، وكذلك كثر وجود اليميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومى ، فلما كان قبيل صلاة الجمعة ، وإذا بجاويشية وعساكر وأغوات ، وتلا ذلك حضرة الصدر الأعظم فشق من وسط المدينة[5] وتوجه إلى المسجد الحسينى فصلى به الجمعة وزار المشهد ، ودعاه حضرة الشيخ السادات إلى داره المجاورة للمشهد ، فأجابه ودخل معه وجلس ساعة ثم توجه إلى الجامع الأزهر ، فطاف بمقصورته وأروقته ، وجلس ساعة لطيفة ، وأنعم على الكناسين والخدمة بدارهم ، وكذلك خدمة المسجد الحسينى ثم ركب إلى وطاقه بناحية الحلى بشاطىء النيل ، وعملوا فى ذلك الوقت شنك وضربوا مدافع كثيرة من الأوردى والقلعة ، ودخل قلقات الإنكشارية

---

(١) فى الأصل باب .

(٢) فى الأصل فى .

(٣) فى الأصل حالها مغلوقة .

(٤) فى الأصل تفتحها .

(٥) أى فشق طريقه من وسط المدينة .

وجلسو بروءس العطف والحارات ، وكل طائفة عندها بيرق ونادوا بالأمان والبيع والشراء ، وكان ذلك اليوم يوم تهنية وسرور وزوال هم وشرور وانحاز الفرنساوية إلى جهة قصر العيني والروضة والجيزة إلى حد قلعة الناصرية وفم الخليج ، وعليها بنديراتهم .

وفى يوم السبت دخل القبى قول وهو المسمى عند المصريين كتخدا الإنكشارية وشق المدينة .

واستهل شهر ربيع الأول سنة ١٢١٦ بيوم الأحد ، فيه ركب أغاة الإنكشارية الكبير العثمانى وشق المدينة وخلفه سليم أغا المصرى ، ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرلية بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم ، وطلبوا البيوت وسكنوها ، ودخل محمد باشا المرشح لولاية مصر وسكن بيت المياتم ، بالقرب من مشهد الحنفى ، وأرسل إلى المشايخ وكبار الحارات ، وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط .

وفى يوم الثلاثاء ثالثه حضر جناب حسين باشا قبطان من الجيزة ودخل المدينة ، وتوجه إلى المشهد الحسينى فزاره ، وذبح به خمس جواميس وسبعة (١) كباش ، واقتسمتها خدمة الضريح ، وحلق تاج المقام بأربع شالات كشميرى وفرق عليهم وعلى الفقراء نحو ألفى (٢) محبوب ذهب إسلامبولى ، وامتدحه صاحبنا العلامة أحد أدباء مصر وفضلائها فى العلوم الأدبية الشيخ على الشرقاشى بقصيدة مطلعها :

---

(١) فى الأصل سبع كباش .

(٢) فى الأصل ألفين محبوب .

بدر المسرة بالمعالى أمنا والوقت من بعد المخاوف آمنا

وهى طويلة يقول فى بيت التاريخ منها :

والصحب مانادى السرور مؤرخا صدر الكمال حوبه شرف المنا

وقدمها إليه وهو جالس للزيارة ، فأخذ نصيباً من الذهب الذى أعطى للخدمة ، وقاسمهم ثم عاد المذكور إلى خيمته بالجيزة .

وفى يوم الأربعاء رابعه ارتحل الفرنساوية وأخلوا قصر العينى والروضة والجيزة وانحدروا إلى بحرى الوراريق ، وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الإنكليز ونحو خمسة آلاف من عسكر الأرناءوط ، ومن الأمراء المصرلية عثمان بيك الأشقر ومراد بيك الصغير وأحمد بيك الكلارجى وأحمد بيك حسن ، فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية ثلاث سنوات وإحدى وعشرين يوماً فإنهم ملكوا بر إنبابه والجيزة وكسروا الأمراء المصرية يوم السبت سابع شهر صفر من سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف ، وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع ، وخلو المدينة منهم وانخلاعهم عن التصرف والتحكم ليلة الجمعة الحادى والعشرين من شهر صفر سنة ست عشرة ومأتين وألف(١) فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتحول سلطانه ، وفى ذلك اليوم حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف وصحبته الخوجا السيد أحمد المحروقى شاهبندر التجار بمصر ، وعليهما خلعتان سمور وتوجها إلى دورهما .

وفيه نبهوا على موكب حضرة الصدر الأعظم من الغد ، فلما أصبح يوم

---

(١) فى الأصل : ستة ستة عشر ومائتين وألف .

الخميس خامسه اجتمع الناس من جميع الطوائف وسائر الأجناس وهرع الناس للفرجة ، وخرجت البنت من خدرها ، وأكثروا الدور المطلة على الشارع بأغلى الأثمان ، وجلس الناس على السقائف والحوانيت صفوفاً وانجر الموكب من أول النهار إلى قريب الظهر ، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة ، وأمامه العساكر الشامية والأمراء المصرلية والمغاربة والقليونجية والباشوات أوج طوخلية والكتبة ورؤساء الكتاب وأرباب الديوان والأغوات الكبار بالطبول والزمور وكذلك قاضي العساكر المنصورة والعلماء المصرية ومشايخ التكايا والدراويش ، وأقبل حضرة الصدر الأعظم وأمامه الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة والجوخدارية ويبدون[1] الدراهم عن اليمين والشمال على المتفرجين من الرجال والنساء ، وخلفه أيضاً العدة الوافرة من أكابر أتباعه ، وبعدهم الكثير من عسكر الأرناءوط وموكب الخزندار وخلفه النوبة التركية المختصة به ، ثم المدافع وعربات الجبخجانه . وعملوا وقت الموكب شنك ضربوا فيه مدافع كثيرة وكان ذلك اليوم يوماً عظيما مشهوداً وموسما وبهجة وعيداً عمت المسلمين فية المسرات ، ونزلت في قلوب الكافرين الحسرات ، ودقت البشائر وقرت النواظر . وأوقدت المنارات سبع ليال[2] متواليات ، فلله الحمد والمنة على هذه النعمة ، ونرجو من فضله أن يصلح منا فساد القلوب ، ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المرغوب والمطلوب ، ويلهمهم سلوك سواء[3] السبيل القويم ، ويهديهم الصراط المستقيم ، قال صاحبنا المشار إليه[4] وقدم بصحبة عرضى همايون : شموس الدولة العثمانية

(١) هكذا في الأصل ولعلها ويبذرون .
(٢) في الأصل ليالى .
(٣) في الأصل سوء السبيل .
(٤) هو الشيخ حسن العطار .

الطالعة أنوارها فى سماء الآفاق ورءوس رجالها الذين هم خلاصة العالم فى العقل والتدبير والسياسة باتفاق :

كل صدر إذا تصدر يوما شهدت كل أمة بعلاه

فأولهم واسطة عقدهم ، وسماء مجدهم ، ومرجع نواهيهم وأوامرهم وقطب مواردهم ومصادرهم ، غرة الزمان بهجة الأوان ، المتزينة بوجوده حلل الأيام ، المغترفة من بحر وجوده[1] جميع الآنام ، مولانا الصدر الإعظم والملاذ الأفخم ، الوزير الكبير ، والبدر المنير ، والروض النضير ، والعلم الشهير ، الحلاة باسمه ديباجة الكتاب جعله الله حيثما توجه مظفراً غلابا[2] ثم لسدته أهدى هذه القصيدة شكراً لمواهبه وفضائله العتيدة:

إنمــا العز فى متون الجيــاد مع بيض الظبا وسمر الصعاد[3]
واصطدام النوى بصارم عزم واقتحام الهيجاء وقت اشتداد
وعلى قــدر همــة المرء يرقى فى المعــالى وينثنى بالمراد
خلق الله للرجال حروبا ورجالا لمكتب وسداد[4]
وإذا ماهما اضيفا لشخص فهو ذاك الفريد فى الأمجــاد
وصعاب الأمور أن حلها العضل[5] وجاشت منها نفوس العباد
فلها من سما العزائم بدر يمح عن وجهها شنيع السواد

(١) لعلها بحر جوده لا بحر وجوده .

(٢) فى الأصل غلاب .

(٣) الصعاد جمع صعدة وهى قناة الرمح .

(٤) فى الأصل لمكتب سداد وبه لا يستقيم الوزن .

(٥) العضل : الضيق والشدة .

وصياصي الحصون يشتاقها السيـ ... ـف لهذا يئن في الأغماد
والليالي على الحوادث تطوي ... ثم تبدو منهـا على التعداد
وإذا أراك اللبيب قصارى[١] ... كل خطب يهون باستعداد
أين للمرء لو أراد مفر ... وسهام الخطوب بالمرصاد
وقصارى أمر الأنام ممات ... بعد عيش يشاب بالأنكاد
لارعى الله ما مضى من زمان ... فيه ساءت أسافل الأوغاد
واستبدت بملك مصر الفرنسيس وعاثو فيها بكل فساد
حل فيها منهم شياطين أنس ... هم بقايا الهلاك من قوم عاد
شوهوا حسنها بأسود كفر ... حين جاءوا بجيشهم كالجراد
واستباحوا الأموال والدم والعر ... ض وجاءوا بالخسر والإلحـاد
ثم زالوا عنهـا سريعا وبادوا ... وعليهم خزى المخاوف بادى
بقدوم الوزير ذا علاه ... مقدم الغيث حل محل البلاد
فاكتست مصر بهجة ونساء ... وأماطت[٢] عنها ثياب الحداد
وأعيدت لهـا معالم أنس ... هي في الدهر مطلب المرتاد
أيد الله نصره وحبـاه ... كل ما يبتغيه بالإسعاد
فهو غيث فيه نعيم وبؤس ... ينتحي فيهما سبيل الرشاد

---

(١) لعل هناك كلمة ناقصة في هذا الشطر حتى يستقيم الوزن وربما كانت (منها) القصارى .
(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب بهجة وانشراحاً وأماطت أو ونساء قد أماطت ـه والأول أحسن لأن الكلام عن مصر في البيت الذي بعده .

وملاذ فى كل خطب مريع   وعماد الدين أى عماد
أرهب الكفر جيشه فلهذا   جنحوا للوفاق خوف العناد
وتراضوا بما قضاه عليهم   من شنيع الإصدار والإيراد
وتجلى(١) عن مصر منهم سحاب   ممطر العذاب فى كل وادى
أصبحوا بين هالك وجريح   وأسير وشارد ومفادى
نعمة بآلائه جات علينا   بفتوح تعزى لهذا الجواد
قاد جيشاهم الأسود ولكن   فضلوا بالعقول عن آساد
وسرى والنصر المبين أمام   يسبق الرعب فى قلوب الأعادى
مخلص للاله فى بيع نفس   يبتغى الأجر فى نفيس الجهاد
فوقاه الإله من(٢) خوف   وحباه بلوغ كل مراد

ومنهم المولى المخدوم بعزايم الدهر المقترنة طلعته الغراء بسواطع الظفر والنصر المحفوف بالعنايات الربانية ، الملاحظ بالرعاية الصمدانية الوزير المعظم والكبير المفخم إبراهيم باشا والى حلب ، حياه الله من الأمانى ما طلب وأحب ، ومنهم البدر الراقى فى سماء الرياسة والنجم الذى يهتدى به لمعالم السياسة ، نتيجة قياس المعالى ، دوحة المجد التى تفتخر به الأيام والليالى ، حضرة إبراهيم باشا شيخ أوغلى ، لازال ثغر الزمان باسماً بوجوده ، وسواجع الشكر مطلوقة بإحسانه وجوده ، ومنهم الليث المقدام والشجاع والصمصام ، الطالعة سيوفه فى ديجور الحروب مطالع النجوم ، هازم جيوش شياطين الكفر ، حين جعلت لها شهب نجوم بنادقه

---

(١) يريد وجلا .
(٢) زيادة يقتضيها الوزن والصواب .

وجوم ، حضرة طاهر باشا ، أعلى الله مقامه سرمداً وأكد به نفوس العدا ، ومنهم قطب راحات الحروب إذا دارت ، ومفرج كروب الهيجاء إذا أبطالها دهشت وحارت ، صاحب السيف والقلم ، معدن الفضل والحكم ، حضرة السيد محمد باشا والى القدس الشريف ، وغزة بل ومصر المحروسة ، لازالت مراتب السيادة بطلعته مأنوسة ، وبلغه الله أمانيه ، وشكر فى الدارين مساعيه . ومنهم الجليل المهاب ، النبيل ، الذى هو فى جميع أفعاله مثاب ، جامع محاسن الكتاب ، قطب رؤساء الحساب ، وهو الملاذ المفخم ، والسابق فى حلبة الفضل المقدم ، حضرة خليل أفندى الرجائى دفتر دار الدولة ، أدام الله له الوجاهة والصولة ، وحقق رجاه ، وبلغه مناه ومنهم تاج أرباب الفضائل ، عماد مجد الأكابر والأماثل فريد العلا ، مؤمل الملا ، الصدر الرئيس ، واسطة عقد الفخار النفيس ، محمود أفندى رئيس الكتاب ، أفاض الله عليه الحكمة وفصل الخطاب ، ولازال مصدراً لكل فضيلة حاوياً من الشرف قليله وجليله . ومنهم رب السيادة والسعادة صاحب الآراء[1] والأفهام المستجادة ، حضرة شريف أغا نزل أمين أحسن الله أفعاله ، وسدد بالصواب أقواله . ومنهم بهجة الصدور ، الآخذ من العلوم والمعارف بحظ موفور ، المتفرد بالأخلاق[2] الجميلة والسعى المشكور ، حضرة محمد أغا جبجى باشى الشهير بتوسون ، وقاه الله ريب المنون ، وغير هؤلاء الكثير من الأكابر والأعيان ورؤساء الديوان ، وحكام الأوجاقات وأمراء ألوف البكات ، مثل أغاه الإنكشارية ، وقبى قول وأ كابر الأرناؤط . وأمراء التفكجية والدلاتية

---

(١) لعلها الآراء .

(٢) فى الأصل بأخلاق الجميلة .

والجوديجية ، وباقى أرباب المناصب ، والعساكر الإسلامية ، ووقع الإختيار بأن يكون الباب الأكرم وسكن الصدر الأعظم بحارة عابدين ، وكذلك أفردت أماكن لسكن الوزراء والأعيان تليق بهم ، ومساكن لأمرائهم وأتباعهم بالقرب منهم فى جهات مختلفة .

وفى يوم الأحد سافر هجان إلى جهة الحجاز وصحبته فرمان بخبر الفتح والنصر وارتحال الفرنسيس وجلائهم من أرض مصر ، ومكاتبات من التجار لشركائهم بإرسال البن والبضائع والمتاجر إلى مصر ، وفيه نودى بعدم التعرض بالأيذاء لنصرانى أو يهودى سواء أكان قبطياً أو رومياً أو شامياً ، فإنهم من رعايا السلطان والماضى لا يعاد ، والعجب أن بعض نصارى الأروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيس ، يوابزى العثمانية وتسلحوا بالأسلحة واليطقانات ، ودخلوا فيهم وشمخوا بآنافهم وتعرضوا بالأيذاء للمسلمين فى الطرقات بالضرب والسب باللغة التركية ، ويقولون فى ضمن سبهم للمسلم فرنسيس كافر ، ولا يميزهم إلا الفطن الحاذق ، أو يكون له بهم معرفة سابقة .

وفى يوم الإثنين قتل شخصان بالرميلة وهما حجاج وأخوه كانا متوليين الأحكام ببولاق أيام الفرنسيس ، ووقع منهما جور وظلم وعسف وكثر التشكى منهما ، فقتلا . وفيه ركب حضرة الصدر بثياب التخفيف وشق المدينة وتأمل فى الأسواق ، وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنايع ومشاركتهم فى أرزاقهم ، ثم توجه إلى المشهد الحسينى فزاره ، ثم دخل لدار السيد أحمد المحروقى التاجر فزاره وشرفه ، ثم كرّ راجعاً لبيته .

وفى يوم الثلاثاء حضر قاصد من الباب الأعلى ، وعلى يده مثالات شريفة لحضرة

الصدر الأعظم وهدية وجواب عن حلول ركابه بلبيس، وفيه نودى بتزيين الأسواق من الغد تعظيما ليوم المولد النبوى الشريف ، فلما أصبح يوم الأربعاء كررت المناداة والأمر بالكنس والرش ، فحصل الإعتناء وبذلوا الناس[1] جهدهم وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير والزردخان والتفاصيل الهندية ، وركب حضرة المشار إليه عصر ذلك اليوم ، وشق المدينة وشاهد الشوارع، وعند المساء أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد ، وحصل الجميع بتكية الشكليين على العادة وتردد الناس ليلا للفرجة ، وعملوا مغانى ومزامير وقراءة قرآن وضجت الأولاد فى الأسواق وعم ذلك سائر أخطاط[2] المدنية العامرة ومصر وبولاق ، وكان من المعتاد القديم أن لا يعتنى بذلك إلا بجهة الأزبكية حيث سكن شيخ البكرى ، لأن عمل المولد من وظائفه وبولاق فقط .

وفى يوم الخميس ثانى عشره سافر سليمان أغا تابع صالح بك وصحبته عدة هجانه إلى ناحية الشام لإحضار المحمل الشريف وحريم الأمراء إلى مصر .

وفى يوم الجمعة ركب المشار إليه وحضر إلى جامع الأزهر فصلى به الجمعة وخلع على الخطيب فراجية .

وفى سادس عشرينه حضر عثمان بيك البرديسى وصحبته عدة من عسكر الإنكليز الذين حضروا من ناحية اللازم على القصير فانحازوا مع أصحابهم بالجيزة وهم على أشكال مختلفة ، وفيهم كثير من الحبوش والهنود المختلفة الأديان والملابس والصور والأوضاع حتى أن فيهم فرقة تركب الأثوار .

---

(١) وبذل الناس .
(٢) فى الأصل : الأخطاط للدنية .

وفيه خلع على محمد أغا تابع قاسم بيك موسقو وتقلد والى مصر عوضاً من على أغا الشعراوى .

وفى يوم السبت ثامن عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك وركب محمد باشا والى القدس وغزه فى صبح يوم الأحد إلى قنطرة السد وفتح الخليج بحضرته ، وفرق العوايد وخلع الخلع ونثر الذهب والفضة ، وذلك من قوانين ولاية مصر .

واستهل شهر ربيع الثانى فى يوم الجمعة حادى عشره لبس الأوجاقلية المصرلية زيهم من القواويق المختلفة الأشكال على عادتهم القديمة حسب الأمر لهم بذلك ، وحضروا بالديوان العالى .

وفى يوم الإثنين وصل سليمان أغا إلى ركة الحاج وصحبته المحمل ونساء الأمراء القادمين من الشام ، فنودى فى عصر ذلك اليوم بعمل موكب المحمل من الغد ، وطاف ألاى جاويش بزية المعتاد وخلفه القابقجية ، وهم ينادون بقولهم يارن ألاى ، وانجر الموكب فى صبح ثانى يوم ، ودخل المحمل من باب النصر وشقوا به شوارع المدينة حكم عادته ، وصادف ذلك اليوم مولد الحسين والأسواق مزينة فصعدوا به إلى القلعة ، وتسلمه محمد باشا وعملت الوقدة والشنك تلك الليـلة .

وفى سادس عشرينه قدم نادرة الدهر ، وغرة وجه العصر ، شمس الدولة وبدرها ، ومن يدور عليه نهيها وأمرها ، دفتر كل الأوائل والأواخر ، ناظم ما انتثر من الفضائل والمآثر ، صاحب الطلعة البهية ، والهمة العلية ، رحيب النادى عند وفود الحاجات مجيب المنادى فى المهمات ، خلاصة السلالة الهاشمية ،

وطراز حلة الفخار النبوية ، فرع دوحة الشرف الزكية النماء ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، عظيم قدر لايضاهى ، وسبّاق غاية مجد لايباهى :

وكيف تضاهى أهل بيت قد انتموا لسبط رسول الله أشرف مرسل

ذو الحسب السنى ، والنصب العلى ، المحتف برعاية المولى المعيد المبدى مولانا محمد شريف أفندى شرّف الله قدره ، وأشاع بطيب الثناء ذكره ، ولازالت أيامه أعياداً ومواسم ، وثغور الأقطار بتدبير أقلامه بواسم ، وهو من حسنات الدولة[1] العلية ، التى خصت بها مصر المحمية ، فكان الطبيب الذى تم به العلاج ، وقام به سوق الفضائل فيها وراج ، ومن التفاؤل بيمن قدومه وانطواء الخيرات فى منشور مرسومه أن قدم فى شهر ربيع فكان الزمان كله ربيعاً وكأنه الغيث صار به القطر خصبا مريعا كما قيل :

الجوهر الفرد من معناه منتثر والمندَلُ الرَّطب من رَيّاه منتشر
كل الشهور ربيع عند مقدمه وكل شهر سوى أيامه صفر

ولما أن أجرى الله على يديه الخير الجم ، وفاض معروفه على كل قاصدوعم . اجتمعت القلوب على محبته ، واتفقت الألسن على حسن سيرته :

وإذا أحب الله يوما عبـــده ألقى عليه محبة فى الناس

وقدم بصحبته أيضاً رب البلاغة والبراعة ، ومعدن العلوم التى هى لثاقب فكره منقادة مطواعة ، المضيئة آراؤه عند كل معضلة إضاءة البدور ، الصدر الذى تتزين به المحافل والصدور ، حضرة عثمان كتخداى حرس الله مجده ، وأدام

---

(١) فى الأصل : دولة العلية .

إلله عزه وسعده ، وسكن حضرة الدفتر دار بدرب الجماميز ، وسكن حضرة الكتخداى بسويقة اللالا بمنزل حسن أغا محرم متولى الحسبة فى مدة الفرنسيس .
وفى غايته عمل شنك بمدافع كثيرة ، وذلك لوصول خبر انقضاء الحرب وتسليم اسكندرية صلحاً .

شهر جمادى الأولى استهل بيوم الخميس ، فيه قرئت فرمانات حضرت بصحبة المشار إليهما ، وفيه انفصل مولانا السيد محمد الشهير بقدسى أفندى عن القضاء ، وسافر ذلك اليوم وتقلد القضاء عوضاعنه حضرة عبد الله أفندى كاتب الميرى ، وحضر فى ذلك اليوم إلى المحكمة .

وفى يوم الإثنين نودى بالزينة ثلاثة أيام ، أولها الأربعاء وآخرها الجمعة تاسعه ، فزينت المدينة وعملت الوقدات بالأسواق والمغانى والآلات ، والسهر بالليل فى الحوانيت ، وتردد الناس للفرجة ليلا ونهاراً ، وكل ليلة يعمل شنك نفوط وصواريخ وبارود بهركة القرابين المطل عليها بيت المشار إليه جهة باب اللوق .

وفى ثانى عشره وقع من العساكر عربدة بالأسواق ، وانزعجت الناس ورفعوا متاعهم من الحوانيت وأغلق بعض الجهات ، فحضر أكابر العسكر فكفوهم ورائق الحال من غير حصول ضرر كثير ، وفيه ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو باشاوية مصر ، وهو كتخدا قبطان باشا ، فألبس حضرة المشار إليه وكيله خلعة عوضاً عنه ، وأشيع عزل محمد باشا الغزى وسفره .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه وردت مكاتبة من حضرة قبطان باشا بطلب عثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك البرديسى ، وإبراهيم السنارى وآخرين(١)

(١) فى الأصل وآخرون .

فسافروا فى يوم السبت رابع عشرينه . وفى ذلك اليوم قتل رجل يسمى مصطفى الصيرفى بخط الصاغة ، وسبب ذلك أنه كان يتداخل فى النصارى ، وتولى أمر فِرْدة الصاغة والجواهرجية وسوق السلاح ، وتجاهر بأمور نقمت عليه ، فكثرت فيه الشكاوى ، فحبس أياما ، ثم قتل صَبْراً(١) بأمر حضرة الشار إليه عند حانوته ، وبقى مرميا ثلاث ليال ، ثم دفن . وكان أصله إسرائيليا وأسلم .

وفى غايته قتل شخص بسوق السلاح من ناحية المنصورة ، وانقضى هذا الشهر وحوادثه . ومنها : زاد النيل زيادة أكثر من المعتاد وعن عام الأول ، حتى غطى الذرع الذى ذرعة(٢) الفرنسيس على عامود(٣) المقياس ، ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة ، وغرقت الروضة ، ولم يقع فى هذا النيل للناس حظوظ ولا نزاهة كعادتهم فى البرك والخلجان والمراكب ، وذلك لاشتغال الناس وخوفهم من العسكر ، وعدم المراكب ، وتخريب الفرنسيس مواضع النزهة ، مثل الأزبكية وبركة الرطلى وخلافها ، وتقطيع أشجار المقاصيف(٤) التى كانت تجلس عندها أهل الخلاعة والمجون ، والقهاوى مثل دهليز الملك والجسر والرصيف والكازرونى والمغربى وناحية قنطرة السد وقصر العينى ، وغير ذلك . ومنها أن الجسر الكبير المنصوب من الروضة إلى الجيزة تفكك من شدة الماء وقوته ،

---

(١) قتل صبراً : ألقى فى السجن حتى مات .

(٢) فى الأصل الزرع الذى زرعه ، ويحتمل أن يكون الزرع الذى زرعه الفرنسيون على العامود .

(٣) هكذا فى الأصل والصواب عمود .

(٤) القصف : اللهو معرب والتقصف : الإقامة فى الأكل والشرب ، والمكان مقصف وهو يريد أشجار المتنزهات التى اعتاد الناس أن يرتادوها ويتناولوا طعامهم بها .

تقطعت رباطاته وانتزعت مراسيه ، وانتشرت أخشابه وتفرقت سفنه ، وانحدرت إلى بحرى .

واستهل شهر جمادى الثانى بيوم السبت ، وفى ليلة الأحد ثانيه حصلت زلزلة فى ثالث ساعة من الليل . وفيه قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطارآنى بباب الشعرية ، وذلك بعد حبسه أياماً عديدة ، وضربه وعقابه[1] . وكان أولا مقدماً عند قائد أغا ، فلما تملكت الفرنسيس خدم عند بونابارتة ثم من بعده عند كلهبر ، ثم خدم يعقوب حين تولى أمر الفردة ، ووقع منه ما وقع فى ذلك الوقت كما تقدم شرحه .

وفى يوم الثلاثاء رابعه وصل شمس الدين بيك أميراخور كبير وحضرة مرجان أغا فأرسلت القنابيه وعملوا الديوان بالباب العالى فحضر الوزراء والأمراء والعلماء والأوجاقلية والأعيان ، وحضر المذكوران ولاقاهما حضرة المشار إليه من المجلس الخارج ، وسلماه الخطوط الشريفة والخلع المختصة بجنابه[2] . والسيف والشلنج الجوهر . وعمل فى ذلك اليوم شنك ومدافع من القلعة ، وخلع على الوزراء والأمراء خلعاً وشلنجات ، وفيه حضرت أطواخ وولاية جدّة لمحمد باشا طوسون الذى كان جبجى باشى ، وفيه حضر القاضى الجديد وهو المولى مصطفى أفندى دباغ زاده من فضلاء المحققين ونبلاء المدققين ، وحضر إلى المحكمة فى يوم السبت ثامنة بأهله وعياله ، سدد الله أحكامه ورفع على منار الشريعة أعلامه .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره عمل حضرة المشار إليه ديواناً ، وحضر الأمراء

---

(١) فى الأصل وعاقبه ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) فى الأصل بجانبه ، ولعل الصواب ، ما أثبتناه .

المصرلية ، فقبض عليهم وعوقهم عنده ، وكان سليم بيك أبو دياب بالبلدة المسماة بالمنيل ، فسمع الخبر ، ففر إلى الإنكليز بالجيزة ، وأدركه الطلب ، فلم يجدوه ، فأحضروا متاعه وجماله ، ونودى فى ذلك اليوم بالأمن والأمان على الأوجاقليه والرعية ، واختفى بقية الأجناد المصرية والمماليك ، وباتوا بليلة سوداء ، وخاب أملهم وضاع تعبهم وطمعهم ، وكان فى ظنهم أن العثملى يرجع لبلاده ويترك لهم مصر وإقليمها ويعودون إلى حالتهم الأولى ، يتصرفون كيف شاءوا وألبس حضرة المشار إليه سليمان أغا صالح زى العثمانيين ، وجعله سلخوراً وأن يكونه فى خدمة الدولة .

وفى يوم الإثنين سابع عشره سافر إسماعيل أفندى شبقون كاتب حوالة إلى رشيد باستدعاء محمد باشا والى مصر . وفيه ورد الخبر بوصول كسوة الكعبة من الباب العالى(١) ، فلما كان يوم الخميس عشرينه ركب الأعيان والمشايخ وأرباب الأشاير ونقيب سادات الأشراف وعثمان كتخدا المرشح لإمارة الحج ، واجتمعت الناس للفرجة وحضروا بالكسوة من بولاق ، وشقوا بها من وسط المدينة حتى وصلوا بها إلى المشهد الحسينى ، فوضعت هناك على العادة ، وكان يوما مشهوداً .

وفيه وردت الأخبار بأن حضرة حسين باشا القبطان أراد أن يقبض على الأمراء المصرلية ، فحصل منهم عناد ومخالفة ، فقتل منهم عثمان بيك المرادى الكبير وعثمان بيك الأشقر الإبراهيمى ومراد بيك الصغير ومحمد بيك المنفوخ وابراهيم السنارى وآخرين(٢) . وفر الباقون إلى الإنكليز بجهة اسكندرية .

---

(١) فى الاصل من باب الاعلى ولعل الصواب ما ذكرناه .

(٢) فى الاصل وآخرون .

فلما ورد الخبر بذلك حصل بعض قلقلة وإرجاف ، وأخذ الإنكليز المقيمون بالقلعة حذرهم ، وفى ذلك اليوم طلع محمد باشا طوسون والى جدة إلى القلعة ، وصعد معه جملة من العسكر ونقلوا إليها ذخيرة وقومانية ومدافع وبارود .

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه ، حضر كبير الإنكليز الذى بالجيزة فقابل حضرة المشار إليه فألبسه خلعة ، وفى ذلك اليوم خلع أيضاً على عثمان كتخدا ، وتقلد إمارة الحاج .

واستهل شهر رجب سنة ١٢١٦هـ بيوم الأحد . فى ثانيه سافر سليمان أغا صالح إلى أسلامبول بإرسالية من جهة دمياط ، وفى تاسعه أرسل الإنكليز إلى حضرة المشار إليه يستدعون منه الأمراء يتفسحون عندهم يومين أو ثلاثه ، ثم يعودون فأمرهم بالذهاب والتعدية إلى بر الجيزة ، فأظهروا التمنع عن الذهاب إلى مخالفى[1] الدين ، ثم ذهبوا ، وما صدقوا بالخلاص ، فلما تسامعت جماعتهم وأجنادهم ومماليكهم وأطرافهم المختفون ، ظهروا بعد اختفائهم وتلاحقوا بهم ، ونقلت إليهم خيولهم وجمالهم وخيامهم ، وأقاموا بالجيزة ، ولم يعودوا .

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه وصل حضرة عابدى بيك صهر حضرة الصدر الأعظم ، فخرج غالب أعيان الدولة لملاقاته ، ودخل بمحمولة فى موكب جليل .

وفيه ورد الخبر بسفر حضرة قبطان باشا من ساحل « أبو قير » إلى الديار الرومية باستدعاء فى نصف الشهر .

شهر شعبان استهل بيوم الثلاثاء . فيه قدم يوسف أفندى وبيده فرمانه

---

(١) فى الأصل مخالفين الدين .

بولايته على نقابة السادة الأشراف . ويوسف أفندى هذا كان من المتوسطين بمصر ، فترقى لمشيخة رواق الأتراك بالجامع الأزهر ، ثم عزل ، وسافر إلى اسلامبول قبل حادثة الفرنسيس ، وأقام بها نحو الأربع سنوات ، ثم قدم بذلك فأهمل أمره ، ولم يلبه أحد ، وذلك لإجماع الخاص والعام على حسن سيرة السيد عمر أفندى[1] ، وقيامه بواجب هذا المنصب وخلوص نيته فى كل مذهب ، وقد جاهد فى الله حق جهاده ، وبذل نفسه وماله للقراءة والمجاهدين من عباده ، وسافر إلى الشام مرتين وباشر الحادثتين وله[2] . بأرباب الحاجات عناية ومنزلة ، للمجتدى[3] نعمى وللخايف أمان[4] فلا أخلى الله الوقت من وجود أمثاله ، وأفاض عليه سوابغ أنعامه وأفضاله .

وفيه من الحوادث أنه تقيد بأبواب القاهرة بعض من نصارى القبط ، ومنهم بعض من العسكر ، فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا[5] . معه شيئاً ، سواء أكان داخلا أو خارجا بحسب اجتهادهم ، وعلى ما يجلب لمصر من الأرياف ، وزاد تعديهم ، فعم الضرر ، وعظم الخطب ، وغلت الأسعار ، وكل من ورد بشىء ليبيعه يشتط فى ثمنه ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس ، فلا يسع المشترى إلا التسليم لقوله ، والتصديق له ؛ والسبب فى ذلك أن الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق دس عليهم بعض المقيدين معهم من أقباط النصارى بأن كثيراً من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور يذهب بها أربابها من طريق البر ، ويدخلون بها فى أوقات الغفلة ، تحاشيا عن دفع ما عليها ، وبذلك

(١) هو السيد عمر مكرم.
(٢) فى الأصل وقنا ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٣) المجتدى : طالب المعروف .
(٤) زيادة يقتضيها السياق .
(٥) فى الأصل ومن كل ما وجدوه معه ، ولعل الصواب ما ذكرناه .

لايجتمع المال المقرر بالديوان ، فيلزم أن تقيد من كل باب من يترقب لذلك ، ويأخذ مايخص الديوان من ذلك ،فأذن كبير الديوان بذلك ، فانفتح لهم بذلك باب ، فولجوه ، ولم يحسبوا للعاقبة حساباً(١) وزادوا فى الجور والفضائح وأظهروا مافى نفوسهم من القبائح ، فساءت الظنون ، واستغاث(٢) المستغيثون ، وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام ، كما قيل فى المعنى :

وكنا نستطب إذا مرضنا ... فصار الداء من قبل الطبيب

فلما أنهى هذا الأمر لحضرة الصدر بادر فى إنكاره ، وسرعة إزالته ، ومحو آثاره ، وأرسل لمن تولى كِبْرَ ذلك من أرباب الدواوين فسبحانه تعالى حرمه وسجنه بترقب المكروه أن يذوق سنة(٣) وانجلت ولله الحمد بمولانا هذه الغمة وابتهلت بالدعاء له بالبقاء والنصر وسائر الأمة .

الخير أهل لاتزال ... وجوههم تدعو إليه

طوبى لمن جرت الأمو ... ر الصالحات على يديه

وأبطل أيضا ماكان وضع على طائفة القبانية من الكرك السنوى ، واكتسب بهذه الأمة الهمة(٤) رضاء الله وثناء العالم الأبدى .

---

(١) فى الأصل حساب .

(٢) فى الأصل استغاث :

(٣) فى الأصل أحرمه وسجنه ، يترقب المكروه أن يذوق وسنه .ولعل الصواب ماأثبتناه ويريد أن الذى فعل هذا الفعل المنكر قد حرم الحرية والخير وسجن ، وصار من ترقب المكروه لايذوق النوم .

(٤) هكذا فى الأصل ولعل كلمة الأمة زائدة ، أو لعل فى الكلام نقصاً وهو(واكتسب بما فعله بهذه الأمة من الهمة) .

وفى خامسه نزل محمد باشا طوسون والى جده من القلعة فى موكب ، وتوجه إلى العادلية قاصداً(١) النفر إلى جدة من بحر القلزم ، وفيه يوم الأربعاء تاسعة قبضوا على ثلاثة أشخاص من نصارى الأروام تزيوا بزى العساكر الإنكشارية، وحصل منهم القبائح فى الرعية ، فرموا رقابهم فى جهات مختلفة ، ليعتبر بذلك غيرهم ، وكذلك الرجل المفسد الذى يقال له راضى النجار ، كان من أعظم المفسدين بإقليم المنوفية ، قبض عليه العسكر ، وأحضروه إلى مصر ، وقتل بالرميلة ، فانسر الناس بترادف مثل هذه الأمور وما يترتب على ذلك من استئصال أصحاب الشرور . وفيه كتب فرمان إلى ناحية البحيرة وصورته : صدر الفرمان العالى السلطانى وأمرنا الجليل الخاقانى إلى قدوة النواب المتشرعين نائب البحيرة زيد علمه وإلى كامل المشايخ من عربان المنادى والأفراد والجميعات والبهجة وبنى عونه(٢) عموماً زيد فى عشيرتهم بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايونى الحكمى تحيطون علما أنهيتم إلى ديواننا الهمايونى أنكم من قديم الزمان منازلكم أبا عن جد [فى](٣) فيافى البحيرة وفدافدها ، وأنكم تحت قدم(٤) ، الطاعة والمحافظة الرعايا والطرقات الواقعة بناحية البحيرة ، والتمستم من عواطف مراحم سلطنتنا السنية ودولتنا الخاقانية استقراركم فى منازلكم كما كنتم حكم السنين الخوالى ،

---

(١) فى الأصل قاصد .

(٢) المنادى ، والبهجة ، وبنو عونة قبائل عربية مقيمة بمصر، ولا تزال موجودة حتى اليوم ى جهات مختلفة .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) فى الأصل تحت قدوم الطاعة ، ولعل الصواب ما ذكرناه .

فحيث أنه جرت العادة أن قبائل العربان فى الديار المصرية كل قبيلة لها منزلة مخصوصة بهم ، لا ينازعهم فيها غيرهم ، ومنزلة البحيرة من قديم الزمان تنزلونها فبحسب التماسكم[1] مراحم دولتنا العلية قد أقررناكم فى منازلكم المزبورة[2] كما كنتم قديماً نازلين بها من غير منازع لكم فى الشروط التى تعهدتمو بها ، وقبلتموها فى حضور صدرنا الأعظم ، وكتبتم بها سنداً عليكم : وهى أوفوا عدم التعدى وإيصال الرزية والمضرة ولو مقدار ذرة إلى الرعايا ، وديعة خالق البرايا ، والمحافظة على الطرقات وعدم إتلاف شىء من مزروعات أهل البلاد ، وإضاعة مواشيهم ، وأنه لا تسكنوا عندكم شقياً من اللصوص وقطاع الطريق ، ونهب أموال الناس ، وقتل النفوس بغير حق شرعى ، وقد نذرتمو على أنفسكم أنه متى اختل شرط من هذه الشروط المذكورة تقومون بدفع مائتى ألف غرش إلى خزينة مصر ، فبناء على ذلك أصدرنا فرماننا الشريف وأمرنا العالى المنيف ، ليكون معلومكم أنه من قاعدة الديار المصرية كل قبيلة من العربان لها منزلة تنزلها مخصوصة بها ، وقد أقررناكم فى منازلكم القديمة فى فيافى البحيرة وفدافدها ، بالشروط السالفة الذكر التى التزمتموها والنذور التى قبلتوها وتعهدتمو وكتبتم على أنفسكم سنداً أنه متى اختل شرط من الشروط المذكورة بعد دفعكم المائتى ألف غرش يكون إخراجكم من البحيرة وبلادها وفيافيها والطلوع من حقكم ، فتعملوا[3] بموجب مضمون أمرنا الشريف كما هو مشروح ، وتجنبوا خلاف ما هو

---

(١) فى الأصل التمسك ، والسياق يقتضى الجمع .

(٢) أى المكتوبة .

(٣) هكذا فى الأصل والمراد : فاعملوا .

مسطور وموضوع ، أعلموه واعتمدوهُ غاية الاعتماد ، والحذر ثم الحذر من الخلاف .

تحريراً فى أواخر شهر شعبان المعظم سنة ستة عشر ومائتين وألف ، وكتب بمضمونه حجة وعليه إمضاء حضرة قاضى عسكر ، وقيدت بالسجل المحفوظ ، وهى من إنشاء صاحبنا الحسيب النسيب اللبيب الأريب أوحد أذكياء مصر ونبلائها ، وتاج أدبائها ، الناظم الناثر جامع فضائل المآثر السيد اسمعيل الشهير بالخشاب ، أبقى الله حياته محروس الجناب ونصه : لما ورد الفرمان الشريف الواجب القبول والإجلال والإعظام والتشريف اليانعة أزاهر رياض فصاحته ، المحلاة بعقود البلاغة أجياد معانى عبارته المشتمل على فصول من الترغيب والترهيب التى يعجز كل بليغ لبيب عن سلوك أسلوبها العجيب، من حضرة مولانا الصدر الأعظم والمشير المفخم عضد الدولة العلية ولسانها ، وحسامها الماضى وسنانها ، من أشرقت سماء الوزارة بشمس طلعته البهية ، وانجلى عنا ظلام الشرك بصباح غرته السنية ، وإشراق ضياء حسن سيرته المرضية ، مولانا الوزير يوسف باشا بلغه الله من المرادات ماشاء ، خطاباً إلى سائر الحكام والمتشرعين والنواب ، وسكان إقليم البحيرة من قبائل الأعراب ومن التحق بهم من الأبناء والذرارى والعشاير المخيمين معهم فى تلك الفدافد والبرارى ، وما تضمنه من تأمينهم فى منازلهم وأوطانهم وعشيرتهم وجيرانهم ، والنظر إليهم بعين الإحسان والرعاية ، وإدخالهم سرادق الحفظ والوقاية ، بشرط أن يكونوا على عدم[1] الطاعة وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة ، وأن يتجنبوا الخلاف ويعاملوا من يمر بهم بالإكرام والإعزاز والإنصاف ، واردين شرب الوفاق بالاتفاق ، غير مثيرين

(١) هكذا فى الاصل والصحيح حذف كلمة (عدم) حتى يستقيم المعنى :

الفتن والنزاع والشقاق ، وأن لا يجتمعوا على الضلال ويتحزبوا ، ولا يقطعوا الطريق على من يمر بهم ويتعصبوا ، (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا) ، وأقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه خلد الله تعالى جزيل نعمه وفضله عليه كل قبيلة منهم منازلها المخصوصة بها المعهودة ، وأظلهم بظلال أمانيه الظليلة ، الممدودة ، حين التمسوا ذلك من مراحم دولته ، وعوارف عواطف رأفته ، بعد التزامهم بما سلف من الشروط على الوجه المشروح المحرر المضبوط ، وعلى أنهم إن عصوا أمره وخالفوه ، ونسبوا ما تلي عليهم أو نسخوه ، أو قطعوا الطريق ونهبوا الأموال ، أو آووا أحداً ممن يفعل ذلك بحال من الأحوال ، أخذتهم صاعقة العذاب الهون ، وحل بهم من البلاء ما لا يطيقون ، ووقفوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم في العذاب الشديد ، ذلك بما قدمت أيديهم وإن الله ليس بظلام للعبيد . بعد أن تسلب أموالهم ، ويتلاشى حالهم ، حتى يصيروا[1] لا عَيْنَ ولا أثر ولا مُخْبِر ولا خبر ، ولا معالم ولا معاهد ولا مشارع ولا موارد جزاء بما أسلفوا وعقابا على اقترفوا إذا خالفوا ، وعاهد رؤساؤهم حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه عزّ نصره ، على ما تقدم ذكره ، وكتب لهم بذلك التوقيع[2] السلطاني والأمر الخاقاني المتضمن لما تقدم من المعاني المتوج بالعلامة الشريفة ، والطرة السلطانية المنيفة ، المبدا بذكوره[3] المؤرخ بأواخر شعبان المعظم سنة ست عشرة

---

(١) في الأصل حتى يصيرون .

(٢) في الأصل الوقيع وهو تحريف .

(٣) هكذا في الأصل ، وهي عبارة مبهمة ، أو لعلها المبتدأ بذكره أي المتقدم ذكره .

ومائتين وألف (سنة ١٢١٦) وحضر به إلى حضرة شيخنا شيخ الإسلام المومى إليه أعلاه كل من فلان وفلان وفلان ، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون ، ولما تأمل فيه ، وأحاط علمه الكريم ببديع معانيه ، وتَوَّه[1] طرفه فى رياض فصوله ورآه جاريا على قواعد الشرع وأصوله ، والتمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لفحواه ، مؤكدة له ، مقوية لمعناه ، أمر بكتابة هذا المرسوم على الوجه المشروح المرقوم ، وقيد ذلك بالسجل المحفوظ ، ليراجع عند الاحتياج إليه ، والاحتجاج به ، جرى ذلك وحُرِّر ورُقِّم وسطِّر فى اليوم المبارك الموافق لثانى وعشرين شعبان (سنة ١٢١٦) تاريخ والله أعلم .

خاتمة :

لما كانت حوادث الأيام لا تقف على حد، واستقصاؤها لا يدخل تحت قدرة أحد ، ناسب أن يجعل ختام هذا التاريخ شهر رمضان المعظم ، وأن يكون عقد شهوره بواسطته[2] متمم[3] تفاؤلا بحصول الغفران ، وترادف سوابغ الإحسان فإنه شهر عظيم البركات كثير المبرات وافر الخيرات ، فيه تُضاعف الحسنات وتحط السيئات ويتوالى من الرحمن على عبيده رحماته ، وتتعاقب عليهم نعمه وهباته ، ثم فى الختم به إيمائه إلى اذمن[4] ألف الكتاب باسمه وحُلِّيت ديباجته برسمه ،

---

(١) يريد سرح طرفه ، واستعمل الفعل تاه يتوه والصواب يتيه أى ضل الدليل .

(٢) واسطة العقد أكبر درة فيه ، وفى الأصل بواسطة .

(٣) الصواب أن تكون متمماً : مفعول جعل .

(٤) هكذا فى الاصل ولعلها (إعادة إلى من ألف) ، أى إشارة إلى إشارة إلى الوزير يوسف .

وهو مولانا الوزير دام علاه وتحلت الأيام بوجودها فيه وبقاه ، وجوده فى سائر الأنام كوجود شهر الصيام فى الأعوام ، به يزول الفساد ، وتـكثر العباد ، وتنجبر القلوب ، وتخلص النيات ، فى كل مرغوب . وأيضاً . ففيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر يترقب حصولها فى جميع لياليه ويبوء مترقبها يُنْجح[1] مقاصده وشكر مساعيه ، فـكذلك المشار إليه ابقاه الله ترقبت الأمة المحمدية من مُدَدٍ متطاولة حلول ركابه السعيد بمصر ليزول عنهم بيمن قدومه ، وإشراف طلعته ، مالحقهم من عظائم النوائب والاصر ، ويؤل الفساد للصلاح ، والبأس للنجاح ، ويحمد سعى كل وافد لسدته ورافع لدى[2] مراحه أسباب بغيته ، وأيضاً أن شهر الصيام مقدمة شهر العيد الذى هو موسم العبيد ، والسرور المديد ، وقد كان قدوم المشار إليه نظر الله بعين الرعاية إليه مفتاح أبواب المسرات التى طال انغلاقها ، ومعيد بهجة مصر التى كسف بظلام الـكفرة إشراقها ، ثم لسدته التى هى مَلْثم شفاه الإقبال ، ومحط رحال أفاضل الرجال ، أهدى كاسد هذا التصنيف ، وخامل هذا الترصيف فإن لاحظه بعين القبول ، وذاك هو المبتغى والمأمول ، راج فى معالم الأدب سوقه ، وبطالع السعود لاح شروقه .

فأضحت الآمال مجلوبة لَدَىَّ والأيام منقاده

حلى من جَمِّ أفضاله ما لو حواه جيل آده

(١) فى الاصل يجنح وهو تحريف .

(٢) فى الاصل وأرافع لدى ، ولعل الصواب ما ذكرناه

لم يبتدع شيئا ولكنه جرى   على الفضل الذى أعتاده
وليس من يأتى العلا كُلفةً   كمثل من يأتى العلا عاده
لازال فى عزٍّ و[فى][1] دولة   ونال من دنياه ما ارتاده

مهنئاً له بنعم الله العظام المترادفة عليه ، بشهر الصيام ، وتقبل أعماله الرفيعة ومبراته الباهرة البديعة ، واقتبال شهر العيد بتسامى وفيع طالعه السعيد .

جزى الله عن صومك الراحل   وبارك فى عيـــدك النازل
وأولاك فيهـــا السعود التى   كفتك السعــود إلى قابل
ولقاك آخر أعيـــاده   وأنت على عزك الدابل[2]
ولو لم تكن طوق جيد الزمان   لأصبح ذا عنـــق عاطل

اللهم ياسامع الدعاء ، ويامجيب النداء ، أحل حلة الأيام بوجوده ، وأدمه محتفياً ببهجة عزه وإشراق سعوده ، مطاع النواهى والأوامر ، مجدد ما بقى من آثار المآثر ، ناظم شمل المسلمين ، ولجيع الأعداء ناثر ، يأتى من المعالى مالا يسبقه إليه أول ، ولا يلحقه فيه آخر ، ما طلع النيران ، وتوالى الملوان .

سعد تاريخنا بإقبال صدر   عمالى ثنائه مسطور
فلهذا يقول بِشْرِىَ أرِّخ   باجتماع السر ورجاء الوزير

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن .

(٢) هكذا فى الأصل ولعلها الطائل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ووافق التمام سلخ شهر شعبان (سنة ١٢١٦ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وأيضا حررت هذه النسخة المباركة ، وكان الفراغ منها سنة ١٢٢٤ فى غرة محرم الحرام افتتاح سنة أربعة وعشرين ومائتين وألف .

تم بعون الله ، وحسن توفيقه ،

﴿ آمين ﴾

كشاف

مظهر التقديس فى خروج دولة الفرنسيس

الجبرتى

الأعلام

الأعلام هنا مرتبة على حروف الهجاء ، بعد إسقاط أداة التعريف .

وقد جرينا فى تدوين أسماء العلماء وغيرهم على ذكر الأسماء التى اشتهروا بها كالنسبة إلى بلادهم ، ثم يأتى بعد ذلك اسم الشخص بين قوسين .

١ - الأعلام

(ا)

٢ ـ الشعوب والقبائل والفرق والطوائف

(ن)

(ه)

(و)

(ى)

٣ - الأماكن

(ن)

(هـ)

(ى)

٤ – الكتب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٨١ / ١٩٦٩

[تم بحمد الله وتوفيقه طبع كتاب « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » تأليف العلامة المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي وذلك في يوم الخميس ٣ من شهر ذو الحجة سنة ١٣٨٨ الموافق ٢٠ من شهر فبراير سنة ١٩٦٩ والحمد لله أولا وآخراً] .

عبد الحميد علي حسين
مدير مطبعة الرسالة